

علم نفس الشخصية

الدكتور حلمي المليجي

دار النهضة العربية



المركز الإسلامي الثقافي
مكتبة سماحة آية الله العظمى

السيد محمد حسين فضل الله العامة

ترقيم 3 9 1 9 2

٢٠٠٢
٢٠٠٢

علم نفس الشخصية

تأليف

الدكتور محمد صالح المنجد

عمد كلية التربية

جامعة الإسكندرية (سابقاً)

مدير المجلس العالمي لإعتقاد المعلم (سابقاً)

فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر

بيروت - ص ١٩٩٩



رقم الكتاب	: 12127
اسم الكتاب	: علم نفس الشخصية
المؤلف	: د. حلمي المليجي
الموضوع	: علم نفس
رقم الطبعة	: الأولى
سنة الطبع	: 2001 م. 1421 هـ
القياس	: 24 × 17
عدد الصفحات	: 302

منشورات : دار النهضة العربية

الزيدانية - بناية كريدية - الطابق الثاني
 تلفون : +961-1-743166/743167/736093
 فاكس : +961-1-735295/736071
 ص ب : 11-0749 رياض الصلح
 بيروت 072060 11 - لبنان
 بريد الكتروني : e-mail:darnahda@cyberia.net.lb

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
 بيروت - لبنان

لا يجوز طبع أو استنساخ أو تصوير أو تسجيل أي جزء من هذا
 الكتاب بآية وسيلة كتبت إلا بعد الحصول على الموافقة الخطية .

إهداء

إلى أعز الناس
أمي وأبي وزوجتي
إلى إبنتي راوية وإبنتي إيمان
وإبني وسام
إلى طلابي في كل مكان
إلى الثمار الناضجة على شجرة
المعرفة السيكولوجية

هلمي المليهي

بيروت ٢٠٠١

مقدمة

استغرق تأليف هذا الكتاب زمنا طويلاً، ورغم أن موضوعه قد استحوذ على اهتمامي وشغل تفكيري منذ البداية قبل صدور أية مؤلفات أخرى لي في هذا الميدان، فإنني أرجأت صدوره وتريثت في تأليفه، وذلك لما وجدت فيه من متعة بالغة وفكر عميق ومعاني عظيمة، فضلاً عن جمال الفكر المتنوع الأخاذ وتصارع الأفكار واختلاف أساليب معالجة مشكلات الإنسان في كل عمر وزمان.

كيف انقذت شرارة الإبداع وتفتحت بصيرة كل هؤلاء المبدعين فكشفت عن أسرار الحياة العقلية ومكوناتها، واهتدوا إلى نظريات الرموز وتفسير الأحلام، وأزالوا الغموض عن العمليات الإبداعية في أذهان العباقرة حتى يتحقق الإشراق وتتولد الآيات الفنية والمآثر الأدبية والاكتشافات العلمية التي قد تغير من أساليب الحياة في المجتمع الإنساني؟

كيف تضطرب الشخصية وتتدهور ويستمر انحلالها حتى تنفصم عن الواقع وتعتزل المجتمع وتنطوي على ذاتها في وحدة موحشة يائسة نهايتها الفناء؟

كيف يتم نضج الشخصية وتؤتي ثمارها اليانعة، في ظل تربية أسرية

واعية يشملها الدفء والحنان، بينما تتعثر شخصية أخرى في استمرار نموها السوي نتيجة النبذ أو الهجر أو الحرمان العاطفي؟

وأخيراً، قد آن الأوان لكي أقدم للقارئ صورة رائعة من معارك الفكر الانساني في ميدان علم النفس، لكي نستخلص منها كيف يختلف قادة الفكر ومتى يتفقدون؟ البعض يرى أن أفضل طريق لفهم سلوك الإنسان هو دراسة عناصر بسيطة منه، كل عنصر على حده، وكلما أمعنا في تفتيتها إلى جزئيات أصغر كلما زادت ثقتنا في إمكان قياسها والتعرف عليها بدقة. بينما يرى آخرون أن دراسة الأجزاء أو الذرات منفصلة لا توصلنا إلى فهم حقيقة شخصية الإنسان، فالفرد ليس مجرد مجموع هذه الأجزاء، بل توجد تفاعلات فيما بينها، كما أن الحياة العقلية غاية في الثراء والتعقيد، ويستحيل فهم الشخصية إلا بدراسة الفرد برمته أي ككل منظم.

وتنوعت اهتمامات علماء النفس، فهناك من عكف على دراسة بنية الخبرة وتركيباتها أي يهتمون بمحتوى أو مضمون الخبرة، بينما يهتم آخرون بوظيفة هذه الخبرة أكثر من مضمونها. وعلماء آخرون يركزون على دراسة الشعور، بينما ينصب اهتمام آخرين على دراسة اللاشعور. وهكذا، تعددت مدارس الفكر السيكولوجي، كالمدرسة البنوية، والوظيفية، والتحليل النفسي، والهورمية، والسلوكية والجشطلت، إلخ. والواقع أن كل هذه المدارس تكمل بعضها بعضاً في إعطاء صورة واضحة عن الشخصية الإنسانية وكيفية دراستها وتقييمها أو قياسها. وهذه هي طبيعة الإنسان، فمهما بلغ الذروة في الفكر فإنه لن يبلغ الكمال، فالكمال لله وحده.

وختاماً يسعدني أن أقدم للقارئ والطالب والباحث هذا الفكر
بأسلوب بسيط يسهل على الجميع استيعابه وفهمه والاستمتاع به
والاستفادة منه. راجياً أن يكون هذا الكتاب إضافة مفيدة للمكتبة العربية.
والله ولي التوفيق.

حلمي المليجي

بيروت ٢٠٠١

الفصل الأول

تعريف الشخصية

الشخصية

الهدف من دراسة الشخصية،

الهدف من دراسة الشخصية هو اكتشاف المبادئ العامة لنموها وترقيها وتنظيمها والتعبير عنها. نقول المبادئ العامة حتى حينما نؤكد الحقيقة الثابتة بأن أميز خصائص الإنسان هو فرديته، فالإنسان (الفرد) خلق فريد لقوى الطبيعة لم يكن هناك أبداً شخص آخر يماثله، بل ولن يتكرر مستقبلاً، ولندكر حتى بصمة الأصبع فريدة في نوعها. ونظراً لتمييز وراثته^(١) كل شخص وبيئته لا يمكن أن يحدث غير ذلك.

ولما كان موضوع الشخصية غاية في التعقيد فقد تعددت الاتجاهات في النظر إليها. وتهدف الاتجاهات الحديثة إلى التوفيق والتكامل بين تلك الاتجاهات محاولة خلق أساس نظري موحد يعتمد عليه في تصنيف ووصف نواحي الشخصية المختلفة. وما يهدف إليه علماء النفس المعاصرون هو الكشف عن الحقائق ثم العمل على تحريرها وفصلها عن المادة المتراكمة من المطبوعات التافهة والسادجة التي كتبت وقيلت في الشخصية على غير أساس علمي موضوعي.

(١) ما عدا التوائم المتشابهين الذين تكونوا من نفس البيض ونفس الحيوان المنوي.

تعريف الشخصية،

من المؤلف قبل دراسة أي موضوع أن نصطلح على تعريف الألفاظ والتعبيرات المستخدمة تجنباً للخلط والإبهام إلا أن الإتفاق على تعريف الشخصية وتفسير معناها ليس بالأمر اليسير فقد قام ألبرت بتصنيف أكثر من مائة تعريف للشخصية في ثلاثة أقسام عامة، حيث وجد أن أي تعريف من هذه التعاريف يؤكد واحدة من وجهات النظر التالية:

١ - التأثير الخارجي.

٢ - البناء الداخلي.

٣ - وجهة النظر الوضعية.

وفي السطور القليلة القادمة سوف نعرض فكرة مختصرة عن كل من وجهات النظر الثلاث:

أولاً: التأثير الخارجي:

يقال عن فلان: «إنه تنقضه الشخصية».

ويقال في آخر: إنه على قدر كبير من الشخصية.

المقصود بذلك - رغم قصور هذا الوصف علمياً - إن هذا الشخص له تأثير أو يفشل في عمل تأثير في غيره من الناس. فالمقصود عادة بهذا الوصف هو تقدير الكفاءة الاجتماعية أو الجاذبية الاجتماعية لذلك الفرد. وهكذا فإن التصور الذهني الشائع للشخصية يشير إلى مجموعة متشابكة من السمات التي تأخذ وجهة نظر اجتماعية أو تؤكد التأثير الخارجي للشخصية. ومن هذه التعريفات ما يلي:

- «المجموع الكلي لتأثيرات الفرد في الجماعة».
- «عادات أو أفعال تؤثر في الناس الآخرين بنجاح».
- «استجابات الأشخاص الآخرين للفرد كمثير أو منبه».
- «فكرة الآخرين عنك».

والنقد الموجه إلى وجهة النظر هذه هو أننا لا نستطيع قبول الرأي الذي يرى أن هناك شخصاً له شخصية أكثر أو أقل من شخص آخر، فهؤلاء الذين تنقصهم الجاذبية من وجهة النظر السيكولوجية قد منحوا بسخاء بقدر ما منح هؤلاء الذين يتمتعون بالجاذبية الاجتماعية، وأهميتهم بالنسبة للعلم سواء. حقاً أنه خلال أحكام الناس الآخرين علينا تعرف شخصياتنا جميعاً. ولكن ماذا يكون الأمر لو أثرنا في أشخاص مختلفين تأثيرات مختلفة؟ هل يعني ذلك أننا نمتلك شخصيات متعددة؟ ألا يمكن أن يكون حكماً واحداً فقط هو الذي كون الانطباع الصحيح عنا بينما أخطأت انطباعات الآخرين؟ وإذا كان الأمر كذلك، ألا يشير هذا إلى وجود شيء بداخلنا يكون طبيعتنا الحقيقية؟

إن تعريفات التأثير الخارجي تخلط الشخصية بالشهرة وذيوع الصيت وقد تعدد شهرات الشخص الواحد.

وماذا نقول عن الزاهد المنعزل أو الطفل الوحش الذي يعيش بين الذئاب، هل هؤلاء المنعزلون تنقصهم الشخصية الخلابة؟ فقد لا تقل سحراً عن تلك الشخصيات التي تعيش في المجتمع الانساني. أن ممثل السينما أو التليفزيون مثلاً، قد يكون له تأثير على ملايين الناس لكن شخصيته قد تكون أقل تعقيداً من الناسك المتعبد الذي اتخذ له مأوى في عزلة قائمة خفية.

وخلاصة القول بالرغم من أن الانطباع الذي نحدثه في الآخرين واستجاباتهم لنا تعتبر عوامل في نمو وترقي الشخصية، فإن ذلك قد يحدث في عقولنا خلطاً بين التأثيرات الخارجية للشخصية والتكوين الداخلي لها.

ثانياً: البناء الداخلي:

بناء على التعريفات السابقة التي تؤكد التأثير الخارجي حينما نقول أن شخصيتك هي فكرة الآخرين عنك «معنى ذلك أن شخصيتك لا تكمن بداخلك أنت وإنما هي تصور في أذهان الآخرين «بعيدة هناك».

ولكن معظم الفلاسفة وعلماء النفس (ما عدا الوضعيين المعاصرين الذين سنعرض لهم سريعا) يفضلون تعريف الشخصية كوحدة موضوعية، كشيء «موجود فعلاً» ذو تنظيم ديناميكي داخلي في ذات الفرد، فهو بناء متكامل قابل للدراسة. مع أن الشخص متفتح للعالم حوله يتأثر به ويؤثر فيه في كل لحظة فإن الشخصية لها تاريخ حياتها الخاص، ولها وجودها، فليس بينها وبين المجتمع خلط أو لبس ولا حتى مع إدراك الناس الآخرين لها.

ومن تعريفات «التكوين الداخلي» ما يؤكد «العامل المعرفي الذاتي»، الذي يعمل على التنظيم الداخلي. مثال ذلك تعريف ليكي Lecky:

الشخصية هي «نظام موحد للخبرة^(١) وتنظيم للقيم المتوافقة بعضها

(١) الخبرة لها جانبان: الجانب المعرفي والجانب الذاتي أو الجانب الإدراكي والجانب الانفعالي (المشاعر المصاحبة).

مع بعض». ويطلق بعض الكتاب على هذا النوع «التعاريف الذاتية» أو «الجوهرية».

ومن أبرز تلك التعريفات وأشهرها تعريف ألبرت^(١) الذي رغم تأكيده للتكوين أو البناء الداخلي فهو لم ينكر أهمية التأثير الخارجي للشخصية.

الشخصية هي «تنظيم ديناميكي داخل الفرد من أجهزة نفسجسمية تحدد سلوكه وتفكيره المميزين له».

وفيما يلي تفسير المفاهيم الرئيسية الواردة في هذا التعريف:

تنظيم ديناميكي،

المشكلة الجوهرية لعلم النفس هو التنظيم العقلي (أي تكوين نماذج أو تنظيمات هرمية من الأفكار والعادات توجه النشاط ديناميكياً). فالتكامل وغيره من العمليات التنظيمية ضروري لنمو وبناء الشخصية، ولذا فإن «التنظيم» ينبغي أن يظهر في التعريف. ويتضمن هذا اللفظ أيضاً العملية العكسية أي الانحلال والاضطراب، وخاصة في الشخصيات الشاذة التي تتميز باطراد التفكك.

داخل الفرد،

يفهم من هذا أن الشخصية ليست أمراً يختص فقط بالتأثير الخارجي.

Allport, G. W. Pattern and Growth in Personality. N. Y.: Holt, Rinehart (١) and Winston, 1961.

أجهزة:

إن الجهاز (أي جهاز) مركب من عناصر في تفاعل متبادل . فالعادة جهاز أو نظام، وكذلك العاطفة والسمة والمعنى الكلي وأسلوب السلوك .

هذه الأجهزة كامنة في الكائن الحي حتى أثناء خموله (حالة عدم النشاط). فالأجهزة هي قوانا الكامنة للنشاط .

نفسجسمي:

يذكرنا هذا التعبير بأن الشخصية ليست عقلية Mental كلية ولا عصبية (جسمية) كلية . إن تنظيم الشخصية يتضمن النشاط الوظيفي لكل من العقل والجسم في شيء من الوحدة .

السلوك والتفكير:

هذان اللفظان يرمزان لأي شيء يمكن للفرد أن يفعله، وما يفعله المرء أساساً إنما من أجل التوافق مع بيئته . ولكن ليس من الحكمة تعريف الشخصية في إطار التوافق فحسب، فنحن لا نتوافق من البيئة فقط، بل نحن نعكس عليها أيضاً . كما أننا نجاهد من أجل السيطرة عليها، وأحياناً نوفق في ذلك . وهكذا يعمل كل من السلوك والتفكير على الحياة والنمو، فهما أنواع من التوافق والتفوق ظهرت نتيجة موقفنا من البيئة، وهي دائماً منتقاة وموجهة بواسطة النظم الطبيعية التي تكون شخصيتنا .

المميز:

كل السلوك والتفكير مميزات للشخص، علاوة على أنها فريدة

خاصة بهذا الشخص. حتى الأفعال والمفاهيم التي نشارك الآخرين فيها مستقرة في الفرد. حقاً إن بعض الأفعال والمفاهيم ذاتية أكثر من غيرها ولكن ليس هناك ما ينقص عطر الشخصية المميز لها.

ثالثاً: وجهة النظر الوضعية^(١):

الوضعية لا تدعى الاجمالية في نظرتها للإنسان، فعملها هو إيجاد حقائق صغيرة تحت شروط مضبوطة^(٢)، وحددت الحقيقة بالصغر، حيث إن الثبات - كقاعدة - يمكن الوصول إليه فقط حينما نتناول جزءاً محدوداً من السلوك. إن إجماليات السلوك ليست بالدقة الكافية مما أدى إلى تحول الوضعين بعيداً عنها، أما التجزئة فإنها تؤدي إلى نتائج حاسمة وأكثر دقة. ولهذا جذب الانتباه إلى ما هو جزئي، فيزيقي (جسمي)، شبه ميكانيكي، منظم ومنطقي، لأن كل هذه المظاهر يمكن ضبطها أي التحكم فيها، وفي مقابل هذا ابتعد الانتباه عن كل ما هو رمزي لا منطقي، لا تصنيفي أو تشكيلي، لأنه لا يمكن التحكم في ثباته.

أي أن الوضعية تهتم بالقياس وبالطرق التي توصل إلى اكتشاف الحقيقة الثابتة. ولذا فإن الوضعيين لا يفترضون إلا ما يتفق مع طرقهم وما يخضع للقياس. فما الإنسان إلا «مجرد كائن متفاعل» يستجيب

(١) نستخدم لفظ «الوضعية» Positivism لتعبر عن التيار أو الإتجاه الرئيسي للعلم السيكولوجي منذ عهد «لوك» و«كونت». إنه الاتجاه العلمي التجريبي، الارتباطي غالباً، والكمي المتزايد المعروف لدينا، ولذلك تهتم الوضعية بالقياس وبالطرق التي تستخدم في ذلك.

(٢) أي يمكن التحكم في ظروف التجربة أو العوامل التي تؤثر في القياس، مما يؤدي إلى دقة وثبات النتائج.

لمثيرات البيئة، وما يفعله إنما تحدده قوى خارجية أو داخلية. أي أن علم النفس الوضعي يرى الحركة مسببة أو محددة بواسطة ضغوط، فالإنسان مثل الأشياء الجامدة غير الحية (بما في ذلك الآلات)، وهو كذلك مثل الكائنات الأولية البسيطة.

وبذلك يعترض الوضعيون على التعريفات الجوهرية السابقة. فهم يرون أن «التركيب الداخلي» في غير متناول الدراسة العلمية، قائلين: أننا لا نستطيع معرفة إذا كانت هناك حقيقة «وحدة ديناميكية متعددة الصور»، وإذا وُجد البناء الداخلي حقاً فإنه لا يمكن دراسته بطريقة مباشرة. إن ما نعرفه عن الشخصية فقط هو الإجراءات التي نقوم بها فحسب. فإذا أجرينا إختباراً في الشخصية وحصلنا على كذا وكذا درجة فإن هذه هي إجراء اتنا أي طريقتنا. من وجهة النظر الوضعية إذن، الشخصية الداخلية عبارة عن «وهم» أو «خرافة»، إنها مجرد تخمينات بوجود تكوين أو بناء نعطيه إسماً مناسباً، أي نحاول تصوره ذهنياً، «هذا التصور الذهني» ينبغي ألا يذهب إلى ما بعد الطرق العلمية التي نستخدمها. ومثال لتلك التعاريف الإجرائية^(١) تعريف ماكلياند D. Mc Lelland :

«الشخصية هي أكثر التصورات الذهنية مؤامة لسلوك الشخص في كل تفاصيله التي يمكن للعالم The Scientist تقديمها في لحظة ما من الوقت».

نلاحظ هنا وجه الشبه بتعريفات «التأثير الخارجي»، فليست الشخصية ما لدى الشخص فعلاً، وإنما هي إدراك شخص آخر لها، وفي

Operational Definitions. (١)

هذه الحالة هو «إدراك العالم».

الشخصية بعبارة أخرى، هي بناء أو شيء نفكر حوله، ولكنه غير موجود حقيقة بعيداً هناك.

إذن ما دامت الشخصية غير موجودة حقيقة - من وجهة نظر الوضعية - فإن ما يهم هو التعرف على قدر كاف من المثير والاستجابة (ما يطلق عليه سيكولوجية م - س)، ولا جدوى من إرهاق أذهاننا بأي عامل وسيط (بيني) مثل الشخصية. إن الاهتمام يجب أن ينصب فقط على الإجراءات الخارجية، المرئية التي يمكن تداولها. هذه هي وجهة نظر المدرسة السلوكية الوضعية المتطرفة. والشخصية بهذا المعنى تبخر في ضباب الطريقة والإجراءات.

والوضعية تسعى إلى تعميمات تشريعية عن السلوك وتعتبر تطلعتنا إلى النظام الداخلي للعقل خاصة عملاً ذاتياً غير علمي^(١).

والنقد الموجه إلى الوضعية يتلخص في النقاط التالية:

١ - حقاً إن دراسة الشخصية أكثر صعوبة حتى من دراسة النجوم إلا أن الموقف واحد، فالتصور في فهمنا لكل من الشخصية أو النجم لا ينفى أنها حقائق موجودة من حقائق الطبيعة. ونتيجة لهذا التعقيد في

(١) يقول الوضعيون في ذلك إنه يبدو علمياً أكثر أن نرسل مجموعة من الفيران البيضاء في محارة من أن نشغل أنفسنا بالتنظيم المعقد للشخصية المادية. وإنه أكثر إحتراماً، أن نسعى إلى متوسطات واحتمالات السكان من أن ندرس أسلوب حياة شخص واحد. مثل هذا التفضيل ليس من الصعب تفسيره في ثقافة تكنولوجية «مركزة حول الآلة».

الشخصية جرد الوضعيون الفرد من كل خاصياته التي تسبب لهم المتاعب والمشقة (وانشغلوا في أغلب الوقت بالبحث عن «علم متوسطات» وتحديد تعريفاتهم للأشياء بشروط إجراءات طرفهم، بل حاول المتطرفون منهم إنكار وجود الشخصية بالمرّة. فاعتبروا الشخصية وهما أو تخمينات بوجود بناء أو شيء مرتبط بإسم. ولو قارنا هذا بعلم الفلك، فهل كان الفلكي الذي يدرس نجما في السماء يفكر في النجم كبناء وهمي مرتبط بإسم. وليس موجوداً هناك؟ في الواقع لقد كان الجسم السماوي بالنسبة له موجوداً حقيقة بعيداً هناك ذات بناء سيحاول فهمه علمياً.

وكذلك عالم النبات الذي يشرع في تشريح نبات ما لدراسته، فإنه لا يعتقد أن تركيب النبات الداخلي ووظائف أعضائه يكمن فقط في طرق تداوله وإجراءاته أثناء البحث. إن عالم النفس الذي يحاول فهم الشخصية مثل عالم الفلك أو عالم النبات يحاول أن يفهم حقيقة موجودة من حقائق الطبيعة، موجودة هناك، ذات بناء داخلي وتنظيم ديناميكي خاص. فينبغي أن نكيف طرق بحثنا بقدر استطاعتنا للشيء الذي ندرسه ولا نحدد تعريفنا للشيء بشروط أو حدود طرقنا المخطئة.

٢ - من أجل تحقيق الدقة في القياس وثبات نتائجه إلتجأ الوضعيون إلى تجزئة الشخصية، إلا أن هذا كان على حساب وحدة الشخصية وتكاملها، أي ذلك التنظيم الديناميكي الذي لا يقبل التجزئة. فالشخصية ليست مجرد مجموع كبير من السمات أو الأجزاء المصفوفة بجوار بعضها البعض، بل إن التفاعل الديناميكي المتبادل

بينها هو الأساس الذي يقوم عليه البناء المتكامل .

إن أسوأ ما يمكن قوله عن الوضعية هو تركيزها حول الطريقة أكثر من تركيزها حول المشكلة، فإنها قدمت بذلك تشكيلة من الحقائق التجزيئية أو التفتيتية على حساب النظرة المتماسكة للشخص الإنساني المتكامل .

٣ - الصعوبة الوحيدة الحقيقية في صياغة الوضعية هو أنها لا تعرف (أو يندر أن تعرف) أنها سجيئة نظرة فلسفية نوعية وثقافة فترة خاصة وتعريف ضيق «للعلم» . ويندر أن دافعت الوضعية عن نظرتها التحديدية شبه الميكانيكية للشخص الإنساني، وإنما ارتضت التسليم بها فحسب، وعلى أية حال فإن مذهبها الميتافيزيقي لم يختبر بعد .

وأخيراً ليس من العدالة أن نلوم النظرة الوضعية في علم النفس وعلم الاجتماع على الورطة الحاضرة التي يتعرض لها الجنس البشري . فالوضعية إنعكاس أكثر منها سبب لتجزئ الشخصيه في العالم الحديث .

والعدالة تقتضي الإعراف بفضل الوضعية على ما قدمته من ضمانات ضد التأمل غير المنظم، وعلى كثير من النتائج المفيدة وإن كانت غير مرتبطة . فقد علمتنا الوضعية الإحتياط والمحافظة ومضاهاة النتائج بأخرى مماثلة، وتحقيق النتائج، وكيف يكون الباحث دقيقاً مختصراً محدداً .

إن كثيراً من المعلومات المستفيضة في علم النفس قد جمعت باتباع ضروب البحث التجريبي . وتبدو هذه الطريقة أنها تقدم أفضل الوسائل لتحقيق إكتشافاتنا، إلا أن الثمن الذي ندفعه هو تحديد تطلعاتنا فتتكمش إلى جزء فقط من الكائن البشري، وبذلك تعمل على إخماد الاهتمام بالإطار الكلي .

على أية حال ليس هناك طبعاً تعريف صحيح أو خاطيء، فالألفاظ تعرف فقط بطرق تفيد في تحقيق غرض ما. ولتحقيق الغرض من دراستنا نحن في حاجة إلى تعريف «جوهري» للشخصية يتناول الشخصية كوحدة «بعيدة هناك» لديها «بناء داخلي» خاص بها. ويحقق هذا تعريف ألبورت السابق الذي يؤكد الوحدة الموضوعية للشخصية ولا ينكر أهمية التأثير الخارجي لها.

إن تعريف ألبورت «الجوهري» يؤكد أن الشخصية هي الشخص «كما هو حقيقة» بصرف النظر عن طريقة إدراك الأشخاص الآخرين لصفاته أو بالطرق التي ندرس بها تلك الصفات. فقد يقع في الخطأ كل من إدركنا أو طرقتنا، تماماً مثل علم الفلك قد يخطيء في دراسة تكوين النجم بينما النجم ما زال هناك شيء يتحداه في دراسته.

إن تعريف ألبورت لا ينكر، طبعاً أن الشخص متغير طول الوقت أو أن سلوكه قد يتغير من موقف لموقف. فالتعريف يعني أن الشخص لديه بناء داخلي ومدى من الخصائص (متغير ولكنه مؤكد) وهذا البناء أو التكوين هو الذي نحاول دراسته.

والتعريف يشير أيضاً إلى طريقة الفرد الفريدة في إدراك بيئته، وبالتالي نحدد أسلوب تفاعله مع البيئة.

بناء الشخصية

ينشأ كل إنسان خلال تفاعل القوى الوراثية والبيئية التي تختلف أهميتها النسبية من شخص لآخر. فيوجد لدى الفرد طاقات موروثية ويتوقف نمو الفرد على مدى تحقيقها. أي أن «تحقيق هذه الطاقات

الكامنة الموروثة تعتبر وظيفة للبيئة التي يتطور فيها الفرد. منذ اللحظة الأولى لتصور الفرد الذهني فإن كل مظهر من مظاهر البيئة التي تحيط به تتفاعل مع الطاقة الكامنة الموروثة. عند الميلاد يستجيب الطفل للمثيرات الأولى إستجابة كلية، على أساس تكوين فطري أو المزاج الذي يبقى مدى الحياة «طبقة سفلية» تعمل كمؤثر جزئي في كل استجاباته للواقع المتتالي. إن كل استجابة هي نتيجة مزاج فطري بعد تعديده بالخبرة «التعلم». وباستمرار إكتساب الطفل النامي للخبرة نتيجة مجابهة الواقع تتميز الكتلة السيكولوجية التي لم تتشكل بعد، وبذلك ينشأ ما نطلق عليه «الأنا». وفي تلك العملية التي يترقى فيها الأنا (الذات)^(١)، تنتظم الشخصية من وجهة نظر الديناميكية السيكولوجية - حول جوهر من الحاجات البيولوجية^(٢). وهي دوافع السلوك التي يتحرك الإنسان وفقاً

(١) ينبغي ألا نخلط بين «الأنا» ومفهوم الذات، فبينما «الأنا» هو جوهر الشخصية فإن مفهوم الذات هو تقييم الفرد لقيمه كشخص أي تقييم الشخص لنفسه. وبينما الأنا هو طاقة الفرد للأداء، فإن مفهوم الذات يحدد أداءه الفعلي. وينمو مفهوم الذات - جزئياً - من خبرات الفرد الشخصية في «اختبار الواقع». ولكنه يتأثر بدرجة بالغة بالتقييمات التي يتلقاها من الأشخاص ذوي الأهمية الذين يرتبط بهم وجدانياً في حياته وتفسيراته لاستجاباتهم له. مثال ذلك طفل رفيع الذكاء ومع ذلك يلقى من أهله توبيخاً وتحقيراً مستمرين نابذين له دون إعتبار لأدائه، إن هذا الطفل قد يكون عن نفسه مفهوماً كشخص قاصر عاجز عن تحقيق طاقاته الكامنة.

(٢) الحاجات البيولوجية (ويطلق عليها الدوافع الأولية) مثل دافع الأمومة والحاجة إلى الطعام والماء والجنس، ويمكن إشباع كل منهما عادة بباعث معين أو مجموعة من البواعث. أما الحاجات السيكولوجية (ويطلق عليها الدوافع الثانوية) وهي مجموعة كبيرة من الدوافع وتتكون نتيجة تفاعل الفرد مع بيئته الاجتماعية مثل الحاجة إلى الأمن والحاجة إلى التقدير الاجتماعي والحاجة إلى تحقيق الذات والحاجة إلى الانتماء للجماعة الخ..

لها. والطرق التي يحاول بها الشخص إشباع تلك الحاجات أو الدوافع تعتبر عوامل هامة في نمو الأنا (الذات) إلا أنه لا مفر من نشوء الاحباط^(١) والصراعات، فالشخصية تنمو إذن من تفاعل الكائن البشري مع بيئة تحبطه أو تشجعه وتشكل دوافعه. ويرى أنصار التحليل النفسي أن الطفل النامي يتشكل بواسطة أسلوب المعاملة المبكرة والتغذية والفظام والحب والأمن الذي قد يمنحه الوالدان للطفل أو يحرمه منه والعقاب الذي قد يفرضه عليه المجتمع. وفي جهود الفرد من أجل حفظ وحماية وتقوية وتكامل الأنا، ينزع الشخص إلى حيل دفاعية^(٢) (ميكانيزمات دفاع) معينة. وتعمل بعض استجابات الفرد شعورياً والبعض الآخر لا شعورياً. وهكذا فإننا قد نتفق على أن جهازاً أو بناء منتظماً قد تكون ويشمل العواطف والاهتمامات والآليات (الميكانيزمات) اللاشعورية أو العقد التي تحدد سلوك الطفل أو الراشد في أي موقف.

وهكذا فإننا الأنا داخل اطار مفهوم الفرد لذاته يصبح بؤرة لاختبار ومعرفة الواقع، وتكوين آراء عن الصواب والخطأ، ولتقييم إمكانياته الشخصية. من حيث علاقته بالعالم إنه يفيد كوسيلة يتذكر الفرد بها الماضي ويعرف الحاضر ويساهم في المستقبل. وبهذه الطريقة يمكن للفرد أن يمارس حياته كنموذج متصل، ومن أجل هذا يكون الفرد مكرساً باستمرار لحفظ الأنا ووقايته وتقويته.

(١) الإحباط هو حالة من التوتر النفسي تنشأ عن إعاقة جهود الفرد عن إشباع دوافعه وبلوغ أهدافه.

(٢) الحيل الدفاعية اللاشعورية كثيرة منها الكبت والتبرير والتقمص أو التوحد والإسقاط الخ.

الشخصية والخلق،

كثيراً ما يستخدم هذان اللفظان كمرادفين. والواقع أن الخلق اصطلاح تقييمي يشير إلى سمات شخصية معينة من حيث هي مقبولة أو غير مقبولة اجتماعياً، مثل الأمانة وضبط النفس وعكسها. أي أن الخلق هو الشخصية مقيمة أخلاقياً أي في ضوء القيم والمعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع. فنحكم على سلوك الشخص بأنه خير أو شر، صواب أو خطأ. ويتفق ذلك مع مفهوم الرجل العادي حينما يقرن لفظ الخلق بإحدى صفتين: خلق طيب أو خلق سيء، فالمجتمع مثلاً يؤاخذ الفرد على الجبن والقسوة. ولما كانت المجتمعات المتباينة تختلف في قيمها ومعاييرها الأخلاقية والاجتماعية فإنها تختلف في حكمها على بعض أنواع السلوك من حيث القبول أو الرفض، ومن حيث الصواب أو الخطأ، في حين أن تنظيم الشخصية، نسبياً ثابت كما هو. ولذلك ينبغي ألا نخلط بين الشخصية والخلق، وبإيجاز إن الخلق هو الشخصية مقيمة اجتماعياً بينما الشخصية هي «الخلق دون تقييم».

الشخصية والمزاج،

لفظ المزاج Temperament له تعريفات متنوعة متعددة ولكنه غالباً محدد بالعوامل التكوينية والفطرية - كالحوافز الفطرية وتأثيرات الغدد الصماء أو العوامل الفسيولوجية الأخرى على سلوك الشخص وميول عامة معينة وراثية - على الأقل جزئياً، مثل قوة الحوافز والقابلية للاستشارة مقابل البلادة وعدم الاتزان الانفعالي.

أي أن المزاج يشير إلى مجموعة الخصائص الإنفعالية المميزة للفرد من حيث قوة الانفعالات أو ضعفها ثباتها أو تقلبها أو تذبذبها وتناسبها أو عدم تناسبها مع مشيراتها، ودرجة تأثر الفرد بالمواقف التي تثير الانفعال، هل هو تأثير سطحي أو عميق. فيقال أن فلانا حاد المزاج أو سريع الاستثارة ويقال عن آخر أنه بليد بطيء الاستثارة.

وخلاصة القول أن للخلق والمزاج من مقومات الشخصية ولكنهما لا يؤلفان الشخصية بأسرها. فالأول يميز المظهر الاجتماعي والثاني يميز الجانب الانفعالي.

الديناميكية السيكولوجية للسلوك

إن تكوين الكائن البشري يجعله بمجرد ميلاده يمارس حاجاته في الحال التي لا يشعبها إلا البيئة فقط. هذه الحاجات المبكرة بيولوجية خالصة مثل الحاجة إلى الهواء والغذاء. هذا الاشباع ضروري لحفظ «التوازن البدني Homeostatic Balance»، أي ضروري لتوفير أفضل الظروف الكيميائية والطبيعية اللازمة لتدعيم الحياة. وخلال نمو الفرد، تؤدي خبرات التعلم المبكرة إلى ظهور حاجات إضافية شخصية واجتماعية واشباعها ضروري لحفظ التوازن الانفعالي Emotional Balance. من أمثلة الحاجات الأخيرة: الأمن، الرضا الاجتماعي، والتحصيل. هذه الحاجات أكثر تعقيداً، ووظيفتها هو التفاعل مع بعضها البعض وقد تعمل شعورياً أو لا شعورياً.

إن الحاجات التي لا تشبع تخلق «توترا» Tension يدفع الكائن

الحي إلى المبادرة بالعمل على إشباعها بما ينجم عنه خفض التوتر. ولذلك نطلق على هذه الحاجات إسم الحوافز Drives أو دوافع السلوك Motives. واختيار الفعل أو الأفعال في وقت معين، من أجل تحقيق الإشباع (أو خفض التوتر) يعتمد على التعلم السابق للفرد، تماما كاعتماده على الطاقات الفردية للفرد، ومداه. إذن الدافع مثير قوى يدفع الفرد إلى أن يسلك بصورة ما حتى تخف حدة هذا المثير أو يستبعد كلية. وتبنى عملية التعليم بوجه عام على أساس تنمية الأساليب السلوكية المجدية في تخفيف المثيرات الدافعة. وتتوقف أهمية الدوافع ومدى تأثيرها في سلوك الفرد أو شخصيته في قوتها أو شدتها. فدافع الأمومة مثلاً أقوى الدوافع البيولوجية وأكثر الحاحا على الحيوان من دوافع الجوع والعطش والجنس.

ومع أن الحاجات البيولوجية في الشهور الأولى المبكرة للحياة تكون أكثر أهمية وإحباطها في هذا الوقت قد يكون حرجا، فإن الإطار الثقافي يعمل روتينيا إلى حد ما على إشباعها أو تعديلها. وهكذا تدخل في نسيج واحد مع الحاجات السيكلوجية بحيث أنها نفسها تسهم عادة بقدر يسير في فهم سلوك الفرد فيما بعد، أي في المراحل المتأخرة.

الفصل الثاني

وصف الشخصية
النظريات الكلاسيكية

وصف الشخصية

أجريت محاولات عدة لفهم الشخصية يمكن تلخيص معظمها في مجموعتين عامتين مختلفتين:

أولاً: محاولة تصنيف الشخصية إلى طرز أو أنماط Types of Personality. والنمط أو الطراز هو فئة أو صنف من الأفراد يشتركون في نفس الصفات العامة، وإن اختلف بعضهم عن بعض في درجة إتسامهم بهذه الصفات. فإذا أمكن ذلك فإن الشخص قد يوصف بأنه يتبع هذا أو ذاك النمط.

ومنذ عهد الاغريق قامت محاولات عديدة للربط بين نمط الشخصية أو نمط الجسم والمزاج معتمدة على معرفة غير ناضجة بفسولوجيا الإنسان. ولذا سوف نذكر بعض تلك النظريات لأهميتها التاريخية فحسب، ومثال ذلك، نظرية هيبيوقراط، ونظرية لومبروزو ونظرية كرتشمير ونظرية شلدون.

نظرية هيبيوقراط،

وضع الطبيب اليوناني القديم هيبيوقراط تصنيفاً رباعياً للشخصية على أساس الأمزجة (سوائل) الغالبة في الجسم، حيث يرى أن اختلافات الكيمياء العضوية للجسم تتحكم في شخصية الفرد، وبذلك قسم الأمزجة إلى أربعة هي: المزاج الدموي (المتفائل) والصفراوي (حاد المزاج)

والسوداوي (المتشائم) والبلغمي أو اللمفاوي (المتبلد)^(١).

وقد تطورت هذه النظرية واتخذت عدة أشكال حتى انمحت في العصر الحديث فكرة أن الأمزجة عبارة عن مخلوطات كيميائية تؤثر في شخصية الفرد، ولكن ليحل محلها فكرة الهرمونات (افرازات الغدد الصماء). إذ إن الفكرة السائدة الآن هي أن للغدد تأثير مباشر ليس فقط في التكوين العضوي للجسم بل أيضاً في الصفات المزاجية للفرد. مثال ذلك حينما تتوقف الغدة الدرقية عن العمل يصبح الفرد ثقيلاً بطيئاً ويجف شعره وجلده. أما إذا زاد إفرازها كثيراً فإن الفرد يصبح سهل الاستثارة والتهيج كما تبرز عيونه أكثر من الوضع الطبيعي. وإفراز الغدة التيموسية يعمل على إطالة فترة الطفولة وتأخير النضج.

تصنيف يونج Jung.

ومثال آخر لمحاولات تصنيف الشخصية هي «نظرية الأنماط الثنائية» مثل تصنيف يونج Jung الذي يرى أن الناس يمكن تصنيفهم من حيث «إتجاههم النفس العام» أي من حيث «أسلوبهم العام في الحياة» إلى منظوى ومنبسط.

(١) يرى هيبوقراط أن الشخصية السوية أو المتزنة هي التي تنشأ من توازن هذه الأمزجة الأربعة أي إذا اختلطت بنسب متكافئة، وينشأ المرض النفسي عندما يتغلب أحدها على الأخرى. فالمزاج الدموي يتحكم فيه الدم ويتصف الشخص بالتفاؤل والنشاط وسهولة الاستثارة في غير عمق أو اتساع. والمزاج الصفراوي وصاحبه حاد المزاج شديد الانفعال يغلب عليه الجانب الجدي، وهو قوى الاستجابة. والمزاج السوداوي يتحكم فيه السوداء وصاحبه متشائم مكتئب بطيء التفكير والتأمل وثابت الاستجابة. أما المزاج البلغمي يتحكم فيه البلغم وصاحبه حامل بليد بطيء الاستجابة وصعب الاستثارة.

النظريات البنوية

نظرية لومبروزو Lombroso.

وفي منتصف القرن التاسع عشر، قدم «لومبروزو» Lombroso^(١) وصفا للأنماط الاجرامية في محاولة لفهم الشخصية، فقد وضع نظرية ترى أن للمجرمين نمط خاص يتميز بخصائص فسيولوجية وسيكولوجية معينة.

نظرية كرتشمير Kretschmer.

ثم قدم إرنست كرتشمير Earnest Kretschmer أربعة أنماط جسمية وارتباطاتها بخصائص الشخصية وهي كما يلي:

النمط المكتنز:

ذو البنية الممتلئة والأطراف القصيرة، وهو يمتلك شخصية منبسطة ومعرض لتذبذبات في المزاج. هذا النمط من الأشخاص إذا أصيب بمرض عقلي فإنه يميل إلى جنون الهوس الاكتيابي.

النمط الواهن:

ذو البنية النحيلة والأطراف الطويلة، يمتلك شخصية إنطوائية. هذا النمط عندما يصاب بمرض عقلي يميل إلى جنون الفصام.

(١) سيزار لومبروزو عالم إيطالي (١٨٣٦ - ١٩٠٩).

النمط الرياضي :

ذو البنية القوية والصلبة والعضلات القوية وتبدو عليه ميوله إنطوائية نسبياً.

النمط المشوه :

يتميز جسمه بعدم التناسق، ولهذا فهو لا يصنف تحت أي من الأنماط السابقة ويكون مزاجه إنطوائي أيضاً.

نظرية شلدون:

أجرى وليام شلدون Sheldon (١٨٩٩) تحليلات لعدة آلاف من الصور الفوتوغرافية المقنتة للطلبة الذكور في أمريكا. وقد وجد ثلاثة عوامل أساسية مسؤولة عن الاختلافات التي لاحظها، وأن غلبة أحد تلك العوامل يمكن أن يكون مسؤولاً عن الإختلاف في أنماط الأجسام الموجودة.

إن الأساس التشريحي لنظرية شلدون ينحصر في أن الجنين الانساني توجد به ثلاث طبقات من الأنسجة وهي: طبقة الجنين الجرثومية الداخلية (أي الأدمة الباطنية). والطبقة الوسطى والطبقة الخارجية (أي الظاهرة). ومع أنه توجد استثناءات طفيفة فإن أبنية الجسم عامة التي تنمو من النسيج الباطني هي الجهاز الهضمي والأمعاء، والتي تنمو من الطبقة الوسطى هي العظام والعضلات، وتلك التي تنمو من الطبقة الخارجية هي الجهاز العصبي والجلد.

وبناء على هذه المكونات الثلاثة التي توجد جميعها في كل فرد، قام شلدون بتصنيف الأنماط الجسمية للناس حسب درجة غلبة أحد المكونات الثلاثة على الإثنين الآخرين. فقد وجد أنه يوجد اختلاف كبير

من فرد لآخر من حيث درجة غلبة أحد المكونات على الباقي وهذه الأنماط الجسمية حسب تصنيف شلدون هي ما يلي:

١ - النمط الباطني endomorphy ويغلب عليه نسبياً الاستدارة الناعمة في أجزاء الجسم المختلفة، مع وجود جهاز هضمي معوي كبير.

٢ - النمط الأوسط mesomorphy ويغلب عليه نسبياً العظام والأنسجة والوصلات العضلية وهو ذو بنية عضلية قوية.

٣ - النمط الظاهري ectomorphy ويغلب عليه النحافة والطول والضعف ومساحة سطحية كبيرة بالنسبة إلى وزن الجسم، وله عظام طويلة رقيقة ومخ وجهاز عصبي مركزي كبير نسبياً.

كما قدم شيلدون أيضاً ثلاثة مكونات مزاجية أساسية هي ما يلي:

١ - النمط الحشوي:

ويتميز بحب الراحة والرفاهية أو الترف والاسترخاء ومغرم بالطعام والقدرة الاجتماعية والحاجة للآخرين حينما يحدث له اضطراب.

٢ - النمط الجسدي:

ويتميز بالحاجة إلى التدريب النشط الفعال والعدوانية وحصانة ضد التعب مباشرة والحاجة إلى الفعل الجسدي حينما يضطرب.

٣ - النمط المخي:

ويتميز بردود الأفعال السريعة بإفراط وضروب الكف الاجتماعية، والشكاوى الوظيفية وفرط الحساسية والتصميم والأرق، والحاجة إلى العزلة عندما يضطرب.

وتوجد معاملات ارتباط مرتفعة جداً بين المكونات المزاجية والأنماط الجسمية حيث يرتبط المزاج الحشوي بالنمط الباطني، والمزاج الجسدي بالنمط الأوسط والمزاج المخي بالنمط الظاهري.

ثانياً: محاولة اكتشاف عناصر الشخصية:

وإذا أمكن ذلك فإنه يمكننا وصف الشخص بأنه مكون من هذه أو تلك العناصر أو السمات. ويشبه هذا وصف المواد في علم الكيمياء بأنها مركبة من عناصر أبسط منها في التركيب متحدة بنسبة معينة. مثال ذلك، نظرية سمات الشخصية أو عوامل الشخصية.

الفصل الثالث

نظرية سمات الشخصية

نظرية سمات الشخصية ر. كاتل R. Cattell

المقصود بلفظ «سمة» أي خاصية يختلف فيها الناس أو تتباين من فرد لآخر، مثال ذلك نقول أن فلاناً مسيطر وآخر مستكين أو هذا جبان وذلك شجاع أو جريء. كما تتباين شدة الحساسية الانفعالية من شخص لآخر، وقد تكون السمة استعداداً، فطرياً كالسمات المزاجية مثل شدة الانفعال أو ضعفه وسرعته أو بطئه، والاتزان الانفعالي أو تقلبه... إلخ. وقد تكون السمة مكتسبة كالسمات الاجتماعية مثل الأمانة أو الخداع والصدق أو الكذب والشفقة أو القسوة وكذلك الميول والاتجاهات والعواطف. فالسمة إذن هي أي صفة فطرية أو مكتسبة يمكن أن تفرق على أساسها بين فرد وآخر. والسمات الشخصية لدى الفرد ثابتة رغم أنها تتباين من فرد لآخر، ولكن هذه الفروق توجد في مستويات مختلفة ويمثل الطرفين أو القطبين المتطرفين لها ما يلي:

أولاً: المظاهر الموضوعية للسلوك: فهناك الخصائص الجسمية والسمات الموضوعية أي التي يمكن أن يلاحظها ويبحثها آخرون غير الفرد ذاته ويتحققون منها ويحكمون عليها. من هذه السمات الطول والوزن وسرعة المشي بمعنى أن أي اثنين من الملاحظين يحصلون عملياً على نفس المقاييس.

ثانياً: أحداث سيكولوجية ذاتية: وهي أحداث داخلية لا تلاحظ

مباشرة من خارج الفرد. وقد درج الناس على تسميتها ظواهر نفسية كالمشاعر والرغبات والمخاوف والآراء والدوافع الكامنة. وفي هذا الطرف توجد آليات السلوك أو العقد التي لا يمكن رؤيتها بالمرّة بطريقة مباشرة وإنما يستدل عليها المحلل النفسي من آثارها، وهي تكون عقدة عميقة أو بطانة سفلية لبناء الشخصية.

وتقع سمات الشخصية بين هذين الطرفين أو القطبين من الخصائص الخارجية والداخلية. إنها صفات أكثر عمومية للسلوك الاجتماعي والانفعالي. إنها المظاهر العامة التي نستخلصها نتيجة ملاحظة الفروق الفردية بين الناس. ويميز كاتل R. cattel بين خصائص السلوك الظاهري السطحي والتي أطلق عليها سمات وصفية أو سمات سطحية وما يقع تحتها من خصائص عميقة لا يمكن ملاحظتها كالدوافع الكامنة والتي أطلق عليها سمات أساسية أو سمات أولية. وهذه السمات الأساسية هي المصادر الأولية التي تتفرغ عنها السمات السطحية أو الظاهرة. إنها التكوينات الأساسية التي تصنف السمات السطحية.

ويمكن تفسير العلاقة بين السمات الأساسية والسمات السطحية إحصائياً كما يلي. إذا وجد من التحليل العاملي Factor Analysis⁽¹⁾ أن هناك ارتباطاً بين مجموعة من السمات السطحية التالية: الجبن، فقدان الأمن، الذعر، القلق، الاكتئاب، سرعة التهيج، فسر ذلك على أن هذه السمات تنبع من مصدر واحد، هو ذلك العامل المشترك بينها جميعاً وليكن اسمه عقدة الذنب، وهي لذلك ترتبط فيما بينها. وهكذا يعبر هذا العامل كميًا عن السمة الأساسية المسؤولة عن ظهور تلك المجموعة

Cattell, R. B., et. al., The 16 Personality Factor Questionnaire. (1) Champaign. Institute of Personality and Ability Testing, 1950.

السابقة من السمات السطحية أو الصفات الظاهرة للسلوك.

والواقع أن العامل Factor هو التعبير الاحصائي أو الكمي عن احدى السمات الأساسية للشخصية أو إحدى المكونات الأساسية للشخصية. وبالمثل قد ترتبط مجموعة أخرى من السمات السطحية في تكوينات أو وحدات أخرى، أي سمات أساسية أخرى، مثل سمة «الإنشراح» Surgency، وهي سمة أولية تتألف من السمات البسيطة التالية: التفاؤل، الحماس، كثرة الكلام، البشاشة، المرح، الصراحة، التعبير واليقظة. وإذا حاولنا قياس كل من تلك السمات السطحية باختبار خاص، فإنها ترتبط إحصائياً فيما بينها لوجود عامل مشترك بينها جميعاً يعبر كميًا عن سمة الإنشراح. وبعبارة أخرى نجد هذه الاختبارات جميعاً مشبعة بهذا العامل.

ورغم ارتباط مجموعات من «السمات السطحية» البسيطة في تكوينات أكثر تعقيداً هي «السمات الأساسية»، فإن هذه السمات الأساسية مستقلة، بعضها عن بعض، وتكون المتغيرات الأساسية في الشخصية.

أي أنها العناصر الأساسية الكمية التي تعبر عن «المكونات الأساسية للشخصية». إن الشخصية بهذا المعنى، يمكن تحليلها إلى عناصر في الأماكن تقديرها كميًا، يطلق عليها «عوامل الشخصية Personality Factors» مثلها في ذلك، تحليل المركب الكيميائي إلى عناصر أساسية متحدة فيما بينها بنسب معينة.

وخلاصة القول، قد افترضت نظرية السمات بوجود استعدادات معينة عند الفرد، عامة وشاملة ومقعدة ومتداخلة، أهم ماتتيمز به هو الثبات والاستمرار.

وتعتبر هذه الاستعدادات أهم مكونات الشخصية، وهي التي تهيم الفرد للعمل وتحدد أسلوب سلوكه، والتصرف بشكل معين أثناء تفاعله مع بيئته وعند معالجته للمشكلات التي تصادفه. وهكذا، يمكن تعريف السمات بأنها «استعداد عام أو نزعة عامة تطبع سلوك الفرد بطابع خاص وتشكله وتلونه وتحدد نوعه وكيفيته».

نقد نظرية السمات:

رغم أهمية سمات الشخصية، فإنه ينبغي أن نضع في اعتبارنا الملاحظات التالية:

أولاً: إن تحليل الشخصية إلى سمات، هو نوع من التجريد يفقد أهم خصائص الشخصية وهو وحدتها. فوجود السمات لا يعني تفكك الشخصية أو أنها مجموعة متراسة من السمات المستقلة بجوار بعضها البعض، بل إن الشخصية وحدة متكاملة لا تتجزأ، أي أنها بناء متكامل من السمات بينها تفاعل ديناميكي متبادل، أي يؤثر بعضها في بعض باستمرار. فشدّة الانفعال تعطل التفكير وتشوه الإدراك، والتهور أو التعصب يفسد الحكم على الأمور، وهكذا.

ثانياً: إن نظرية السمات، لا تصف لنا ما تتسم به الشخصية من حيث هي وحدة وصيغة متكاملة، من صفات فريدة لا توجد في أي وحدة من السمات المنفردة مثال ذلك، مرونة الشخصية أو جمودها، وهي صفات تصف الأداء الوظيفي الكلي للشخصية.

ثالثاً: إن تحليل الشخصية لا يساعدنا على فهم تنظيم السمات في الإطار الكلي للشخصية. فقد يكون لدى شخصيتين نفس المجموعة من السمات، ومع ذلك يختلف تنظيم السمات في كليهما. مثال ذلك، قد

يتسم شخصان بالتملك والسيطرة إلا أنه في الأول قد يكون حب التملك وسيلة للسيطرة على الناس، بينما في الثاني قد تكون السيطرة وسيلة للاستحواذ أو التملك.

رابعاً: الدراسة العملية للسمات وقياسها غاية في الصعوبة للأسباب العديدة التالية:

١ - إنها غالباً ما تكون غامضة أو مبهمة المعنى. فالأشخاص المختلفون غالباً يبدون ضروباً مختلفة من السلوك في السمة الواحدة. فهناك سمات موضوعية من السهل قياسها، ولا يختلف في ذلك اثنين، مثل طول الشخص أو وزنه، وكذلك القدرة الميكانيكية والتحصيل الحسابي^(١)، وما شابه ذلك، يمكن أن تتضمن أنماطاً سلوكية معينة يمكن التعرف عليها بسهولة كبيرة ويتفق عليها الملاحظون (وبالرغم من ذلك، فإن عدم اتساق أحكام المختبرين وثباتها يشير إلى أن موضوعيتها محددة). ولكن هناك سمات أكثر تعقيداً مثل: القيادة والأمانة والمثابرة والانطواء، والعدوان والجبن... إلخ. فالسلوك الذي يفسره شخص ما بأنه سلوك عدواني، قد يسمه آخر «مخاطر ويطلق عليه ثالث إستعراض أو حب الظهور».

٢ - الذاتية في التفسير: يعتبر تفسير السمات، جزئياً، على المشاهد، حيث تؤثر شخصيته ووجهة نظره الخاصة فيما يلاحظه في سلوك

(١) كما أن هناك سمات جسمية مثل قامة الجسم وتناسب تقاسيمه، ودرجة صوت الشخص وطريقته في المشي من رشاقة وقبح وسرعة حركاته أو بطئها... إلخ، فإن هناك سمات عقلية، وهي ما لدى الشخص من ذكاء عام، وقدرات خاصة، وآراء ومعتقدات، وثقافة عامة وخاصة.

الناس، كما تؤثر في تفسيراته وتأويلاته لهذه السمات المسؤولة عن هذا السلوك. أي أن اختلاف الأحكام تتوقف على اختلاف الإدراك بين الأفراد لنفس المثير أو الموقف.

مثال ذلك، يرى بعض الأهالي من ذوي التقاليد القديمة في أفعال الطفل ما لا يعجبهم، فيرونها أفعالاً رذيلة تعبر عن التمرد بينما لا يرى ذلك والدان تقدميان في نفس السلوك، فهما إما لا يلاحظان شيئاً، أو يعتبران تلك الأفعال علامة على تلقائية الطفل. إننا نلاحظ هذا الميل في حياتنا اليومية، ومثال ذلك، نحن لا نقبل حكم شخص (أ) على شخص (ب) من حيث قيمته الظاهرة، إذا كنا نعتبر (أ) شخصاً متحيزاً (أو متعصباً)، وذلك لذاتية الأحكام التي يصدرها. وكذلك كلما زاد نفاذاً خلف خصائص السلوك الظاهري السطحي إلى الدوافع الكامنة ورائه، كلما تدخلت تفسيرات أكثر ذاتية. الروائي والمؤلف المسرحي والمؤرخ الذين يتفقون في تصوير الشخصية لا يعطون سجلاً واقعياً لأفعال الرجل فحسب خلال فترة ما، وإنما يختارون أكثر الأحداث أهمية ويستنتجون أو يحدسون مشاعر الرجل (وهي داخلية ذاتية ورغباته ومخاوفه وأرائه)، وكذلك يجمعون الحقائق في كل متكامل ذا معنى يشبه ذلك إلى حد كبير المحلل النفس أو السيكولوجي الإكلينيكي حينما يقوم بدراسة الحالة.

٣ - وقد لاحظنا أن أي سلوك بسيط يعتمد على عوامل متعددة في بناء الشخصية وفي البيئة، وحيث لا يستجيب الشخص طول الوقت بناء على السمة فحسب. مع ذلك، لا يعني هذا اليأس من محاولة قياس

سمات الشخصية أو تقييم الناس . فمن الواضح أن بعض الأفراد يسلكون بأسلوب ملموس أكثر من غيرهم وأكثر تكرارا، بحيث يتفق معظمنا في وصفهم «بالجبن» ووصف آخرين بأنهم أكثر شجاعة أو جرأة. وطبعاً، لا نستطيع قياس الجبن في وحدات مادية مطلقة كما نقيس الارتفاع ودرجة الحرارة... إلخ. ولكن ما دمنا نستطيع ترتيب الناس على هيئة رتب تصاعديّة منتظمة بالنسبة للسمة، أو نتفق بأن البعض مرتفع في هذه السمة والبعض منخفض، فإن متطلبات القياس الجوهرية تكون قد توفرت.

الفصل الرابع

نظرية التحليل النفسي

سيجمند فرويد

Sigmund Freud

(١٨٥٦ - ١٩٣٩)

نظرية التحليل النفسي

Psychoanalysis

معنى التحليل النفسي؛

يستخدم التعبير «التحليل النفسي» بمعاني متعددة فقد يعني نظرية معينة في علم النفس وضعها سيجمند فرويد^(١)، وقد يشير إلى مدرسة ذات اتجاه معين ووجهة نظر خاصة في الظواهر النفسية، ويدل أيضاً على طريقة خاصة في تشخيص وعلاج الاضطرابات العصابية والعقلية. وتتميز وجهة نظر التحليل النفسي بنظرة ديناميكية للحياة العقلية الشعورية واللاشعورية مع تأكيد خاص لظاهرة اللاشعور وبأسلوب خاص في الفحص والعلاج يعتمد على استخدام «التداعي الحر» أو، «الارتباط الحر» المتواصل.

وقد وجد اتجاه التحليل النفسي في فهم نمو الشخصية انتباهاً كبيراً

(١) ولد سيجمند فرويد Sigmund Freud في ٦ مايو ١٨٥٦ في فرايبيرج Freiburg بالمجر أو هنغاريا. بدأ حياته العملية كباحث ثم حصل على وظيفة محاضر في الأمراض العصبية بجامعة فيينا. ثم بدأ بممارسة خاصة في علم الأعصاب ١٨٨٦. عاش فرويد اليهودي معظم حياته في فيينا ولكنه هرب إلى لندن حينما حكم النازي البلاد حتى توفي عام ١٩٣٩.

خلال تعاليم فرويد . ولكن سرعان ما انشق عليه تلاميذة الأوائل وخرجوا بنظريات مختلفة وهم أدلر Adler، يونج Jung، ورائك Rank . وفيما بعد قام بعض المحللين النفسيين من أعضاء مدرسة لندن فروم Fromm وسوليفان Sullivan ورايك Reik، وجماعة شيكاغو بإعادة تفسير وتعديل اكتشافات فرويد كما قدمت آراء خاصة من علماء آخرين .

ولقد آثرت نظرية التحليل النفسي كثيراً من الجدل حول تصوراتها وتفسيراتها للحقائق وخاصة فيما يتعلق بمفهوم الشخصية والعصاب والنمو النفسي الجنسي وتفسير الأحلام، وسوف نقدم فيما يلي عرضاً موجزاً لها:

مفهوم الشخصية: بناؤها ودينامياتها

كانت مدرسة التحليل النفسي أول من وجهت الأنظار إلى أن الخبرات الانفعالية في الطفولة المبكرة تترك أثراً باقياً في بناء الشخصية مما يجعلنا نقرر أن الشخصية تتحدد معالمها إلى حد كبير في فترة الخمس سنوات الأولى من حياة الفرد . ففي هذه الفترة يتكون أسلوب الفرد في الحياة ويتحدد موقفه من المجتمع ومن نفسه، وتتحدد نظريته العامة إلى الأمور، وتتعين سمات الشخصية الأساسية، فينشأ منبسطة أو إنطوائياً، مسيطراً أو مستكيناً، واقعياً أو خيالياً . . . إلخ . ولهذا كان ضرورياً إن شئنا فهم شخصية الفرد البالغ أن نفهم طفولته المبكرة وأن نفهم صراعاته وانفعالاته وخبراته عموماً في تلك الفترة من حياته . ويكاد علماء النفس جميعاً الاتفاق على هذا الاتجاه . وهكذا كان فرويد أول من اكتشف حقيقة العلاقة بين تنظيم الشخصية للفرد الراشد وبين تربيته أو

طريقة معاملته في الطفولة. ويتحدد الشكل النهائي لشخصية الفرد نتيجة تفاعله أو صراعه مع العوامل البيئية المحيطة به أو مع البيئة الداخلية أي صراعه مع نفسه. ويتم ذلك غالباً في مستوى لا شعوري وهذه نقطة كشف هامة أخرى توصلت إليها نظرية التحليل النفسي، حيث أن اللاشعور لم يكن معروفاً من قبل لدى نظريات الشخصية المختلفة. ولذلك يجب دراسة الخبرات اللاشعورية للفرد أولاً حتى نستطيع أن نفهم وأن نتنبأ بما سيكون عليه مستقبلاً وقبل أن نتحكم في تشكيل هذه الشخصية أي في إعادة بنائها.

إن الدوافع والانفعالات المكبوتة والصراعات اللاشعورية والحلول اللاشعورية لهذه الصراعات، كل هذه تكون محوراً هاماً في دراسة الشخصية دراسة هدفها الفهم والتنبؤ والضبط. وفيما يلي أهم هذه المفاهيم:

مستويات النشاط العقلي

الآراء الأساسية في مفهوم فرويد الخاص بتكوين وبناء الشخصية نشأت مباشرة من خبرته في معالجة المرض العصائيين (أي المرضى النفسيين). لقد عرف مثلاً أن كثيراً من الاتجاهات والمشاعر التي يعبر عنها مرضاه لا يمكنها أن تأتي من الشعور، ولهذا لا بد أنها مستقرة في مستويات دنيا تحت الشعور. وأقنعتته خبراته التالية في العلاج أن اللاشعور كان محدداً ديناميكياً هاماً للسلوك. فقد لاحظ أن النواتج اللفظية لكثير من مرضاه كانت غير منطقية وغير متفقة بالمرة مع الوقت أو المكان وغريبة عن الشخصية أو خلق الشخص. لقد كان واضحاً له أن

مضمون الأفكار لا يمكن أن يكون صادراً عن الشعور أو أنه مستخلص من مستويات نشاط عقلي أدنى من التفتن الواعي. وبذلك استنتج فرويد من خبراته العلاجية وجود ثلاث مستويات من النشاط العقلي هي الشعور، ما قبل الشعور واللاشعور.

الشعور Conscious

إنه مستوى التفكير الواضح والفعل الظاهر، حيث يمكن استدعاء المواد الموجودة به بسهولة تلبية لمتطلبات البيئة. إنه الجزء الذي نفتن إليه تماما من العقل. وظاهرة الشعور هي معرفة النفس (أو العقل) لما تختبره، بل هي الخبرات ذاتها. وبتعبير أدق، هي المجموع الكلي لخبرات الفرد خلال حياته، والمجموع الكلي لخبرات الفرد في لحظة ما. ويفسر الشعور فسيولوجيا، بأنه الأثر المركزي للتنبيه العصبي أو الجانب الذاتي لنشاط الدماغ.

ما قبل الشعور Pre-conscious

يتكون من الذكريات والأفكار التي رغم أنها حاليا لا شعورية، فإنه يمكن استدعاؤها وتصبح شعورية، ولكن بشيء من الصعوبة، أي بمجهود إرادي يبذله الفرد للتذكر. وهي لذلك، طبوغرافيا، منطقة في العقل تتوسط الشعور واللاشعور. والمواد الموجودة في كل من الشعور وما قبل الشعور تتفق وتستجيب للواقع.

اللاشعور Unconscious

يتكون من الاتجاهات والمشاعر والأفكار التي لا تخضع للضبط الإرادي، ولا يمكن استدعاؤها إلى سطح الشعور إلا بصعوبة بالغة، إن

لم يكن بالمرّة، بواسطة محلل نفسي، وهي غير مقيدة بقوانين المنطق، ولا تخضع لقيود الزمان والمكان. ويتضمن اللاشعور المعاني البدائية التي لم تكن قط شعورية فضلاً عن الميول والرغبات والخبرات المكبوتة أي التي كانت شعورية فيما مضى ثم استبعدت من منطقة الشعور نتيجة لما تحدثه عادة من صراعات مؤلمة. والجانب اللاشعوري من العقل يظل في عمل مستمر أثناء اليقظة والنوم. ولا يمكن معرفة مضمونه بطريقة مباشرة، بل بواسطة تأويل الترابطات الحرة والأحلام. ويطلق لفظ لا شعوري على العوامل التي تؤثر في سلوك الفرد على الرغم من عدم شعوره بها.

دوافع السلوك

ترى مدرسة التحليل النفسي أن دوافع السلوك تنبع من طاقة بيولوجية عامة ويمكن تصنيفها إلى نوعين: دوافع الحياة ودوافع الفناء.

أولاً: دوافع الحياة: Eros

وهي نزعات بنائية أي قوى الحياة وهي قسمان:

أ - دوافع الأنا:

وهي تحفظ بقاء الذات خلال إشباع حاجات البدن أي إرضاء الحاجات الغذائية، ويحدث هذا بأسلوب مقبول اجتماعياً حيث يوجهها مبدأ الواقع. وقد يستخدم الأنا الكبت والإعلاء. ومقر هذه الدوافع هو الشعور واللاشعور ويمثلها في الجهاز النفسي الأنا والأنا الأعلى.

ب - دوافع «الليبدو» Libido (أو دوافع الجنس):

وتعبر عن نفسها في تشكيلة واسعة من النشاطات الباحثة للذة

حيث يوجهها مبدأ اللذة. ويبدو هذا في حب الذات وحب الآخرين والسعي المطلق وراء اللذة ومقرها اللاشعور ويمثلها في الجهاز النفسي الهو.

ثانياً: دوافع الفناء : Thanatos

وهي نزعات هدامة تعبر عن نفسها في صور عدوانية موجهة نحو الذات كسلوك الانتحار أو توجه نحو الآخرين كالحقد والقتل. ويوجه في هذه الدوافع مبدأ نرفانا Nirvana، وهو النزعة الغالبة على الحياة النفسية لخفض التوتر والتخلص منه وإعادة المادة الحية إلى الحالة العضوية التي كانت عليها من قبل، وهي حالة تتميز بالسكون والثبات. ومقر دوافع الموت أو الفناء هو اللاشعور ويمثلها الهو في الجهاز النفسي.

النمو النفسي الجنسي

أثارت النظرية الجنسية التي وضعها فرويد كثيراً من الاستنكار والدهشة والهجوم والنقد اللاذع حينما نقضت جميع الآراء الشائعة حول حياة الإنسان الجنسية مستنداً في ذلك إلى عدة حقائق معروفة منها الجنسية المثلية والانحراف الجنسي (كالخنثى) والتهيج الجنسي المبكر لدى بعض الأطفال. وقد توصل التحليل النفسي إلى اكتشافات عديدة في هذا الشأن أهمها:

- ١ - الحياة الجنسية لا تبدأ فقط أثناء المراهقة بل هي تبدأ عقب الولادة مباشرة في شكل واضح.
- ٢ - يجب التمييز بدقة بين معنى «جنسي» ومعنى «تناسلي». والمعنى

الأول هو المعنى الأعم وهو يتضمن أعمالاً كثيرة ليست لها أية صلة بالأعضاء التناسلية .

٣ - تشمل الحياة الجنسية على الوظيفة الخاصة بالحصول على اللذة من بعض مناطق البدن . وتدخل هذه الوظيفة فيما بعد في خدمة الوظيفة التناسلية وكثيراً ما يتعذر إتفاق هاتين الوظيفتين إتفاقاً تاماً .

إن سياق النمو الذي أكده فرويد هو تتابع جنسي ، حيث يوجد بالجسم ثلاث مناطق بالجسم رئيسية حساسة جنسياً وهي الفم والشرج والأعضاء التناسلية . وتزداد أهمية هذه المناطق مع النضج . ويرى فرويد أن الشخص يمر بثلاث مراحل في نموه النفسي الجنسي وهي المرحلة الطفلية ومرحلة الكمون ومرحلة التناسلية .

أولاً : المرحلة الطفلية :

تستمر هذه المرحلة حتى سن السادسة تقريباً ، وتنقسم إلى ثلاثة مراحل فرعية هي المرحلة الفمية والمرحلة الشرجية والمرحلة القضيبية .

أ) المرحلة الفمية :

المرحلة الأولى هي المرحلة الفمية حيث تحدث الصورة الرئيسية للإشباع عن طريق المص والبلع والعض . وتمتد هذه الفترة خلال الثمانية عشر شهراً الأولى من الحياة حيث يكون مبدأ اللذة سائداً . وتتكون هذه المرحلة من جزأين ، فمى سلبي وفمى سادي . فالرضيع الجديد لا يمكنه فعل شيء لنفسه ، إنه سلبي ، أي عالة معتمداً على الغير ، ويحيا فقط بمساعدة الآخرين . إن مصدر الإشباع الرئيسي هو الفم . ومن الطبيعي أن ينتقل الطفل إلى المرحلة التالية ، ولكن تعرضه لأي حدث مؤذي قبل

الانتقال قد يثبت «الليبدو» عند المرحلة الأولى. عند هذه المرحلة يكون الرضيع طفيلياً ومتفائلاً حيث أن جميع حاجاته تجاب دائماً، كما أنه عادة على الآخرين الذين يقومون برعايته. ويطلق على البالغين الذين يتصفون بتلك السمات أنهم أشخاص مثبتون فمياً «أي مثبتون عند المرحلة الفمية»، وهم يتسمون بالثبوت الشهوي أي تثبيت الليبدو عند تلك المرحلة المبكرة.

وبعد شهور قليلة يصبح الرضيع نشطاً ومطالباً، ويبدأ أيضاً في العض. إن المصدر الرئيسي للذة ما زال كامناً بالفم، إلا أن الإشباع يأتي الآن من العض فضلاً عن المص. ويسمى الطفل «سادياً» لأنه كثيراً ما يعض الثدي عند الرضاعة، ولكن هذا ليس إمتداداً جائزاً لمعنى السادية. فليس هناك ما يبرر أن تنسب إلى الطفل التعمد أو القصد في الأذى، مع أنه من المحتمل أن يقوى ويتعزز سلوك العض في هذه السن. ويحدث الفطام عادة في تلك الفترة. فإذا حدث الفطام فجأة وكان مكدرًا للطفل، فإنه يتوفر إمكانية أخرى لتثبيت الليبدو، وبناء على سلوك العض عند الرضيع، قد يوصف بأنه حقود ذو غل وعدواني. ونتيجة للنمو لا يمكنه الإستمرار في الاعتماد على طعام الثدي. وهكذا يتحول تفاؤله السابق إلى تشاؤم. ولذلك فإن البالغ الحقود، العدواني والمتشائم، يكون كذلك نتيجة تثبيت الليبدو لديه عند المرحلة الفمية السادية.

ب) المرحلة الشرجية:

وهي المرحلة التي تلي المرحلة الفمية وفيها ترتبط الإشباعات الرئيسية بنشاطات الإخراج. وتتداخل هذه الفترة مع الجزء الأخير من الفترة الفمية، وتمتد حتى الرابعة من العمر تقريباً، حيث يبدأ مبدأ الواقع

في تعديل مبدأ اللذة. في هذه المرحلة، يبدو أن الطفل يجد لذة في منطقة الشرج، إما بالأخراج أو بحفظ البراز. ويكمن الخطر الرئيسي الآن من تثبيت الليبدو في التدريب على الإخراج. وإذا كانت الأم قاسية جداً، ولا يستطيع الطفل تنفيذ أوامرها، فإن الصراع الناشيء بينهما ينجم عنه السلبية والرفض من جانب الطفل. إن خصائص الشخص البالغ كالبخل والعناد وعدم الثبات والتمرد، هي خصائص شرجية ينسبها فرويد إلى تثبيت الليبدو عند المرحلة الشرجية نتيجة الصعوبات أثناء التدريب على الإخراج.

ج) المرحلة القضيبية:

حينما ينمو الطفل السوي ينتقل من المرحلة الشرجية إلى المرحلة القضيبية، حيث يبدو أن الطفل يجد لذة في اللعب بأعضائه التناسلية. وتمتد هذه المرحلة بين الرابعة والسادسة من العمر، حيث يستمد الإشباع أساساً من الأعضاء التناسلية. وتنشأ «عقدة أوديب» في هذه المرحلة. فقد لاحظ فرويد أن الطفل الذكر ينجذب جنسياً نحو الأم، ويبدأ كراهية وغيره نحو الأب. وينسب فرويد هذا إلى المنافسة الجنسية. واستعار فرويد إسم «أوديب» من أسطورة إغريقية وهي «أوديب ملكا»، وأطلقه على هذه العقدة النفسية. أي نسبة إلى «أوديب» أمير «كورينث» الذي قتل والده (دون تعمد أو دراية بأنه أبوه)، وتزوج أمه «جوكاستا» ملكة طيبة (دون أن يعلم من تكون هي، وأصبح ملكاً على طيبة).

وعقدة أوديب هي أحد المظاهر البارزة للمرحلة الطفلية، حيث يحدث خلال تلك المرحلة إزاحة من النرجسية إلى إشباع الأشياء الوهمية. ولما كان الآباء هم المصدر الرئيسي للإشباع الوجداني، فإنهم

يصبحون الأشياء الأولى لمثل هذا الوهم. نتيجة لذلك، يصبح الأولاد متعلقين بأمهاتهم وينظرون لآبائهم كمنافسين لهم. هذا الموقف يسمى «عقدة أوديب». ويقابل هذا الموقف عند الفتاة ما يسمى «عقدة إلكترا». ولكن الرغبات الأوديبيّة تكبت نتيجة التهديد بالخصاء الذي قد ينوه عنه الوالدان ضمناً أو بوضوح.

ثانياً: مرحلة الكمون:

إن الميل الجنسي - حسب فرويد - يكبت بعد سن الخامسة أو السادسة، ويدخل الطفل في مرحلة كمون تستمر حتى البلوغ. أي أن هذه المرحلة تمتد من نهاية المرحلة القضيبية تقريباً إلى مطلع المراهقة (حوالي الثانية عشرة من العمر). في هذه المرحلة تكون الحوافز الجنسية كامنة، بينما يستمر النمو العقلي والاجتماعي والأخلاقي للفرد في الإطراد.

ثالثاً: المرحلة التناسلية:

يصل اللبido بواسطة النضج إلى المرحلة التناسلية حيث تصل شخصية البالغ إلى تمام نموها.

ويتم النمو النفسي الجنسي حينما يبلغ الفرد توافقاً مرضياً في المرحلة التناسلية. فعند مطلع البلوغ تعود الحياة الجنسية الطفلية إلى النشاط، وكذلك الحوافز اللبيدية (الشهوية) الفمية والشرجية والقضيبية تتولد من جديد. في مبدأ الأمر تكون هذه الحوافز غالباً نرجسية أي أنها موجهة نحو الإرضاء الذاتي للفرد أكثر من إعطاء الحب للآخرين. وكلما تحرك الفرد بعيداً عن هذه النرجسية فإن الموضوع الأول للحب يكون

غالباً واحد من الجنس الآخر. هذا الإختيار ليس محددًا بيولوجياً، ولكن ينشأ من الوضع الثقافي الذي يؤكد الفصل بين الجنسين عند هذا العمر. وباستمرار النمو يسعى المراهق إلى الإشباعات الجنسية الغيرية التي كانت في مبدأ الأمر إشباعات نرجسية يسيطر عليها مبدأ اللذة. وحينما تصل شخصية البالغ إلى تمام نضجها، فإنها تتسم بالخصوبة، والاعتمادية. والتعاون.

بناء الشخصية

يتصور فرويد بناء الشخصية النفسي كأنه جهاز نفسي يتكون من ثلاثة نظم:

١ - الهو ID

هو ذلك الجزء اللاشعوري من العقل الذي تنشأ فيه النزعات الغريزية والرغبات المحظورة. والهو لا يعرف شيئاً عن الواقع وبذلك لا يعرف الصواب والخطأ. إنه يعبر عن رغبات الجسم الحيواني. و«الهو» هو النظام الأصلي للشخصية، وهو الكيان الذي يتميز منه الأنا والأنا الأعلى. ويتكون الهو من كل ما هو موروث وموجود سيكولوجياً منذ الولادة بما في ذلك الميول الفطرية (الغرائز).

إنه مستودع الطاقة النفسية، كما أنه يزود العمليات التي يقوم بها النظامان الآخران بطاقتهما. والهو وثيق الصلة بالعمليات الجسمية التي يستمد منها طاقاته. ويطلق فرويد على الهو إسم «الواقع النفسي الحقيقي» لأنه يمثل الخبرة الذاتية للعالم الداخلي، ولا تتوفر له أية معرفة بالواقع

الموضوعي . إن الهو لا قبل له بتحمل تزايد الطاقة التي يعانيتها بوصفها حالات من التوتر غير المريح . ونتيجة لذلك عندما يتزايد التوتر لدى الكائن الحي سواء أكان ذلك راجعاً إلى تنبيه خارجي أم إلى تهيجات داخلية ، فإن «الهو» يعمل بطريقة من شأنها تفريغ التوتر مباشرة ، وعودة الكائن الحي إلى مستوى ثابت منخفض ومريح من الطاقة . ويسمى مبدأ خفض التوتر الذي يعمل الهو وفقه «مبدأ اللذة» .

٢ _ الأنا Ego

هو الجزء السطحي من الهو الذي تعدّل بتأثير الخبرة . أي أنه ذلك الجزء المنظم من الهو . وهو يخرج إلى الوجود لأن حاجات الكائن البشري تتطلب تعاملات مناسبة إزاء عالم الواقع الموضوعي . ويسهم في تكوين الأنا أعضاء الحس وعملية التفكير الشعوري . والأنا هو الجهاز الإداري للشخصية ، فهو يتحكم في الهو وسيطر على منافذ العقل والسلوك ، ويختار من البيئة الجوانب التي يستجيب لها ، ويقرر أي الغرائز التي سوف تشبع والكيفية التي يتم بها ذلك الإشباع . والأنا عند قيامه بوظيفته يخضع لمبدأ الواقع . ودوره الأساسي هو التوسط بين المطالب الغريزية للكائن الحي وظروف البيئة المحيطة به . إن أهدافه الأساسية هي المحافظة على حياة الفرد والعمل على تكاثر النوع .

٣ _ الأنا الأعلى Super Ego

هو نوع من الضمير البدائي ، لا شعوري إلى حد بعيد ، يتكون خلال تقبل الطفل المثل العليا للوالدين والمدرسين والكبار في حياته ، فهو يتقمص شخصية الراشدين الذين يدرّبونه . إنه يمثل سلطة داخلية أو

«والدين داخلين». فهؤلاء ينقلون إليه القيم والعقائد والمثل العليا التي يتفق عليها المجتمع. فهو بذلك يناقض ويعارض الهو، كما يعارض أيضاً الأنا حينما يتفق مع الهو. إن الأنا الأعلى هو الدرع الأخلاقي للشخصية، إنه يمثل ما هو مثالي وليس ما هو واقعي.

إن الضمير يعاقب الشخص المخطيء بأن يجعله يشعر بالإثم. ويتكوّن الأنا الأعلى محل الضبط الذاتي محل الضبط الصادر عن الوالدين.

ديناميات الشخصية،

بالرغم من أن كل جزء من هذه الأجزاء أو النظم للشخصية الكلية له وظائفه وخصائصه ومكوناته ومبادئه التي يعمل وفقها، ودينامياته وميكانيزماته، فإنها جميعاً تتفاعل معاً تفاعلاً وثيقاً بحيث يصعب إن لم يكن مستحيلًا فصل تأثير كل منها، ووزن إسهامه النسبي في سلوك الإنسان. فالسلوك يكون دائماً - في الغالب - محصلة تفاعل بين هذه النظم الثلاثة ونادراً ما يعمل أحدهما بمفرده دون النظامين الآخرين. فالهو والأنا الأعلى يمثلان كلاهما تأثير الماضي. فالهو يمثل الوراثة، والأنا الأعلى يمثل التأثيرات الأبوية، أما الأنا فتحده أساساً خبرة الفرد الخاصة ويمثل الحاضر الواقعي.

إن وظيفة الأنا هو توجيه وتنظيم عمليات توافق الشخصية مع البيئة وكذلك تنظيم وتوجيه الدوافع التي تحفز الشخصية إلى العمل وهو الذي يسعى جاهداً لتحقيق إمكانيات الشخصية والوصول بها إلى الأهداف المرسومة إلا أن الأنا مقيد في هذه العمليات بما يصدر عن الهو من رغبات محظورة وكذلك بما يصدر عن الأنا الأعلى من أوامر ونواهي

وتأثيرات وتوجيهات قد تمنعه من العمل كما يحدث في حالة الأمراض العصبية أو في حالة إيقاع الضرر أو العقاب بالذات. وإذا عجز الأنا عن التوفيق بين ما يتطلبه الهو وما يتطلبه الأنا الأعلى، فإن الفرد يقع فريسة للإضرابات النفسية التي تتعدد أعراضها.

وتخضع الشخصية في نموها ودينامياتها لمبادئ أساسية هي القوانين التي تسيّر وفقاً لها الحياة النفسية وسلوك الإنسان بوجه عام. وقد سبق ذكر هذه المبادئ خلال عرضنا السابق وهي كما يلي:

١ - مبدأ اللذة: إن كل سلوك ينشأ في بادئ الأمر من حالة توتر مؤلم ويهدف للوصول إلى خفض ذلك التوتر. وبذلك يتجنب الإنسان الألم ويحصل على اللذة. وسيطر هذا المبدأ على شخصية الطفل وشخصية العصبي ومحتويات الهو في شخصية الكبار بوجه عام.

٢ - مبدأ الواقع: يسيطر هذا المبدأ على عمليات الأنا. وهو ينمو باطراد تدريجياً وتزداد سيطرته مع تطور الحياة النفسية من اللاشعور إلى الشعور.

٣ - مبدأ إجبار التكرار: ويسميه فرويد «ما وراء اللذة». فيرى أن الإنسان يميل بطبعه إلى تكرار الخبرات القوية السابقة أي كانت النتائج التي قد تترتب على هذا التكرار أي بصرف النظر عما إذا كانت نتيجة التكرار خبرات نافعة لحياة الإنسان (بخفضها التوتر)، أم مؤلمة لديه (بزيادتها التوتر). ويرى فرويد أن هذا المبدأ أكثر تغلغلاً وقداً في الحياة الإنسانية بالرغم من أنه يبدو معارضاً لمبدأ اللذة الذي تقوم وظيفته على خفض التوتر النفسي إلى أدنى درجة ممكنة.

وترى مدرسة التحليل النفسي أن الفرد كائن بيولوجي يدخل في

صراع مع البيئة باعتباره طاقة غريزية موروثة لا يلبث أن تنمو نتيجة ذلك الصراع الخارجي باقي مكونات الجهاز النفسي التي تحول الصراع إلى عملية داخلية فضلاً عن كونه عملية خارجية.

ولكن فرويد يرى أن المصادر البيئية للاستثارة تقوم بدور أقل أهمية في ديناميات الشخصية بالقياس إلى الغرائز الفطرية. وبصفة عامة فإن المنبهات الخارجية بالقياس إلى الحاجات الداخلية تفرض على الفرد مطالب أقل، كما تتطلب أشكالاً من التوافق أقل تعقيداً. وفي استطاعة المرء دائماً الهرب من منبهه خارجي، على حين يستحيل عليه الهرب من حاجة داخلية. وبالرغم من أن فرويد وضع المنبهات البيئية في مرتبة ثانوية فإنه لم ينكر أهميتها في ظروف معينة. فقد يؤدي مثلاً إفراط التنبيه في السنوات المبكرة من الحياة^(١) إلى أضرار بالغة تلحق بالشخصية كما في حالة القلق مثلاً.

وإذا أراد الأنا أن يحكم الشخصية حكماً عاقلاً فعليه أن يضبط كلا من الهو والأنا الأعلى، مع مراعاة أن يتبقى لديه قدر كاف من الطاقة للقيام بالصلوات الضرورية بالعالم الخارجي. أما إذا قام الهو بالسيطرة على قدر كبير من الطاقة فإن سلوك الشخص يصبح طابعه الإندفاع والبدائية. وعلى عكس ذلك إذا كان الأنا الأعلى متحكماً في قدر زائد عن الحد من الطاقة فإن الاعتبارات الخلقية ستكون لها الغلبة على أداء الشخصية لوظائفها بدلاً من الاعتبارات الواقعية. إن شحنات الضمير

(١) حين يفتقر الأنا غير الناضج إلى القدرة على التحكم في كميات كبيرة من الطاقة الطليقة أي التوتر.

المضادة قد تقيد الأنا بقيود أخلاقية وتحول دون أي نوع من العمل، وقد تضع شحنات الأنا المثالي معايير بالغة الارتفاع بحيث يجد الشخص نفسه في إحباط مستمر.

وهكذا نجد ديناميات الشخصية تقوم على تفاعل وتشابك بين قوى دافعة محرّكة وقوى أخرى كابحة أو مقيدة. إن جميع الصراعات في الشخصية يمكن إرجاعها إلى تعارض هاتين المجموعتين من القوى. هذا هو التصور الدينامي الذي يختزل الحياة العقلية إلى تفاعل متبادل بين قوى تلح وتدفع وأخرى تصد وتضبط. ويبلغ هذا التعقيد مداه عندما يفسد الهو في بعض الأحيان الأنا الأعلى، ويحدث هذا مثلاً عندما يندفع الشخص في نوبة من الحماس الأخلاقي في أعمال عدوانية (والعدوان من غرائز الهو) حيال من يعتبرهم أشرار آثمين. إن التعبير عن العدوان في مثل هذه الأحوال يتخفى وراء قناع من الغضب للحق والفضيلة.

الصراع النفسي

الحياة سلسلة من مواقف الصراع وبناء عليها تتكون الشخصية. بعض الصراعات التي أشار إليها فرويد هي الصراعات بين البحث عن اللذة والواقع، الحب والكراهية، السلبية والنشاط. النمو والترقي نحو النضج يتوقف على نجاح الفرد في حل تلك الصراعات. الواقع أن فرويد يؤكد بالحاح أهمية القوى المحركة المغمورة في اللاشعور. توجد حرب شعواء قائمة بين قوى الحياة (إيروس) وقوى الموت «ثاناتوس». فكل منهما تعمل ضد الأخرى متخذة قطباً نفسياً متعارضاً في اللاشعور. وتفسر غريزة الموت نزعات الإنتحار في بعض الناس والنزعات السادية

كتعذيب المحبوب في الشخص الآخر. والتعارض والصراع قائم بين الهو والأنا الأعلى وكلاهما يمثل تأثير الماضي، فالهو يمثل الوراثة، والأنا الأعلى يمثل التأثيرات الأبوية والاجتماعية. أما الأنا الذي يمثل الحاضر الواقعي فيحاول البقاء مسالماً ومنتظماً في هذا الصراع بين الهو والأنا الأعلى. إن وظيفته هي توافق الشخصية مع البيئة، وذلك بتنظيم وتوجيه الدوافع التي تدفع الفرد إلى العمل ومحاولة تحقيق إمكانيات الشخصية والوصول بها إلى الأهداف المرسومة. إلا أن الأنا مقيد بما يصدر عن الهو البدائي من رغبات محظورة. إن عليه أن يوجه العمليات الخاصة بالتعبير عن قوى الهو، إلا أنه أيضاً يخضع لأوامر ونواهي الأنا الأعلى. وهكذا، ما لم ينجح الأنا في التوفيق بين القوى المتصارعة وبين مقتضيات العالم الخارجي فإن الشخص يصاب بالعجز والاضطراب النفسي.

وقد يلجأ الأنا إلى عملية كبت الدوافع الغريزية متفقاً في ذلك مع أوامر الأنا الأعلى. إنه بذلك يظن أنه بسجنها ومنعها من التعبير عن نفسها قد أصبح صاحب سلطان ذاتي. إلا أن فرويد يرى أن الكبت في الواقع يدل على ضعف الأنا، فإن قوى الهو في معركتها مع الأنا لن تقنع بالبقاء خاملة، بل تعبر عن نفسها في صورة عرض عصابي، وتتمتع بحياة شامته بعيدة عن نظام الأنا، كما يحدث في الأفعال القهرية الوسواسية. مثال ذلك حينما يصاب المرء بنزعة قهرية لغسل يديه عشرات المرات في اليوم الواحد رغم نظافتها. إن هذا العرض القهري يهزم لجد ما كبتاً سابقاً بواسطة الأنا. أما الأنا القوي والذي يمثل الخبرة الخاصة، هو الذي ينجح في التخلص من العوائق والقيود التي تمنعه من أداء عمله، وذلك بالتوفيق بين ما يتطلبه الهو والأنا الأعلى وظروف العالم الخارجي،

وما يؤدي إلى التوافق النفسي والاجتماعي للفرد.

الصراعات اللاشعورية،

أحياناً يوجد تصارع بين دافعين أو أكثر، دون تسمية لفظية، فتنشأ معركة حامية دون أن يعرف الفرد الأطراف المتنازعة. إنه يفطن فقط إلى التوتر الناجم وإلى بعض نتائجه. وبهذا يخرج الأمر كله عن الضبط الإرادي ولا يخضع لسيطرة الشخص. وقد يقوم الفرد بأفعال تبدو أموراً غريبة بالنسبة له، مثال ذلك، يجد الفرد نفسه مضطراً إلى عدّ أعمدة التلغراف أو عدّ طوابق العمارات الشاهقة بينما يقود سيارته ويحجز الطريق مغلقاً خلفه حتى ينتهي من العد، وقد يخجله هذا السلوك الشاذ أو قد يؤدي إلى مشكلات في التوافق مع الآخرين. ومثال آخر، أن يجد الشخص نفسه مضطراً إلى أن يمر ببصره حول محيطات الأشياء التي يمر عليها. وربما يجد أن طاقته العقلية قد استنفذت دون طائل ويصبح غير قادر على اتخاذ حتى أبسط القرارات في أي عمل يقوم به. كل هذا ينشأ عن الصراع بين الدوافع المكبوتة أو اللاشعورية.

مما سبق تتضح وجهة نظر التحليل النفسي في تفسير الديناميكية السيكولوجية ونظم الشخصية، ودوافع السلوك.

نقد نظرية التحليل النفسي

إن اكتشافات مدرسة التحليل النفسي عديدة، وكان لها أثر جوهري في علم النفس الأكاديمي في النصف الثاني من القرن العشرين. ومع ذلك، فقد أثارت بعض تصوراتها وتفسيراتها للحقائق كثيراً من الجدل،

كما كان البعض الآخر وبخاصة النظرية الجنسية التي وضعها فرويد موضع استنكار عنيف وهجوم ونقد لاذع. ولم يقتصر النقد على النظرية الجنسية وإنما شمل أيضاً كثيراً من المفاهيم التي أوردتها نظرية التحليل النفسي، مثل مفهوم الشخصية والعصاب والصراع وتفسير الأحلام وغيرها. وفيما يلي أهم أوجه النقد:

١ - نظرية فرويد ليست مقنعة علمياً لكثير من السيكولوجيين:

هذه النظرية كعمل سيكولوجي تأخذ كنقطة بداية خصائص معينة لسلوك المراهق، وتحاول أن تبين كيف أنها قد تنمو نتيجة لأحداث في خبرات الشخص الأولى. بيد أن هذه النظرية قد بالغت في تعميم الملاحظات التي بنيت عليها. وهي في الحقيقة لا تعدو أكثر من برنامج للبحث ما زال عاجزاً عن تقديم دليل مقنع على صحته. أن حجة التناظر بين الطفولة ومرحلة الرشد في شخص ما كثيراً ما يكون تناظراً لفظياً أو استعارة أكثر من أن يكون تناظراً وظيفياً، أي بتوضيح العلاقات الوظيفية في الحالات الفردية. فبالرغم من أن مشاهدات الجنسية الطفلية قد تكون سليمة وتكرر كثيراً، إلا أنها لا تقدم دليلاً لإثبات صدق مفهوم النمو اللبيدي أو التشبث اللبيدي لأنهما معرضان لتفسيرات أخرى. إن الملاحظات أو البيانات التي نحصل عليها قد لا تتعارض مع هذه الحجة، ومع ذلك فهي لا تعطى دليلاً لتأييدها. فالنظريات يمكن إثبات خطئها بواسطة الحقائق التي لا تتفق معها، ولكن لا يمكن البرهنة على صحتها بواسطة الحقائق التي تتفق معها.

إن سلامة مفهوم «الجنسية الطفلية» عند مستوى السلوك لا يؤكد حقيقة نظرية «شخصية الفرد البالغ» التي بنيت على أساسه. رغم الجاذبية

التي لا قامها التحليل النفسي لدى الجماهير فهو ليس جزءاً متكاملًا مع علم النفس الأكاديمي. وفيما يلي بعض الأسباب الرئيسية التي توضح أن نظرية فرويد ليست مقنعة علمياً:

أ - نظرية التحليل النفسي بنيت على أساس بيانات لا يعتمد عليها:

تلك البيانات هي مجرد عبارات ذكرها المرضى عن أنفسهم، إنها تأملات باطنية أي ذاتية، وليست أفضل من البيانات التي استخدمها البنيويون. بل إنها في الحقيقة قد تكون أكثر إفتقاراً، لأن المرضى يكونون مضطربين عندما يتأملون ذاتهم، أي أثناء عملية الإستبطان. فضلاً عن ذلك. إن المرضى غير مدربين على القيام بالملاحظة الذاتية الباطنية أي بملاحظة العمليات العقلية. وإذا كانوا مدربين خلال فترة التحليل النفسي، فإنه من الممكن أن يكونوا متحيزين في تقرير ما يتوقعون ملاحظته. بالإضافة إلى ذلك فإن تلك التقارير تكون ذاتية وفردية لا يمكن تعميمها، وغالباً لا يمكن مراجعتها مع مصادر مستقلة، أي لا يمكن الكشف عن صحتها بواسطة مصادر أخرى مستقلة. وفي الحقيقة، إن فرويد في حياته المهنية المبكرة قد خدع بواسطة تقارير المرضى من الأحداث المغتصبين جنسياً، وفيما بعد اكتشف أن تلك التقارير كانت خيالية أو وهمية فقط. تلك البيانات الأولية قد تشوّه أكثر بواسطة المحلل نفسه - لأنه من الطبيعي أنه يسجل جزءاً فقط مما يقوله المريض.

ب - نظرية التحليل النفسي أسرفت في تعميماتها:

بنى التحليل النفسي على كلمات مرضى الطبقة المتوسطة في فيينا وما يكون حقيقياً بالنسبة للطبقة المتوسطة في فيينا قد لا ينطبق على الناس جميعاً. وما قد يكون حقيقياً لدى المرضى النفسيين قد لا يصدق

لدى الأصحاء عقلياً أو نفسياً. وما ينطبق على أفراد قد لا ينطبق على سلوكهم في مجموعات. والظواهر النفسية للناس في وقت ما قد تختلف عن هؤلاء الذين عاشوا في فترات تاريخية أخرى. ومع ذلك فإن مبادئ التحليل النفسي قد أخذت على أنها عالمية، فقد استخدمت لتفسر سلوك الناس أفراداً أو في مجموعات، وفي مجتمعات بدائية أو مرتفعة الثقافة، ومن عاشوا في أي فترة من الأزمنة القديمة حتى أوقاتنا الحالية. وطبقت النظرية على ناس حقيقيين وعلى شخصيات وهمية لم توجد إلا في الخيال فقط، وعلى الناس الذين ضموا إلى قائمة القديسين، وعلى الآخرين الذين نذكرهم فقط من أجل خطاياهم (راسبوتين مثلاً).

ج - تفسيرات التحليل النفسي غير مانعة (أي ليست قاصرة عليها):

كثير من الحقائق قد وضعت كبراهين على صحة التحليل النفسي وبعضها فعال جداً، ولكن تقدم العلم يكون أبطأ بالبرهان عنه بإبطال البرهان، فيمكن إثبات خطأ النظريات بواسطة الحقائق التي لا تتفق معها، ولكن لا يمكن البرهنة على صحتها بواسطة الحقائق التي تتفق معها. فالملاحظات (المشاهدات) التي أخذت كبراهين في التحليل النفسي غالباً ما يكون لها تفسيرات أخرى. والمحللون النفسيون لم يقوموا باختبارات متقنة لتلك التفسيرات البديلة. ومن جهة أخرى، إن عبارات التحليل النفسي غالباً ما يكون مستحيلاً إختبارها تجريبياً في أي اتجاه.

٢ - إن نظرية التحليل النفسي في تفسيرها للظواهر السلوكية تستخدم مفهومات أقرب إلى الكائنات الخرافية منها إلى المفهومات العلمية. فالشخصية أو الجهاز النفسي - في نظر فرويد - أشبه بمسرح تتصارع فيه قوى مختلفة وكان لها كيانياً خاصاً. فالهوى يتصارع مع الأنا

الأعلى، والأنا يحاول التوفيق بينهما. وهناك أيضاً «الرقيب» الذي يترصد «العقد النفسية» الموجودة في اللاشعور التي تحاول التعبير عن نفسها ولكنه يمنعها، فتحاول خداعة بأن تمر من الحصار متنكرة في صور رمزية.

إن هذه المفهومات توحى بقوى خرافية غامضة تحتاج هي نفسها إلى تفسير. وينظر إليها البعض نظرتة إلى الأرواح والشياطين، التي كان يعتقد قديماً أنها تسكن النفس وتسبب السلوك الشاذ. وترى المدرسة السلوكية أن هذه المفاهيم ما لم تسمح بالملاحظة وتخضع للدراسة التجريبية فإنها لن تحقق فائدة علمية. ولذا يجب أن تصاغ بعبارات سلوكية أي تعرّف إجرائياً، وعندئذ فقط يقف العالم أمام ظواهر محددة تصلح للدراسة العلمية.

٣ - يفسر فرويد الأنماط السلوكية وظواهر الشخصية بناء على نظريته في النمو النفسي الجنسي. فالنمو يحدث وفقاً لتطور الطاقة الغريزي (الفطري) في مراحل متعاقبة هي المراحل الفمية، والشرجية، والقضيبيّة ثم مرحلة الكمون والمرحلة التناسلية. إن هذا التطور الفطري أو الغريزي، كما صوره فرويد، يسير بصورة حتمية جامدة يخضع لها كل فرد. فضلاً عن ذلك فإن هذا التطور، كما تصوره فرويد أساسه بيولوجي في المقام الأول بصرف النظر عن الظروف البيئية التي ينشأ فيها الفرد. وقد كشفت الدراسات الأنثروبولوجية عن إختلافات شاسعة بين شخصيات الأطفال في بعض المجتمعات البدائية ونظيرهم في المجتمعات المتمدينة التي بنى عليها فرويد تصورات. بل إن أطفال المجتمع الواحد يختلفون فيما بينهم.

واليوم، لم يعد مقبولاً من علماء النفس هذا التطور النفسي بجموده

وحتميته. إن أسلوب فرويد في التفكير كان يعتمد على التأمل الذاتي، وكان ينبغي أن يبنى على الملاحظة الموضوعية العلمية. كما أنه وقع في خطأ تعميمات بعض الملاحظات الشخصية لفئة من الأفراد المضطربين. كما أنه في تفسيره للظواهر السلوكية والشخصية في بنائها ودينامياتها كان يبحث في غرائز الفرد التي تنمو فيه بشكل محدد ثابت، بينما ينبغي إن أردنا فهما متكاملًا للشخصية أن نأخذ في الاعتبار الظروف الثقافية والاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد. فالطفل يتشكل اجتماعياً حسب العوامل الاجتماعية المؤثرة فيه وهي بلا شك عوامل متباينة تختلف من مجتمع لآخر ومن فرد لآخر.

٤ - تعترض كارين هورني بشدة على مفهوم فرويد عن «حسد القضيب» بوصفه العامل المحدد لسيكولوجية المرأة. فقد لاحظ فرويد أن المشاعر والاتجاهات المميزة للمرأة وأشد ألوان الصراع لديها ينبعان من شعورها بالنقص التناسلي ومن غيرتها من الذكر. وتعتقد هورني أن سيكولوجية المرأة تقوم على الإفتقار إلى الثقة، وعلى الإسراف في تأكيد أهمية علاقات الحب، وأن علاقة نفسية المرأة بتشريح أعضائها الجنسية ضئيل للغاية.

وفيما يتعلق بعقدة أوديب، فلا تعتقد هورني أنها صراع «جنسى عدواني» بين الطفل والديه، وإنما هي قلق نتيجة إضطرابات أساسية كالنبذ مثلاً أو الإسراف في الحماية أو العقاب في علاقة الطفل بأمه وأبيه.

إن العدوان «ليس فطرياً كما يقرر فرويد، وإنما هو وسيلة يحاول بها الإنسان حماية أمنه».

كما ترى هورني أن «الترجسية» ليست حب الذات حقيقة وإنما هي

تعظيم الذات والمبالغة في تقديرها نتيجة مشاعر فقدان الأمن .

٥ - ترى هورني أن جذور الأخطاء في تفكير فرويد تكمن في الاتجاه البيولوجي الميكانيكي . وترى أن القيود التي تُكبل التحليل النفسي وتعوق تطوره هو كونه سيكولوجيا غريزية إرتقائية . ولذا، لكي ينمو التحليل النفسي يجب أن يتخلص من هذه القيود . وباستئصال هذه الأخطاء، يستطيع التحليل النفسي أن يحقق إمكاناته كعلم للإنسان .

٦ - إن هورني، على عكس فرويد، لا تعتقد أن الصراع النفسي جزء من طبيعة الإنسان وإنه لا مفر منه، بل ترى أن الصراع ينتج من الظروف الاجتماعية . وبينما يستطيع الشخص السوي حل الصراعات بإضفاء التكامل بين الاتجاهات المتصارعة، نجد أن العصابي يستخدم بسبب زيادة قلقه الأساسي حلاً غير منطقية ومفتعلة . ويمكن تجنب جميع هذه الصراعات أو حلها إذا نشأ الطفل في أسرة يتوفر فيها الأمن والثقة والحب والاحترام والتسامح والدفء العاطفي .

٧ - إن تعميمات التحليل النفسي رغم أنها عمل خاطيء فهي ليست كثيرة بحيث تكون غير محتملة، ولكن لا يمكن تأكيد صدقها أو زيفها . وبالمثل، كثيراً ما نجد في علم النفس ما يعتمد على تقارير لفظية أو مكتوبة عن خبرات الناس، إلا أن إختلافها عن بيانات التحليل النفسي يكمن فقط في أنها أقل تعقيداً .

إن اختيار البيانات هو أيضاً مشكلة تواجه السيكولوجيين من جميع المدارس، مع أن التحيزات التحليلية قد تجد صعوبة أكثر من غيرها في التصحيح الذاتي .

على أية حال إن تقارير الجلسات العلاجية أصبحت الآن شائعة، والعرض الموضوعي للتحليل لم يعد مستحيلاً بعد فشلها علمياً، لأن ما يهم المحلل ليس هو ما يقوله الشخص، ولكن ما يهمه هو ما تعبر عنه كلماته. إن الكلمات التي يلفظها الشخص يمكن حفظها بتسجيلها في شريط لكي يسمعها العالم أجمع، ولكنه لن يسمع الهو، والأنا، والأنا الأعلى لذلك الشخص، ولا أحد حصونه الدفاعية، وهذه جميعاً هي ما يهتم بها المعالج غالباً إهتماماً كلياً.

٨ - كان من الممكن أن تكون نظرية فرويد أول «علم وظيفي للسلوك» ولكنه لم يتركه كذلك. لقد بين فرويد أن الأعراض العصابية والسلوك لبعض مرضاه ترتبط بوقائع في حياتهم المبكرة، وأن هذه العلاقة لا تعتمد على الشعور. وهكذا يوضح فرويد أن علم النفس يمكن أن يكون غير ذهني، فقد اكتشف أنه يمكن أن يكون علماً طبيعياً للسلوك، مثل بياناته التي تتباين بأسلوب شامل كوظيفة لوقائع خاصة في تاريخ حياة الفرد. لقد كان في إمكانه أن ينشئ علماً هاماً للسلوك ولكنه لم يفعل. بدلاً من أن يفعل ذلك، جمع فرويد أخطاء السيكلوجيين القدامى وأبدل العقل الواحد بعقلين (الواعي والباطن أي الشعور واللاشعور). وقد ثبت أن اللاشعور صعب في بنائه مثل صعوبة الشعور. فقد استخدم فرويد صيغة مشابهة للصيغة الخاصة بعلم النفس الكلاسيكي وطبيعة العقل. والصيغة القديمة هي: (الاحساسات البسيطة - الفرد (الأفكار المعقدة والملكات) - السلوك)، بينما الصيغة التي استخدمها فرويد هي: (التاريخ الشخصي - الفرد (الشعور واللاشعور) - الأعراض). بمعنى أن الأعراض هي وظيفة لوقائع خاصة مركزة في تاريخ حياة الفرد الشخصية. وبالتالي يمكن أن نشير إلى ما يلي:

١ - السلوك هو مظهر هام في سياق النمو، وليس مضمون العقل .
٢ - السلوك يعتمد على تاريخ الكائن الحي، تاريخه البيولوجي،
الهو وخبراته المباشرة، الأنا واتصاله غير المباشر مع الواقع، والأنا
الأعلى .

٣ - تأثيرات التاريخ الشخص (م) على الأعراض أو السلوك (س)،
يعتبرها فرويد مستقلة عن الشعور، وهكذا لا يمكن تحديد مصدر
السلوك، هل هو الشعور أم اللاشعور؟

لقد فقدت الدقة العلمية المضبوطة نتيجة التجسيم المادي للعقل
اللاشعوري، الأنا، والهو، والأنا الأعلى... إلخ .

وأخيراً فإن أوجه النقد التي وجهت للتحليل النفسي رغم أنها قوية
ولاذعة فهي في أغلب الأحيان ليست حاسمة .

الفصل الخامس

الحيل الدفاعية اللاشعورية

الحيل الدفاعية اللاشعورية

إذا فشل الأنا في التوفيق بين القوى المتصارعة في الجهاز النفسي وبين مقتضيات العالم الخارجي فإن الشخص يصاب بالعجز والاضطراب . وقد يلجأ الأنا - حينئذ إلى بعض العمليات أو الحيل الدفاعية اللاشعورية حيث يجد حلاً رمزياً غير واقعي لصراعاته النفسية، قد يرضى مؤقتاً رغبة ما أو حاجة ما، ولكنه لا يحل المشكلة على أية حال، فالصراع النفسي باق والمشكلة قائمة .

والحيل الدفاعية اللاشعورية أو ميكانيزمات الدفاع عديدة ومتنوعة ومنها الكبت، الإسقاط، التبرير، الإعلاء، والتعويض والتقمص والتكوين العكسي والنكوص والإنكار وغيرها .

١ - التبرير Rationalization

هو حيلة دفاعية لا شعورية يحاول بواسطتها الفرد إثبات أن سلوكه معقول وله ما يجيزه، ولذا يستحق القبول من الذات ومن المجتمع . فالتلميذ الذي تكرر رسوبه في الامتحانات لا ينسب ذلك إلى قصوره وإهماله، وإنما يرجع ذلك إلى فساد الجوا المدرسي، أو عدم نزاهة المدرس في التصحيح مثلاً .

٢ - الإسقاط Projection

الإسقاط حيلة دفاعية لا شعورية، وهي في جوهرها صورة من

خداع النفس، حيث ينسب المرء أفكاره ورغباته الخاصة غير المقبولة ونقائمه إلى الآخرين. وقد يؤدي هذا إلى التخلص من بعض مشاعر الذنب وخفض التوتر الناجم.

ويعني ذلك أن الشخص يرى في الآخر السمات التي تستقر في نفسه هو فقط، أو أنه يبالي في تقدير صفة في الآخر لمجرد أنه يملك هذه الصفات بدرجة عالية. هذا النوع من الإسقاط يطلق عليه «ميكانزم أشعة القذى» وكان الشخص يحدث نفسه قائلاً:

«لدى ذلك الشخص نزعات شيطانية، وبالمثل أفعل أنا، ولكن شكراً للإسقاط، فإنني أشاهد فقط القذى في عينه غافلاً عن الشعاع الذي في عيني».

هذا النوع من الخطأ ينبع من «إفتراس التشابه»، إلا أن هذا الإفتراس قد يكون لا شعورياً كلية. وغالبية سوء الفهم بين الأفراد يشوبه تلك الصبغة من «مركزية الذات»، حيث نفترض أن الآخر لا بد أن يشعر ويفكر كما نفعل نحن ويكون مجرد منحرف إذا لم يفعل هذا بوضوح أكثر.

٣ - الكبت Repression

كثير من الأفكار الناشئة في المستوى اللاشعوري من العقل لا تصبح شعورية، لأنها تمنع من إقترام حيز الشعور وذلك لأنها تعارض أفكارنا الشعورية، وبذلك فإن كبتها، أي ردها إلى اللاشعور يذكرنا بعمل الرقيب. كأن هناك جزءاً من العقل أو الشخصية يقوم بوظيفة رقيب يمنع الدوافع اللاشعورية والإنفعالات والأفكار اللاشعورية من دخول الشعور.

وهكذا لا تجد تعبيراً مباشراً في تفكيرنا أو أفعالنا الشعورية. وهناك صورة أخرى لعملية الكبت، حيث تطرد الدوافع والإنفعالات والأفكار والخبرات الشعورية المؤلمة وإجبارها على البقاء في اللاشعور أو العقل الباطن حتى يتم له نسيانها، لما تثيره في النفس من مشاعر الخزي ووخز الضمير أو تؤدي إلى استصغار شأن الفرد.

أي أن الرقيب يقوم بوظيفتين هامتين: في الحالة الأولى حيث يقوم بصد الدوافع والرغبات اللاشعورية المحظورة وخاصة العدوانية والجنسية من إقحام الشعور والتي إن أفلتت من زمام الرقيب لأمكنها التعبير عن نفسها بصورة صريحة قد تؤذي صالح الفرد في المجتمع. وفي الحالة الثانية، حينما يستبعد الدوافع والرغبات المخجلة الشعورية من الشعور ليطويها في اللاشعور أو الجانب المظلم من النفس. كأن وظيفة الرقيب وقائية دفاعية تحمي الفرد وتقيه من الأفكار أو المشاعر المخزية والمؤلمة للنفس.

إلا أن الدوافع اللاشعورية والرغبات المكبوتة لا تستقر ولا تهدأ بل تحاول جاهدة أن تعبر عن نفسها بشتى الصور، وتنجح في ذلك حينما يغفل الرقيب فتظهر في صورة متنكرة كما في أحلام النوم كتعبير رمزي عن محتويات اللاشعور، كما تعبر عن نفسها في صورة أمراض عصابية. وهكذا فالكبت يحول دون التعبير الطبيعي المباشر عن الدوافع اللاشعورية، ولكنه لا يمنعها من التعبير في صور تنكرية ملتوية. كما أن الكبت يقوم بعملية تموية للحقيقة وخداع للنفس حيث يحاول المرء لا شعورياً إنكار عيوبه الحقيقية وإخفائها عن نفسه درأاً للخطر وخلصاً من الأم النفس. إلا أنها ما زالت قوى حيوية كامنة تؤثر في سلوكه. كمن

يحول بين الفرد ورؤية مصدر النار ولكنه لا يحميه من سعيها .

وينبغي ألا ننسى أن الكبت عملية دفاعية لا شعورية وهي ليست مجرد نسيان للدوافع أو الذكريات، بل هو أيضاً انكار لوجودها . فنحن لا نتمتع بالكبت أو نعرف متى وكيف يحدث الكبت . كما أن الشخص الذي يعاني من الكبت الجنسي لا يعترف بوجوده لديه أو أن الدافع الجنسي أي سيطرة عليه . والكراهية المكبوتة التي قد تكنها الأم لابنتها تنكرها الأم ولا تقبل حتى مناقشة مثل هذا الأمر . والجندي الذي شلّ ذراعه في ميدان القتال فاستبعد من ساحة القتال، ثم تبين بالكشف الطبي أن ذراعه من الناحية التشريحية ما زال سليماً ولكنه معطلاً وظيفياً من جراء خوف مكبوت وصراع نفسي لا شعوري، وإن ما حدث ما هو إلا حيلة دفاعية لا شعورية نتيجة قصد دفين لا شعوري لانقاذه من ورطته . إن هذا الجندي ينكر مثل هذا التفسير ولا يعترف حتى لنفسه بوجود مثل هذا الخوف أو القصد لديه .

الكبت والقمع

والكبت خلاف القمع Suppression وهو مجهود واعى لضبط أو إخفاء دوافع وأفكار أو مشاعر وأفعال غير مقبولة ومحظورة . وعملية القمع - التي يزاولها الشخص لقمع المشيرات الداخلية أو الخارجية - تمنح الفرد فوائد الكبت دون معاقبته بالشلل المتضمن في عملية الكبت ذاتها . ففي حالة الكبت يمكن القول بأن حل المشكلة يركن طول الوقت، فالشخص الذي يستخدم الكبت ينكر الوسائل اللفظية والعقلية التي تستخدم لحل المشكلة . أما في حالة القمع، فعلى العكس إنه يضع هذه المشكلات جانبا للوقت الراهن فقط . فالقمع عملية إستبعاد إرادى مؤقتة

للدوافع والأفكار والانفعالات المؤلمة للشعور، كأن يقمع الموظف مظاهر غضبه من رئيسه. هكذا، من الخطأ أن نقول: «إن فلانا كبت غضبه»، بل نقول: إن فلانا قمع غضبه» أي ضبطه وتحكم فيه بإرادته. أكثر من ذلك، إن استجابات الإنتباه في حد ذاتها تقع تحت سيطرة لفظية في حالة القمع، بينما الكبت يكون نشاطه ذاتياً ولا يمكن نقله أو التعبير عنه لفظياً.

والقمع يخضع للاستدعاء الإرادي فهو يستخدم لضبط النفس وكبح جماحها والحد من اندفاعاتها، أما الكبت فلا يخضع للاستدعاء الإرادي فيصدر عنه سلوك قهري لا يمكن رده بالإرادة. والمادة المكبوتة قد تنبت أو تطفو في صورة متنكرة فوق سطح الشعور، وبذلك يكون السلوك الصادر عن الكبت سلوكاً شاذاً يستغربه الفرد وغيره من الناس. مثال ذلك الشخص الذي يجد نفسه مضطراً إلى عد النجوم ليلاً أو عد الشقوق في الجدران البالية، أو الشخص الذي تسيطر عليه أوهام وأفكار بأنه مضطهد من الجنس الآخر أو بأنه منبوذ من الجماعة، أو المخاوف الشاذة التي لا تناسب شخصاً بالغاً كبيراً حيث يخاف رؤية رذاذ المياه، أو الأماكن المرتفعة أو ينتابه الذعر حينما يرى فأراً أو صرصاراً. أو المرأة التي تلقى بصغارها من أعلى المنزل أو التي تغسل يديها في اليوم خمسين مرة أو أكثر.

وباختصار يمكن تعريف الكبت بأنه ميكانيزم دفاعي (أو حيلة دفاعية) يعمل لا شعورياً، يستبعد الأفكار غير المقبولة والدوافع والذكريات والخبرات التي تؤلم الفرد من الشعور، أو يحفظ بعيداً عن الشعور ما لم يكن شعورياً قط.

عمل الرقيب؛

١ - منع الأفكار المكبوتة من إفتحام الشعور حتى لا يشعر بها المرء.

٢ - الأجزاء العليا من الجهاز العصبي حينما ينتابها التعب أو النوم، فإن الرقيب يحاول صد الأفكار اللاشعورية وإبقائها بمنأى عن الشعور، إلا أنها تكون قادرة على خداعه بأن تتخفى في صورة تنكيرية لا يعرفها.

٣ - إذا كان أي جزء من الأفكار اللاشعورية ضعيف التنكر، ولكنه مع ذلك تمكّن من خداع الرقيب فإن ذلك يثير نشاط الرقيب ويحدث أحد أمرين:

أ - أما أن يستيقظ النائم فجأة، وينتهي الحلم.

ب - أو ينسى الحلم كلية.

إنهاء الحلم مثل عملية تحطيم المستندات أو الوثائق. أما النسيان فيشبه خطة الرقيب في تغطية موضوع الخطيئة أو صورتها بواسطة الحبر الأسود.

٤ - الإعلاء Sublimation

الإبدالات المقبولة اجتماعياً، يطلق عليها «الإعلاء». إنه التعبير عن الدافع المحبط بأسلوب يرتضيه المجتمع. فالدافع الوالدي أو الحب المحبط الذي لم ينس يمكن إرضاءهما جزئياً بتعليم الأطفال أو التمرير أو المساهمة في عمل خيري إنساني. وهذا لا يعني أن هذه النشاطات تنشأ دائماً عن تلك الدوافع المحبطة. إنه يعني فقط أنه يمكن تنشيطها بتلك الأفعال. مثال آخر، الدافع الجنسي الذي لم يلق اشباعاً، قد ينجح الفرد من خفض حدة توتره وذلك بالالتجاء إلى نشاطات بديلة تعمل على التصريف الجزئي للطاقة الجنسية، كالأعمال الفنية من رسم وتصوير

ونحت أو الأعمال الأدبية كتأليف الروايات الغرامية وقصائد الغزل المشبوب.

٥ - أحلام اليقظة والأوهام:

كثير من الرغبات المحبطة تجد إشباعاً في التحصيلات الخيالية أي أن الفرد يلجأ إلى أحلام اليقظة والأوهام. والتحقيق الخيالي غالباً ما يكون مرضياً لبعض الناس تماماً مثل التحقيق الحقيقي. فالمرء الذي يقاسى من حياة صعبة يمكن أن يجد حياة سهلة ممتعة محتملة في الأوهام وأحلام اليقظة. وتبقى أحلام اليقظة طبيعية إذا، لزمتم الحدود العادية، وقد تفيد عندما توضع لنا خططاً للمستقبل للترقي. إنها تجعل أهدافنا المستقبلية ذات قيمة تستحق الاعتبار. كما أن أحلام اليقظة قد تعمل على خفض كثير من التوتر الناشئ عن الفشل الذي صادف الفرد في الواقع الذي لا حيلة له فيه، وذلك عن طريق التعويض الخيالي. ولكن إذا تمادى المرء في أحلام اليقظة لدرجة الاستسلام لها، والاستمتاع بها، بحيث تحول بينه وبين بذل أي جهد حقيقي من أجل حل مشكلاته، والاتجاه نحو تحقيق أهدافه الواقعية بطرق واقعية ممكنة التحقيق فإن أضرارها للشخص تكون محققة.

٦ - التعويض: Compensation

يرتبط التعويض عادة بمشاعر النقص، فالشعور الناجم عن الفشل يدفع الفرد إلى عمل شيء من أجل تعويض الخسارة التي لحقت به. إلا أن الدافع إلى التعويض عن الفشل أو إلى علاج الكبرياء المجروح يكون أقوى عادة من الرغبة الأصلية المحبطة، ويؤدي ذلك إلى المغالاة أو الافراط في التعويض أو ما يطلق عليه «التعويض الزائد». وتفعل أعضاء

الجسم نفس الشيء، فالقلب ذو الصمام الراشح ينمو أكبر وأقوى مما نحتاج إليه حتى يعوض النقص فيه. وإذا استئصلت إحدى الكليتين من الجسم، فإن الأخرى تتضخم حتى تقابل الاحتياجات الجديدة المطلوبة منها. إن كثيراً من رجال العصابات والأشرار الخطيرين يعانون من مشاعر النقص العضوي. إن «دون جوان» الذي كان يتباهى بعدد قلوب النساء التي حطمها، قد اكتُشف أن لديه نقصاً في الذكورة. إذا كان الشخص مفرطاً دائماً في استجاباته في ناحية ما، فابحث عن مشاعر النقص الخفية لديه.

الرجل الذي لديه عقدة نقص مزمنة يفصح عنها بطرق عديدة، إنه عادة حساس يثور لأتفه الأسباب، ويلتقط بسرعة علامات النقد. تجده دائماً يقارن نفسه وأعماله بغيره ويضع قيمة عالية لانتصاراته في المنافسات، ولكنه حريص على اختيار ميدان يمكن أن يتصر فيه، وإذا خسر فإنه يبرر ذلك لك بسوء الحظ. ومهما كانت إنجازات هذا الشخص عظيمة فإنه لا يأمن أبداً بجانب النقد، أي أنه لا يشعر بالاطمئنان للمرة إذا وجه إليه أو لأعماله أي نقد. كما لو كان بنيانا هشاً أو مصنوعاً من زجاج لا يحتمل التعرض لقذائف الحجارة الموجهة إليه.

إلا أنه في حالات متطرفة قد تؤدي مشاعر النقص إلى أعمال عبقرية بشرط توافر المواهب والقدرات الإبداعية الكافية. ولكن قد تنتهي أيضاً نتيجة المغالاة في التعويض وبذل الجهد بالإنهار العصبي.

٧ - التقمص أو التوحد Identification

من وجهة نظر التحليل النفسي هو عملية غالباً لا شعورية تحدث نتيجة إرتباط إنفعالي يسلك فيها الشخص أو يتصور نفسه يسلك كما لو كان هو الشخص الذي ارتبط به. فالطفل قد يتقمص شخصية الأب أي يتوحد بها وبقيمه وأهدافه وسلوكه... إلخ.

إذن التقمص هو توحد الفرد بشخصية آخر حتى يصبح كلاهما وكأنهما شخصية واحدة تحس بإحساس واحد وتفكر بعقل واحد وتصدر أفعالها عن رغبات واحدة. وقد يحدث التقمص بالتوحد مع جماعة أو هيئة ذات مكانة براقه. والتقمص عامة يؤدي إلى زيادة شعور الفرد بقيمته.

إن قراءة الروايات ومشاهدة المسرحيات تشجعنا وتساعدنا في الحصول على إشباعات بديلة وهمية. إن شخصيات الشاشة السينمائية لها نفس محاولتنا ومحنتنا ومطالبنا وحاجاتنا. إننا لا نقدر القصة وأفعالها إذا تعذر تقمص شخصية البطل أو البطلة أو الشخصيات الأخرى المرغوبة في المسرحية. إننا نشعر أثناء قراءة أو مشاهدة المسرحية أو الرواية السينمائية وكأننا نقوم بنفس أدوارهم ومغامراتهم. إن كاتب القصة أو مخرج المسرحية يدرك أن التقمص يمكن أن يحدث وأن التوترات تخف بذلك بدرجة مرضية. فالنهاية السعيدة للمسرحية أو القصة شيء مرغوب عادة، وتفسير ذلك نفسياً معروف. القليل فقط من الأفراد ممن يجدون إشباعاً كافياً لحاجاتهم الجمالية، هم الذين يتجهون بعيداً نحو الخاتمة التراجيدية أي المأساة.

ولا ينتهي التقمص بنماذج أدبية. فالأطفال يتقمصون شخصيات آبائهم أي يوحدون أنفسهم بها، وبذلك يكسبون بعض القوة التي يتوقون إليها. ويتقمص الأهل أيضاً شخصيات أطفالهم، إنهم خلال ذلك يحاولون غالباً إشباع رغباتهم القديمة المحببة. فالأم لأسفها الشديد على الاقتران من زوج دون طبقتها الاجتماعية، تدفع أولادها حتى يصبحوا متسلقين إجتماعياً، والأب الذي كان يود دائماً أن يصبح محامياً ولكن الظروف اضطرت له لأن يكون مزارعاً نجده يدفع ابنه بكل الوسائل لكي يصير محامياً ضد رغبته ودون مراعاة قدراته. ونجد كذلك الرجال

يتقمصون الجمعيات أو التنظيمات أو المهن أو البلدان التي ينتمون إليها. إن أي شهرة تنالها تلك المجموعات سوف تضيف قدراً إلى «تقدير الذات» لدى هؤلاء الأشخاص. وفي الجمهرة والغوغاء يجد الشخص الضعيف القوة التي يشتهيها حيث تسنح له الفرصة والكثير غيره من أمثاله لتغذية لهيب حقدهم ضد الضحية سيئة الحظ.

٨ - التكوين العكس Reaction Formation

هو منع الرغبات الخطيرة من التعبير بواسطة المبالغة في الاتجاهات وأنماط السلوك المضادة واستخدامها كحواجز.

٩ - النكوص Regression

هو التقهقر إلى مستوى نمو أدنى متضمناً استجابات أقل نضجاً وعادة مستوى طموح أكثر انخفاضاً. إنه حيلة هروبية من التبعية وتجنب الشعور بمرارة الفشل والخيبة في مواجهة الصعوبات وحل المشكلات. إنه يرجع إلى فرط حساسية المراهق لموقف المجتمع منه وكيفية استجابات الآخرين لتصرفاته. وهكذا يترسب السلوك النكوصى بواسطة الصراعات أو الضغوط التي تنتاب المراهق في مقابلة مشكلات النضج، ولكي يتجنب المراهق هذه الصعاب فإنه يتقهقر نحو نموذج طفلي أي إلى مرحلة دنيا من مراحل النمو، حيث كان أكثر أمناً. وهكذا يتقهقر الفرد إلى أساليب التفكير والسلوك التي تميز السنوات المبكرة من الحياة. وتبعاً لذلك، تسيطر على الشخص نزعات الليبدو المنبثقة من اللاشعور وهي بطبيعتها لا تخضع لقوانين المنطق أو الزمن أو النظام.

الفصل السادس

نظرية آدلر في الشخصية

Alfred Adler

(١٨٧٠ - ١٩٣٧)

ولد ألفريد أدلر في فيينا عام ١٨٧٠، وكان ترتيبه الثالث في الأسرة بين سبعة أخوة وأخوات. وكانت حياته المدرسية المبكرة بدون صعوبات، وبدون تفوق أكاديمي أيضاً. وبعد ذلك درس الطب في فيينا أيضاً. ثم انضم إلى مدرسة التحليل النفسي وأصبح رئيساً لجمعية فيينا للتحليل النفسي، إلا أنه إستقال منها عام ١٩١١، حيث لم يكن راضياً عن تعاليم فرويد ونقد بعض مفاهيمه ولم يقبل الرضوخ له.

وفي عام ١٩١٣ أنشأ جمعية حرة أطلق عليها رابطة «علم النفس الفردي» Individual Psychology، ليعكس إهتمامه بفهم الشخصية الإجمالية للفرد وليس مجرد جوانب معزولة من السلوك. ونظرية أدلر، من وجوه عديدة، إجتماعية سيكولوجية في طبيعتها. وبالنسبة له، يمكن فهم الفرد فقط في ضوء مشاركته مع غيره من أعضاء المجتمع.

لقد استفاد أدلر كثيراً من خبراته العملية. فقد تعلم من أستاذه في الطب ضرورة إهتمام الطبيب دائماً بمعالجة المريض بأكمله وليس مجرد العلة أو المرض فحسب. وقد أفاده هذا حينما أنشأ «عيادات توجيه الأطفال»، حيث تقوم بعملية إرشاد للأسرة بأكملها وليس الطفل بمفرده.

كما استفاد أدلر أيضاً من مرضاه، وكان من بينهم الفنانون ولاعبوا الأكروبات من ذوي الأجسام غير العادية، والذين أوضحوا له أنهم اكتسبوا هذه القوى الجسمية كرد فعل للضعف والمرض من الطفولة. إن تلك الخبرات، على الأقل جزئياً، قادت أدلر إلى التركيز على مفهوم «التعويض الزائد» في نظريته.

المفاهيم والمبادئ الأساسية

أولاً - أهداف النظرية:

علم النفس الفردي هو علم يحاول فهم الخبرات والسلوك لكل شخص كذاتية منظمة. إنه يعتقد أن جميع أفعال الشخص موجهة بواسطة اتجاهاته الأساسية نحو الحياة. إنه يهتم بتحسين أحوال معظم الجنس البشري، كما يهدف أيضاً إلى تصحيح الاتجاهات الخاطئة وذلك بواسطة استخدام المعرفة الأساسية المتراكمة. وبالإضافة إلى تجميع المعلومات الأساسية عن سلوك الإنسان، إهتم أدلر إهتماماً عظيماً بتطبيق هذه المعرفة بأسلوب عملي.

ثانياً - المنهج النظري الأساسي:

وضع أدلر عدة مقترحات نظرية تؤكد أن فهم الشخصية الإنسانية يكون ممكناً فقط إذا كنا على دراية بأهداف الشخص. بمعنى أن أهداف الفرد هي التي توجه سلوكه حالياً. وهكذا، تبنى أدلر «الوضع الغائي»، على النقيض من فرويد، الذي كان حتمياً وصارماً. يرى أدلر أن الناس لها غرض في الحياة هو الحصول على الكمال أو التمام. أي أنها مدفوعة للنضال نحو إنجاز إمكاناتهم الفريدة. كما أنه يضيف لذلك، أن هذه الحركة نحو الكمال تتولد بواسطة مشاعر الدونية أو النقص.

نحن نكافح - حسب أدلر - من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى. إننا جميعاً مرتبطون بالدافع نحو العُلا، أي «دافع الإستعلاء العظيم». إن

الهدف النهائي لكفاحنا هو أن نكون الأسمى والأفضل. هدف التفوق أو السمو قد يُصَيِّغه الفرد، أي يصطلح على معنى معين، يقوده إما إلى سبيل بناء أو سبيل تخريبي هدمي.

إذا صيِّغ الهدف في أسلوب بناء، فإنه يجعل الناس يرتبطون بغيرهم بالتعاون والنوايا الطيبة. بينما إذا كانت صياغة الهدف في أسلوب هدمي أي تخريبي، فإن هذا يسبب في جعل الأفراد يحاولون السيطرة على الآخرين واستغلالهم. العصبيون فقط - تبعاً لآدler - هم الذين يسعون لمثل هذا الهدف الخاطيء. ولكن النضال من أجل السمو بواسطة الناس الأصحاء يتضمن الحركة نحو الكمال بأسلوب يسهم في سلامة الآخرين. الناس الأصحاء يتصرفون بما يتلاءم مع الإهتمام الاجتماعي.

إن تنمية أهداف صحية أو غير صحية، تتشكل، لدرجة ما، بنوع الخبرات التي مرّ بها الناس خلال السنوات الخمس الأولى من الحياة.

ثالثاً - التطور الابداعي والاهتمام الاجتماعي،

جوهر وضع آدler هو أن الصحة النفسية للناس تعتمد مباشرة على جهودهم للإسهام في تحسين المجتمع أو إصلاحه والارتقاء به. إنه يرى أن النوع لا يبقى طويلاً بدون تعاون مدعم بين أعضائه. البقاء للنوع يعتمد أيضاً على عزم الأفراد للارتباط بعضهم ببعض على أساس متين والالتزام في أعمال إنتاجية. إنه يدعي أن هناك تطور إبداعي في جميع المخلوقات التي تسعى إلى هدف الكمال، إنه أمر جبيري أن نبذل تكيفاً أفضل للبيئة، وأن نسيطر عليها. لقد استفدنا فوائداً هائلة من الجهود المتراكمة لأسلافنا وإسهاماتهم، ونحن بدورنا نستمر في النضال بأساليبنا الفريدة في تحسين ظروف الحياة لنا جميعاً.

الاهتمام الاجتماعي يعني النضال لتكوين مجتمع باق، ويمكن أن يحدث هذا إذا توصل الجنس البشري إلى هدف الكمال. إننا بالنضال من أجل الكمال لأهداف الآخر، نساعد أنفسنا أيضاً نحو تحقيق نفس الهدف. هذا النضال يتضمن أيضاً الاحترام والإعبار لجميع البشر.

رابعاً - مشاعر الدونية والنضال من أجل التفوق أو السمو:

لاحظ أدلر أن الأفراد المصابين بنقص عضوي أو عيب خلقي، يحاولون التعويض عن هذا الضعف بالتدريب العنيف. فمثلاً، صبي ساقاه ضعيفتان قد يحاول أن يكون سباقاً بارزاً في المسافات الطويلة. ويعتقد أدلر بقوة أن النقص العضوي نفسه لا ينتج الدافع للنضال ولكن الذي ينتجه هو إتجاه الشخص نحو هذا النقص وتفسيره له.

والشخص، طبعاً، حر في تفسير هذا النقص بأساليب عديدة، بل قد يتجاهله أيضاً. وتجاهل النقص أو العيب الخلقي قد لا ينتج سلوك نضال غامر فعال. على أية حال، إن مفهوم «النقص العضوي» أي «العيب الخلقي» يتسع - من وجهة نظر أدلر - لكي يشمل النضال المفرط أي المبالغ فيه والذي تسببه مشاعر اللارجولية (مشاعر المخنث). وأطلق أدلر مصطلح «إحتجاج الذكورة» لوصف «السلوك التعويضي» الناجم عن هذه الحالة، لإثبات أنهم «رجال حقاً». مثال ذلك، نمط «دون جوان» الذي يحاول أن يبرهن على رجولته بعدد لا يحصى من الإغراءات والاعواءات والفتنة للنساء. إنه يسعى إلى «التفوق» حيث يعادله بالذكورة بالإضافة إلى سلوك التوكيد والاستقلال والسيطرة. بينما يعادل «النقص» أو الدونية بالأنوثة، فضلاً عن سلوك السلبية والخضوع والإتكالية.

أدلر لم يكن متعصباً للذكورة، لقد استخدم مفهوم «إحتجاج

الذكورة» ليوضح أن النساء كانت في وضع أدنى من الرجال في مجتمع
فينا في ذلك الوقت. ونتيجة لذلك، حاولت النساء مراراً أن يتغلبن على
مشاعر القصور أو النقص بمحاولة محاكاة سلوك الذكور. مثل هذه
الظواهر، بالنسبة لكل من الجنسين، تعتبر عصابية. إن أدلر يمقت فكرة
التعامل مع أي من الجنسين، رجالاً أو نساء، على أنه أدنى من الآخر،
وتصدى بعنف لهذا التحيز ودعى إلى حذفه.

وقد وسّع أدلر مفهوم الدونية، بحيث لا يقتصر على النقص
العضوي فقط. بل قد يشمل أيضاً النقص النفسي والاجتماعي. مثال
ذلك، شعور الطفل بأنه أدنى من والديه جسماً، وأنهما أكثر منه براعة
في حل المشكلات. نتيجة لمشاعر الدونية هذه، على أي أساس كانت،
ينشق النضال من أجل التفوق.

إلا أن، مشاعر الدونية قد تكون بناءة للغاية، كما قد تكون هدامة
للغاية أيضاً.

إن «التعويض الزائد» عن نقائصنا، قد ينمي إحساساً مفرطاً بالتفوق
مبالغاً فيه، بحيث يمجّه الذوق ويصبح أمراً كريهاً بالنسبة للآخرين.

خامساً - الغائيات الوهمية:

الناس تخلق أفكاراً توجه سلوكهم. نضال جميع الناس لا يحدث
بدون إدراك الأهداف. والأهداف هي التي تحدد الاتجاه لجمع سلوكنا،
وهي ضرورية لتقدم الفرد ونموه. هذه الأهداف - من وجهة نظر أدلر -
مثالية وليست ملموسة أو محسوسة، كما أنها قد تكون صحية أو خاطئة.
فقد يعتقد الفرد أن هدفه سوف يكون مفيداً للناس ويساعدهم ويرتبط

بنشاطاتهم، وقد يعتقد أن هدفه يبرهن على تفوقه على النساء خلال عمليات إغواء مهوشة لا نهاية لها.

سادساً - أسلوب الحياة والذات الإبداعية،

يرتبط بنظرية أدلر مفهوم آخران وهما:

الأول: أسلوب الحياة:

ويشير هذا المفهوم إلى الأساليب الخاصة التي يستخدمها الناس في السعي نحو أهدافهم. هذه الأساليب الخاصة بنا في الحياة تتكون خلال السنوات الخمس الأولى بعد الميلاد. جميع خبراتنا التالية تُمثل وتُفسر طبقاً لهذه النماذج السلوكية التي استقرت لدينا. هذه الأساليب تنبثق كردود أفعال لتقائضنا، حقيقية كانت أم خيالية، ومتى استقرت لدينا لا يمكن تعديلها.

الثاني: الذات الإبداعية:

لم يكن أدلر راضياً عن نموذج التعلم «م - س» في تفسير واكتساب الفرد لأنماط السلوك الفريدة الخاصة به، لأن هذا يعني أن الشخص مستقبل سلبى لا يمكنه التفسير أو التصرف وفقاً لخبراته. يتضمن المفهوم أن كل فرد منا يبني شخصيته الخاصة، نتيجة للخبرة والوراثة. الناس مسؤولون عن أقدارهم، فهم عادة على دراية بالبدائل المتوفرة لديهم في حل مشكلاتهم، وهم يتصرفون بأساليب معقولة ومسؤولة. إن العصابي فقط هو الذي تكون أهدافه لا شعورية، وهو غالباً غير واع للبدائل المتوفرة في المواقف المختلفة.

طرق آدلر في تحليل وفهم الشخصية

اعتمد آدلر في فهم شخصية الفرد، مثلما فعل فرويد، على اختبار وتحليل خبرات الطفولة المبكرة، واستخدم ثلاث طرق رئيسية لتقييم تلك الخبرات الدقيقة، وهي:

أولاً: إسترجاع الخبرات المبكرة.

ثانياً: تحليل الأحلام.

ثالثاً: معرفة ترتيب الميلاد.

لقد استخدمت الطرق الرئيسية الثلاث مقترنة ببعضها البعض لتجميع المعلومات الهامة والاستبصارات في شخصيات المرضى ومساعدتهم على تصحيح أساليبهم المخطئة في الحياة.

أولاً، إسترجاع الخبرات المبكرة:

يعتقد آدلر أن تقارير المرضى عن ذكرياتهم المبكرة تقدم استبصارات قيمة في أساليبهم الفريدة والخاصة في الحياة. وغالباً ما تعتمد هذه الذكريات على خبرات فعلية، ولكن بعضها وهمي. ويظن آدلر، سواء كانت هذه الذكريات حقيقة أو وهماً، فإنها لا تزال تكشف عن معاني هامة، حيث تعطى مفاتيح هامة في نضالات الشخص من أجل التفوق والسمو.

إن استرجاع الطفلة الثانية، في ترتيب الميلاد، لخبراتها المبكرة تعزز إتجاهها نحو أختها الكبرى، فتقول لنفسها: «إن وجود شخص أمامي يسبقني يعرضني للخطر، يجب دائماً التفوق لأكون الأولى». هذا نموذج للنضال، من وجهة نظر آدلر، بالنسبة للأطفال الذين في الترتيب الثاني في الميلاد. إنهم يحاولون دائماً التغلب على صاحب الخطوة الأولى، أي الطفل الأول. هذا إتجاه غير صحي نحو الحياة والآخرين، وهو السبب في آلام المريض النفسي، الذي لا داعي لها. وبالكشف عن هذا الإتجاه الأساسي لدى المريض، تمكن آدلر من عمل تغييرات تقود إلى نظرة أكثر إرضاء نحو الحياة.

ثانياً - تحليل الأحلام:

يختلف آدلر عن فرويد في تفسيره للأحلام، حيث إنه لم يركز على التفسيرات الجنسية، كما فعل فرويد، لمحتوى الحلم الظاهر.

يعتقد آدلر أن ما يحدد أحلام الشخص هو هدف التفوق أو السمو. أكثر تحديداً، تعكس الأحلام محاولات الشخص اللاشعورية لإنجاز أهداف شخصية وفقاً لأسلوبه الفريد في الحياة. إن هدف الفرد قد يكون إنشائياً أو هداماً، طبعاً. مثال ذلك التلميذ المقدم الذي لا يخشى الإمتحان، مثلاً، قد تتضمن أحلامه التسلق الناجح للجبال والاستمتاع بالمناظر التي يشاهدها عند قمة الجبل. بينما التلميذ الذي يخشى الامتحان ويريد تركه أو تأجيله، قد تتضمن أحلامه السقوط من أعلى الجبل. وهكذا، أحلام كل تلميذ يحكمها أسلوبه الفريد في الحياة.

التحليل الدقيق لتأثير ترتيب ميلاد المريض في الأسرة على سلوكه قد يساعده في اكتساب الثقة بالنفس. هذا التحليل يساعد أيضاً المعالج النفسي في إقناع المريض بأن سلوكه ببساطة هو رد فعل لظروف وضعه في الطفولة، ولهذا لا ينبغي لوم نفسه كلية لتنمية أسلوب حياة خطأ. وبهذا يمكن خفض كل من «لوم الذات» و «المقاومة» الداخلية، وبالتالي، يمكن مساعدة المريض على تبني أسلوب حياة بناءً أكثر.

إن الطفل الأكبر يميل إلى أن يكون مركز الانتباه في الأسرة قبل ميلاد إخوته. وبميلاد إخوته، يوضع الطفل الأكبر في وضع لا يحسد عليه، وهو وضع «المخلوع عن العرش». نتيجة لذلك، قد يشعر الطفل الأكبر بالقلق والتبرم والعداوة نحو إخوته الصغار. مثل هذه المشاعر السلبية يحتمل أن تحدث إذا لم يُعذ الوالدان جيداً طفلهم لوصول أخيه الجديد. بينما إذا كان إعداد الطفل الأول مناسباً، فإنه قد يتبنى اتجاه الحماية والمساندة والدفاع عن إخوته الصغار كبديل للسلوك السلبي السابق. الطفل الأكبر، حسب أدلر، يفهم جيداً أهمية القوة والسلطة، حيث أنه سوف يقاسي نتيجة فقدانها في الأسرة.

الطفل الثاني في ترتيب الميلاد ينظر إلى أخيه الأكبر أو الأخت الكبرى كمنافس أو غريم ينبغي التغلب عليه. فإذا كان الطفل الأكبر يقوم بحماية ومساندة محاولات إخوته الصغار للتفوق، فإن النمو الصحي يكون أكثر احتمالاً. ولكن، إذا كان الطفل الأكبر يتبرم من الطفل الثاني أو يشمئز أو يضجر منه، ويتصرف بخبث، فإن إصابة الطفل الأصغر بالعصاب تكون أكثر احتمالاً. وقد يضع الطفل الثاني لنفسه أهدافاً مرتفعة

غير واقعية، وبهذا قد يؤكد فشلاً نهائياً.

أما الطفل الأصغر، فله نماذج عديدة يحاكيها ويتعلم منها، ويميل إلى تنمية نظام منافسة ويحاول جذب إنتباه الأسرة. ولكن الأهل قد يسرفون في تدليل الطفل الأصغر، والنتيجة أن يصبح معتمداً بإفراط على الآخرين من أجل المساندة والرعاية. وفي نفس الوقت، هو يريد أن يتفوق عليهم، ولكن من الطبيعي أن تفوته الفرصة لكي يشرف عليهم حيث إن الآخرين أكبر منه وأكثر خبرة. وبالتالي، فإن مثل هذا الطفل يقاسي من مشاعر قصوى بالنقص أو الدونية.

وأخيراً، الطفل الوحيد ليس لديه نماذج يقلدها، ولا منافسين أو غرماً، فمن المحتمل أن يكون «مركز الانتباه» في الأسرة، معتبراً أن ميلاده كان حدثاً موضع ترحيب من الأسرة. أما إذا كان الطفل لم يكن مطلوباً أو مرغوباً فيه، فإنه قد يلقي الإهمال والنبذ الفعلي. فيما بعد، مثل هذا الطفل قد يمر بخبرات بالغة الصعوبة إذا لم يكن بشكل عام محبوباً أو موضع إعجاب الآخرين.

أسلوب الحياة:

الشخص الذي يستطيع تنمية أسلوب حياة صحي، أي أسلوب إنشائي بناء، هو من كان كانت خبراته المبكرة في الأسرة يغمرها الاحترام والاعتبار من الأهل. تحت هذه الظروف، سوف يتعلم الطفل أهمية المساواة والتعاون بين الناس. مثل هذا الشخص سوف يكتسب أسلوب حياة غايته الحصول على أهداف تتفق مع الإهتمام الإجتماعي. لقد ترك أدلر طبيعة تلك الأهداف غير محددة، حيث إنها

يمكن أن تتباين من تبني مبدأ «الأمانة أو الاستقامة هي أفضل سياسة» أو مبدأ «عامل الناس بما تحب أن يعاملونك به» إلى التوجه لأهداف مهنية، مثل: أستاذ جامعي، طبيب، مهندس، تاجر، ميكانيكي،... إلخ. ويرى أدلر أن الأفراد يمكنهم لعب هذه الأدوار في اتجاه الاهتمام الاجتماعي. أي أنهم يبذلون أقصى جهد ويستخدمون قدراتهم في سبيل صلاح المجتمع. والشخص السوي هو الذي يستطيع أن يغير أهدافه الخيالية إذا دعت الظروف إلى ذلك. وهو الذي يعيش بمبادئ، ومع ذلك يكون واقعياً بدرجة كافية لتعديلها تحت ظروف غير عادية.

أما الشخص العصابي تنشأ لديه أهداف حياة عصابية أي ذات أخطاء فادحة، والتي قد تنشأ عن ثلاث مجموعات بيئية رئيسية، هي:

(١) النقص العضوي.

(٢) التجاهل أو النبذ.

(٣) الإفراط أو المغالاة.

ويعتقد أدلر أن المغالاة بصفة خاصة مدمرة للغاية. الشخص العصابي هو الذي يشعر بحدة بنقائصه، ويحاول التعويض عن هذه المشاعر بوضع أهداف عالية غير واقعية يظن أنها سوف تمكنه من التفوق الشخصي على الآخرين. إنه يتميز أيضاً بأن تقيّماته الذاتية على خطأ جسيم. فهو عند تقييمه لذاته، نجده باستمرار إما أن يبخس قدره أو يعظم قدره. إنه دائماً متوتر وخائف. وهو يخشى القرارات، والاختبارات والهزائم. وتحليل شخصيته نجده منزعجاً من أن ينكشف

ويسقط القناع فيعرف الآخرون أنه ناقص. مثل هذا الشخص لا يتصرف بما يتفق مع الإهتمام أو التوجه الاجتماعي، فهو جبان. بدلاً من ذلك، يتبنى إستراتيجيات دفاعية تصونه وتحميه.

نقد نظرية أدلر

١ - رغم أن نظرية أدلر تقدم مدى واسعاً من الظواهر، وتتضمن أيضاً اضطرابات السلوك، وهي في هذا الوضع الذي يتميز بالشمول مثل فرويد، إلا أن الأساس الدافعي محدود جداً. إن تسليم أدلر بوجود «دافع رئيسي» للسلوك وهو «النضال من أجل التفوق»، فيه إختزال مخل للتشكيلة المتنوعة الضخمة للحوافز والدوافع التي تحرك سلوكنا.

٢ - مفاهيم نظرية أدلر عامة في طبيعتها وينقصها الدقة في التعريف، بل إنه من العسير تقديم تعريفات إجرائية لبعضها، مثل: عقدة النفي أو الطرد، ومفهوم الإبداع، وأسلوب الحياة. ونتيجة لذلك، فإن إمكانية إخضاع النظرية للاختبار والتحقق من الصدق التجريبي لفروضها هو أمر بالغ الصعوبة.

٣ - إن البحوث التي أجريت لاختبار نظرية أدلر ما زالت إستطلاعية في طبيعتها. ورغم أنه يوجد حالياً دعم قوي لأفكاره عن تأثيرات ترتيب الميلاد، فإن معظم نظريته ما زالت بوراً وغير مختبرة.

٤ - إن الإسهام الرئيسي لنظرية أدلر هو تأثيرها في عدد من الباحثين الذين أسهموا بوضوح، فيما بعد، في دراسة الشخصية في مجالات عديدة مثل: التحليل النفسي الحديث والطب النفسي والعلاج

النفسي والصحة النفسية، الخ. إن الفوائد التطبيقية لنظرية أدلر تتضح في مجالات التربية الأسرية والتعليم والعلاج النفسي. فقد حاول أدلر أن يدرس تأثير العوامل الهدامة في الأسرة والمجتمع على الفرد. ولم تقتصر دراسته على ذلك فحسب، بل إمتدت لتقدم السبل التي ترقى بالصحة النفسية للإنسان.

الفصل السابع

نظرية الذات

كارين هورني *Karen Horney*

(١٨٨٥ - ١٩٥٢)

تعتبر نظرية «هورني» من أفضل نظريات العصاب^(*)، حيث قدمت وجهة نظر مختلفة للعصاب. فهي ترى العصاب أكثر استمراراً في الحياة الطبيعية بالنسبة لما يراه أصحاب النظريات السابقين. وبخاصة إنها ترى العصاب كمحاولة لجعل الحياة أكثر يسراً، باعتباره أسلوباً للضبط والمقاومة الداخلية. هذا طبعاً ما نجاهد جميعاً لعمله يومياً، وينجح معظمنا في ذلك، بينما يفرق العصابي بسرعة.

في خبرتها الإكلينيكية، أدركت كارين عشرة نماذج معينة للحاجات العصابية تعتمد على أشياء نحتاجها جميعاً، ولكنها تتشوه بطرق مختلفة. وفيما يلي نقدم تلك الحاجات العصابية:

١ - الحاجة العصابية إلى المحبة والموافقة:

وهي الحاجة غير المميزة لإرضاء الآخرين وأن يكون محبوباً منهم.

حقاً كلنا نحتاج للمحبة، ولكن قد تكون هذه الحاجة غير واقعية، وغير معتدلة، وغير مميزة. مثال ذلك، نحن لا نتوقع أن نحظى بهذه المحبة من أي شخص نقابله. إننا لا نتوقع تدفقاً عظيماً من المحبة حتى من أقرب أصدقائنا وأقاربنا. نحن لا نتوقع أن يبدي أبنائنا المحبة والحنان في جميع الظروف والحالات. نحن لا نتوقع مشاهد عظيمة للمحبة والود والحنان من رفاقنا بينما هم يملأون استمارات الضرائب

Dr. C. George Boeree (*)

مثلاً. ونحن ندرك أن هناك أوقاتاً في حياتنا نكون في حالة إكتفاء ذاتي.

فضلاً عن ذلك، حاجة العصابي تكون أكثر شدة وعنفاً. كما يمر بخبرة قلق عظيم إذا لم تشبع هذه الحاجة، أو حتى إذا بدا له أن هذه الحاجة قد لا تشبع مستقبلاً. إن هذا، طبعاً، يؤدي إلى طبيعة غير واقعية للحاجة. المحبة، ينبغي أن نعبر عنها بوضوح في جميع الأوقات، وفي كل المناسبات، بواسطة كل الناس. إلا أن العصابي جعل هذه الحاجة مركزية للغاية وجوهرية بالنسبة لوجودهم.

٢ - الحاجة العصابية إلى رفيق يشاركه حياته:

وتتضمن فكرة أن الحب سوف يحل مشكلات الفرد. وقد نجب رفيقنا لكي يشاركنا الحياة، بينما العصابي يذهب خطوة أو خطوتين أبعد من ذلك كثيراً.

٣ - الحاجة العصابية لحصر حياة المرء في نطاق حدود ضيقة:

وآلا يعوزه شيئاً، والرضى بالقليل، وأن يكون غامضاً. ومع ذلك، يوجد المقابل السوى. فمن الذي لم يشعر بالحاجة إلى تبسيط الحياة حينما تزداد ضغوطها، أو التوارى خلف الروتين؟

٤ - الحاجة العصابية للقوة Power للتحكم في الآخرين:

الحاجة إلى واجهة من القدرة المطلقة. نحن جميعنا نسعى للقوة، ولكن العصابي قد يسعى متهاكاً ورتجاً ورعونة من أجل الحصول على القوة. هذه هي السيطرة من أجل ذاتها، مصحوبة عادة بازدياد للضعيف، واعتقاد قوى بقواه العقلية المنطقية.

٥ - الحاجة العصابية لاستغلال الآخرين :

والحصول على أكبر فائدة منهم . قد تكون لدى الشخص العادي الحاجة إلى أن يكون له تأثير أو له وقع على الآخرين ، وأن يكون مسموعاً . بينما في العصابي ، قد تصبح هذه الحاجة العصابية احتيالا . وقد تتضمن أيضاً الخوف من استغلاله هو نفسه أو أن يبدو غيباً . ربما تكون قد لاحظت أن الناس الذين يحبون المزاح والدعابات وأداء النكات العملية كثيراً مع غيرهم ، نجدهم لا يقبلون أن يكونوا هم أنفسهم هدف السخرية في هذا المزاح .

٦ - الحاجة العصابية للتقدير الاجتماعي والهبة أو بعد الصيت :

نحب جميعاً أن نكون موضع التقدير ، ولكن العصابي يغمره الاهتمام بالمظاهر والشهرة . إنه يخشى أن يتجاهله الآخرون ، وأن يظنوا أنه ساذج أو سطحي .

٧ - الحاجة العصابية للإعجاب الشخصي :

نحن نحتاج إلى أن يعجب الآخرون بصفاتنا الداخلية والخارجية . كما نحتاج إلى الشعور بالأهمية وأن نكون ذات قيمة بالنسبة للآخرين . ولكن بعض الناس - كالعصابيين مثلاً - نجدهم أكثر تهالكاً وبأساً وتهوراً من أجل تذكير الناس بأهميتهم .

« لا يوجد من يقدر العباقرة »

«أنا القوة الحقيقية خلف الستار . . . أتعرف ذلك» . وهكذا ، إن مخاوف العصابي هو أن يُظن فيه أنه «لا شيء» ، غير مهم ، ولا معنى له .

٨ - الحاجة العصبية للإنجاز الشخصي :

في الحقيقة، لا يوجد خطأ في الإنجاز، ولكن أبعد من ذلك، بعض الناس نجدهم منزعجين أو منحصرين في الانجاز. أي أن فكرة «الانجاز» متسلطة على عقولهم. إنهم يتطلعون إلى أن يكونوا رقم (١) في كل شيء يؤديه. وحيث أنه من العسير أن يتحقق هذا، فإننا سوف نجد هؤلاء الناس يحطون من قيمة أي شيء لا يستطيعون أن يحتلوا مرتبة رقم (١) فيه. فإذا كانت قوتهم من القدرات الأكاديمية، مثلاً، فإن القدرات الجسمية لا أهمية لها، وهكذا.

أي أنهم يهزأون ويسخرون من كل شيء لا يبرعون فيه ويبخسون قيمته.

٩ - الحاجة العصبية للإكتفاء الذاتي والاستقلال :

ينبغي علينا أن ننمي بعض الاستقلال الذاتي. ولكن بعض الناس يشعرون بأنه ينبغي ألا يحتاجوا أبداً إلى أي شخص. إنهم يميلون لرفض المساعدة وغالباً ما ينفرون من عقد أي علاقات مع الآخرين كما لو كانوا يفترون ذنبا إذا فعلوا ذلك.

١٠ - الحاجة العصبية للكمال والحصانة المنيعة حتى لا يمكن إقحامه :

لكي نصبح أفضل والاستمرار في التحسن في الحياة وفي اهتماماتنا الخاصة لا نعتبر بأي حال عصابيين. ولكن بعض الناس نجدهم منساقين لتحقيق الكمال ويفزعهم التعرض للصدع أو الخلل. من العسير أن نمسك بهم مرتكبين خطأ، فهم في حاجة دائمة لأن يكونوا منضبطين في

جميع الأوقات.

وأخيراً، بعد بحث تلك الحاجات العصابية، وجدت «هورني» أنه يمكن تجميعها في ثلاث استراتيجيات واسعة لمواجهة المجتمع، وهي:

١ - المسايرة (أي الارتضاء والمطوعة) Compliance وتشمل الحاجات ١، ٢، ٣.

٢ - الإعتداء (أي المبادأة بالعدوان) Aggression وتشمل الحاجات من ٤ إلى ٨.

٣ - الإنسحاب Withdrawal وتشمل الحاجات من ٩، ١٠، ٣.

يعتقد الشخص المسائر أنه، لتحاشي المنازعات والمعارك، يجب أن يكون وديعاً ورقيقاً، فيقول: «يجب أن أضحي بنفسي، وأن أتحدى بالطهارة والتقوى». يقول: «إذا جعلتك تحبني، فإنك لن تؤذيني».

بينما الشخص الاعتدائي يقول: «يجب أن أكون قوياً، معترفاً بي، فائزاً ومنتصراً. إذا امتلكت القوة، لا أحد يستطيع إيدائي». أما الشخص المنسحب، فإنه يرى أن ما ندرکه عن «لامبالاة الأهل» لن ينمحي بواسطة المسايرة أو الاعتداء. إنه يحل المشكلة بالإنسحاب من التورط في الأسرة إلى داخل نفسه.

إنه يعتقد، لتجنب التنازع والمعارك مع الآخرين، يجب أن يكون مستقلاً، مبتعداً ومعتزلاً، وأن يكون، في نفس الوقت، مكتملاً. وفي نهاية الأمر يصبح مكتفياً ذاتياً. إنه يقول لنفسه: «إذا انسحبت وتحاشيت الناس، لن يؤذيني أحد».

وتفسر كارين هورني الاستراتيجية الأولى، أي المسايرة، بأنها

استراتيجية «التحرك نحو»، والحل يكون بمحو الذات أو طمس الذات. ونلاحظ أن هذا هو نفس اتجاه ألفريد أدلر وهو «إتجاه الإنحاء»، كما يشبه الشخصية البلغمية أو اللمفاوية. أما استراتيجية الاعتداء، أشارت إليها هورني باستراتيجية «التحرك ضد»، والحل يكون بالإنتشار أو الانبساط. إنه نفس «النمط المسيطر» أو الحاكم لدى أدلر. إنه يشبه «الشخصية الصفراوية» أو الغضوب.

أما الاستراتيجية الثالثة، وهي «الإنسحاب»، فقد أطلقت عليها هورني اسم «التحرك بعيداً عن»، والحل هو «الاعتزال» إنه يشبه تقريباً نمط أدلر «التجنب أو التحاشي» أو الشخصية الإكتئابية.

نظرية الذات وتفسير العصاب،

هورني لها طريقة أخرى للنظر إلى العصاب neurosis على أساس «صور الذات» self-images. بالنسبة لهورني، «الذات» هي جوهر الإنسان وإمكاناته.

إذا كنت متمنعاً بالصحة، سوف يكون لك تصور عن حقيقتك، وتعرف من أنت، وتكون حينئذ حراً لتحقيق إمكاناتك أي تحقيق ذاتك. أما العصابي، فله وجهات نظر مختلفة نحو الأشياء. فالذات العصابية منقسمة إلى «ذات محترقة أو مزدرية»، وأخرى «ذات مثالية».

إن الفرد يحاول أن يبني ذاتاً مثالية، أي يضع لنفسه مثلاً معينة. إنها ذات مثالية من الواجبات والإلتزامات، ويحاول أن يعيش مرتفعاً لمستواها.

بينما العصابي يتأرجح ذهاباً وإياباً بين كراهية الذات (إحتقار

الذات) من جهة والتظاهر بالكمال من جهة أخرى.

ونلاحظ أن «الذات المثالية» ليست هدفاً إيجابياً، فهي غير واقعية، وفي النهاية هي مستحيلة التحقيق.

وصفت هورني إمتداد بين النفس المثالية والنفس المزدرية، بأنها «استبداد أو طغيان الواجبات والالتزامات» و «النضال العصبي من أجل الشهرة والمجد». وبعبارة أخرى، إنه امتداد بين «التظاهر بالكمال» و «كراهية الذات» أو «احتقار الذات». وبينما يتذبذب بين هاتين النفسين المستحيلتين، يغترب العصابي مبتعداً عن جوهره الحقيقي، ويمنع من تحقيق إمكانياته.

نشأة العصاب

حقيقة إن بعض الناس قد ظلموا أو خدعوا أو أهملوا. كما أن الأطفال قد يقاسون من العصاب مثل الكبار. إذا كان طفل له أب قاسي، أو أم فصامية، أو تعرض لتحرش جنسي، فإنه مع ذلك ما زال له أقارب آخرون يحبونه ويعتنون به ويحمونه من إيذاء الأب، وسوف يكبر ليكون راشداً متمتعاً بالصحة والسعادة. وفي الواقع، إن معظم العصابين الكبار لم يقاسوا في طفولتهم من التجاهل والتعسف والغواية. فما هو إذن سبب العصاب؟

تجيب هورني بأن «الإثم الأساسي» هو لامبالاة الأهل، نقص الدفء والحنان في الطفولة. حتى إن العقاب بالضرب أحياناً أو أية خبرة جنسية مبكرة، يمكن التغلب عليها، إذا شعر الطفل أنه مطلوب ومحبوب.

المفتاح لفهم لا مبالاة الأهل هو مسألة «إدراك الطفل» وليست

«نوايا الوالدين» أو قصدهم. قد تكون النوايا الطيبة متوفرة لدى الأهل، ولكن قد تصدر عنهم اللامبالاة بأطفالهم بسهولة بتصرفات شتى، مثل: تفضيل طفل على آخر، لوم طفل على شيء لم يفعله، التدخل الزائد لحظة ونبذة لحظة أخرى، تجاهل الوفاء بالوعود، إرباك أو إفساد صداقات الطفل، السخرية من تفكير الطفل، وهكذا.

ونلاحظ أن كثيراً من الأهل - حتى الطيبون منهم - يجدون أنفسهم يفعلون هذه الأشياء بسبب الضغوط العديدة التي يخضعون لها. بعض الأهل الآخرين، قد يفعلون تلك الأشياء لأنهم أنفسهم عصابيون، ويضعون حاجاتهم الشخصية تسبق أطفالهم.

تسكيل الشخصية والتوافق:

تؤكد هورني أهمية دور العوامل الثقافية في تشكيل الشخصية، فضلاً عن دور التأثيرات الناجمة عن التفاعلات بين الأهل والطفل في بيئته المبكرة. وترى أن القلق الأساسي هو سبب العصاب. ويشير مفهومها عن القلق الأساسي إلى الشعور بالعجز في عالم مليء بالعداوة. وتنشق مشاعر القلق والعداء نتيجة إتجاهات النبذ من الأهل. وتثار مشاعر العداء في الطفل نتيجة إتجاهات الأهل، مثل: «تفضيل» أطفال آخرين، أو تأنيبات وتوبيخات ظالمة، أو تغيرات غير متوقعة من عطف بالغ إلى نبذ مهين فيه كثير من الإزدراء والامتهان، وعدم الوفاء بالوعود، وعدم إعتبار أو تقدير مشاعر الطفولة، والتداخل المستمر في نشاطات الطفل.

وتقترح هورني أن القلق المرضي يمكن تجنبه بمنح الطفل حناناً ودفناً حقيقياً حتى تنمو لديه مشاعر الشخص المطلوب والمحبوب. ونتيجة للخبرات الشخصية للطفل في البيئة المبكرة ينمو لديه أحد

الاتجاهات التالية في التعامل مع الناس:

١ - التحرك نحو الناس: حيث يتقبل الشخص العجز أو الضعف، ويسعى نحو مساندة الآخرين، ويصير إتكالياً في علاقاته، وبذلك يحصل على الشعور بالأمان والانتماء.

٢ - التحرك ضد الناس: حيث يفضل أسلوب الاعتداء ويسعى نحو القوة.

٣ - الإنسحاب مبتعداً عن الناس: حيث يتبنى أسلوب التنحي والتحاشي كعملية دفاعية عن الذات، ويسعى للإشباع في عالمه الخاص. أما التوافق السوي، فإنه يتطلب الاستخدام المناسب للاتجاهات الثلاثة في العلاقات الشخصية.

هورني وأدلر:

من الواضح أن استراتيجيات هورني الثلاث قريبة جداً من أنماط «آدلر» الثلاثة. طبعاً، يمكن تصور أنها تأثرت بأفكار آدلر. ولكن حينما ننظر كيف استمدت هورني إستراتيجياتها الثلاث نتيجة تجميع عدد كبير من الحاجات العصابية في ثلاث مجموعات، نجد أنها قد وصلت إلى نفس الاستنتاجات ولكن من إتجاه مخالف.

هورني وفرويد:

لقد انتقدت هورني فكرة فرويد عن «حسد القضيب»، مع أنها تسلّم بأنها تحدث أحياناً في النساء العصابات. إلا أن هورني ترى أن هذه الفكرة لم تكن عامة أو شاملة في أي مكان، وأن ما يمكن أن يبدو

من علامات عن حسد القضيبي يمكن تبريره في الحقيقة بحسد قوة الرجال في هذا العالم. وبعبارة أخرى، إنها ترفض اعتبار حسد القضيبي قوة لا شعورية لدى النساء، بل إنها ترجع الحسد لدى النساء إلى الرغبة في الصفات الذكورية المرغوبة في الثقافة وليست الخبرات الجنسية في الطفولة المبكرة. إنها تؤكد - ومعها المنشقون الآخرون عن فرويد، ومنهم إريك فروم Fromm، وهاري سوليفان Sullivan - على دور العوامل الثقافية، فضلاً عن أثر التفاعلات بين الأب والطفل في الطفولة المبكرة في تشكيل الشخصية. إنهم جميعاً يرفضون مفهوم فرويد، أي موقف التحليل النفسي التقليدي، ذو الاتجاه البيولوجي عن الليبدو كسبب للسلوك. لقد اعترض أنصار التحليل النفسي الحديث والمنشقون عن التحليل النفسي التقليدي على الإتجاه البيولوجي لنظرية الليبدو، وتحولوا عنها إلى التفسيرات الثقافية للشخصية والسلوك.

واقترحت «هورني أنه مقابل» «حسد القضيبي» لدى المرأة، يوجد لدى بعض الرجال «حسد الرحم» Womb envy. بعض الرجال يشعرون بالحسد من قدرة المرأة على الحمل. وربما الدرجة الفائقة التي ينساق بها بعض الرجال نحو تحقيق النجاح، والرغبة الشديدة في الاحتفاظ بأسمائهم بعد مماتهم، إنما هي تعويض عن عدم قدرتهم على امتداد أنفسهم في المستقبل مباشرة بواسطة الحمل وتربية أطفالهم.

وفيما يتعلق بعقدة أوديب، فلا تعتقد هورني أنها صراع «جنسي عدواني» بين الطفل ووالديه، وإنما هي قلق عن اضطرابات أساسية كالنبد مثلاً أو الإسراف في الحماية أو العقاب في علاقة الطفل بأمه وأبيه.

إن العدوان «ليس فطرياً كما يقرر فرويد، وإنما هو وسيلة يحاول

بها الإنسان حماية أمنه .

كما ترى هورني أن «الترجسية» ليست حب الذات حقيقة، وإنما هي تعظيم الذات والمبالغة في تقديرها نتيجة مشاعر فقدان الأمن، فالطفل القلق الذي ينعدم لديه الشعور بالأمن ينمي مختلف الأساليب ليواجه بها ما يشعر به من عزلة وقلة حيلة، فقد يصير:

أ - عدوانياً ينزع إلى الإنتقام لنفسه من هؤلاء الذين نبذوه أو أساءوا معاملته .

ب - أو يصبح سافر الخضوع حتى يستعيد مرة أخرى الحب الذي يحس أنه فقده .

ج - وقد يكون لنفسه صورة مثالية غير واقعية ليعوض ما يشعر به من نقص وقصور .

د - وقد يحاول رشوة الآخرين ليحبوه، أو يستخدم التهديدات ليلزم الآخرين بحبه .

هـ - وقد يغرق نفسه في الإشفاق على ذاته والرثاء لها ليكسب إشفاق الناس وتعاطفهم .

و - وإذا لم ينجح في الحصول على الحب قد يعمل على تحقيق القوة والسيطرة على الآخرين وبهذه الطريقة يعوض إحساسه بالعجز ويجد منفذا للعدوان، ويستطيع إستغلال الناس . وقد يصبح شديد الميل إلى التنافس ويصبح الكسب عنده أهم مما يحققه من إنجاز .

ل - وقد يحول عدوانه إلى ذاته ويحقر من نفسه.

وقد يصبح أحد هذه الأساليب على قدر من الثبات في الشخصية. وبعبارة أخرى، قد يتخذ أسلوباً محدداً منها يصف الدافع أو الحاجة المميزة لديناميات الشخصية.

نقد نظرية هورني؛

النقد الرئيسي لنظرية هورني هو أنها قصرت نظريتها على العصابين فقط، بينما تركت الذهانيين ومشكلات أخرى عديدة. كما أنها تركت أيضاً الأشخاص الأصحاء حقيقة. ومع ذلك، فإن هورني، عند وصفها للحاجات العصابية، وضعت العصاب والصحة على متصل واحد، مما يسهل توضيح أوجه الاختلاف بينهما.

الفصل الثامن

نظرية يونج في الشخصية

كارل يونج *Carl Jung*

(١٨٧٥ - ١٩٦١)

نظرية يونج في الشخصية

يعرف منهج يونج^(١) C.Jung باسم «علم النفس التحليلي» لتمييزه عن منهج «التحليل النفسي» الذي اقترن باسم فرويد. والواقع، أن نظرية يونج في الشخصية، هي أساساً نظرية في التحليل النفسي نظراً لتأكيدھا العمليات اللاشعورية. إلا أن النظريتين تختلفان في عدة نواحي، فبينما يرجع فرويد أصول الشخصية إلى خبرات الطفولة المبكرة ويؤكد في تفسيره للسلوك تأثير العمليات اللاشعورية للفرد، فإن يونج في تحليله للشخصية الإنسانية كان أكثر عمقاً وأبعد مدى من فرويد فهو يرى أن أصول الشخصية والسلوك أكثر قدما من الفرد، وترجع لأزمان سحيقة القدم، حيث الأصول العنصرية لنمو الجنس البشري بأسره. أي أنها ترجع إلى الأصول الأولى للإنسان كنوع، والتي أدت إلى تكوين «اللاشعور الجمعي» الذي يشترك فيه جميع البشر. يرى يونج أن الإنسان يولد مزوداً باستعدادات عديدة موروثة عن أسلافه، وهي تعمل - جزئياً - على توجيه سلوكه، وتحديد ما يصير شعورياً لديه وما سوف يستجيب له في عالم خبراته الذاتية.

(١) ولد كارل جوستاف يونج Carl G. Jung في ٢٦ يوليو ١٨٧٥ بسويسرا وحصل على إجازة الطب من جامعة بازل بها، واتخذ من الطب النفسي مهنة له. وكان يونج أول رئيس للاتحاد الدولي للتحليل النفسي حتى استقال منه وانسحب من عضويته وانفصل عن فرويد نهائياً في عام ١٩١٤. وتوفي يونج في عام ١٩٦١ بأمريكا.

ولكن يونج لا يكتفي بالماضي في تفسيره للسلوك، كما فعل فرويد، فهو يرى أن سلوك الإنسان ليس مشروطاً فحسب بتاريخه الفردي والعنصري، بل إنه يتأثر أيضاً بطموح الفرد وأهدافه في المستقبل. وبعبارة أخرى، إن الماضي كواقع، والمستقبل كأمل يمكن تحقيقه، يشتركان في تحديد السلوك الحاضر للفرد. ويوضح يونج هذا بقوله:

«إن الإنسان تحركه الأهداف بقدر ما تحركه الأسباب» وهكذا، يجمع يونج بين الأسباب (الماضي) والأهداف (المستقبل) في تفسيره للسلوك الحاضر.

وبذلك يتميز يونج عن فرويد بنظرته إلى المستقبل، وأهمية الأهداف أو الغايات في النمو الشخصي المستمر وتطوره نحو النمو الخلاق والكمال. بينما يؤكد فرويد التكرار في الموضوعات الفطرية الغريزية، والذي لا يتوقف حتى الموت. وبعبارة أخرى، إن وجهة نظر فرويد تؤكد حتمية السلوك الإنساني.

بنية الشخصية،

تقوم نظرية الشخصية عند يونج على «سيكولوجية كلية» فهو يؤكد الوحدة الكلية في مفهومه عن الشخصية. وتكون الشخصية الكلية أو النفس Psyche، كما يطلق عليها يونج، من عدة نظم منفصلة إلا أنها متفاعلة. وتتميز في الشخصية الكلية ثلاثة مستويات للنشاط العقلي هي:

١ - الشعور: وينتج عنه نتيجة عملية «التفرد» عنصر جديد هو «الأنا».

٢ - اللاشعور الشخصي: وهو يلعب دوراً هاماً في أحلام النوم،

ويرتج عنه «العقد النفسية».

٣ - اللاشعور الجمعي: ينجم عنه مجموعة من النظم تسمى «الأنماط الأولية». وأهم الأنماط الأولية التي تلعب أدواراً هامة في شخصية كل منا هي: القناع، الأنما، والأيموس، الظل، والذات.

أولاً: السَّعور

الشعور هو الجزء الوحيد من العقل الذي يعرفه الشخص مباشرة. إنه يظهر مبكراً في الحياة، وربما قبل الولادة. إن الوعي الشعوري لدى الطفل بالأشخاص والأشياء من حوله ينمو يوماً خلال تطبيق الوظائف العقلية الأربعة التي يسميها يونج: التفكير، الوجدان، الإحساس، والحدس.

والطفل لا يستخدم كل هذه الوظائف العقلية بنسب متساوية، فهو عادة يستخدم وظيفة واحدة بمقدار أكبر بكثير من استخدامه للوظائف الأخرى. والإستخدام الغالب لإحدى هذه الوظائف الأربعة هي ما يميز الخلق الأساسي للطفل عن غيره. مثال ذلك، إذا كان يغلب على الطفل نشاط التفكير، فهو طفل من «النمط المفكر» ويختلف سلوكه جوهرياً عن سلوك طفل آخر من «النمط الوجداني» الذي تغلب عليه المشاعر.

بالإضافة إلى الوظائف الأربعة يوجد إتجاهان يحددان إتجاه العقل الشعوري. هذان الإتجاهان هما: الإنبساط والإنطواء. الإتجاه المنبسط يوجه الشعور نحو العالم الخارجي الموضوعي، بينما الإتجاه المنطوي يوجه الشعور نحو عالم داخلي ذاتي. والعملية التي يصبح بها شعور الشخص منفرداً و متميزاً عن الناس الآخرين تعرف بالتفرد.

التفرد: هو العملية التي يصبح بها الشعور لدى الشخص فريداً ومتميزاً عن الناس الآخرين. ويلعب التفرد دوراً رئيسياً في النمو النفسي. ويشير لفظ «تفرد» إلى العملية التي بواسطتها يصبح المرء «فرداً» سيكولوجياً، أي قائماً بذاته، منفصلاً، وحدة لا تتجزأ، أو وحدة كاملة.

إن الهدف من التفرد هو معرفة الشخص لنفسه تماماً بقدر الامكان، أو «الوعي بالذات» أي «الشعور بالذات». ويقرر يونج في تحليله النهائي أن «العامل الحاسم هو دائماً الشعور. ويسير الشعور والتفرد متصاحبين في نمو الشخصية. إن بداية الشعور هي أيضاً بداية التفرد. ومع زيادة الشعور تحدث أيضاً زيادة في التفرد. والشخص الذي يظل بدون وعي بنفسه وبالدينا من حوله لا يمكن أن يصبح شخصاً متفرداً جداً. وينتج عن عملية تفرد الشعور عنصر جديد يطلق عليه «الأنا».

الأنا

هو تنظيم العقل الشعوري، ويتكون من الإدراكات والذكريات والأفكار والمشاعر الشعورية. ومع أنه يشغل جزءاً صغيراً من الشخصية الكلية، فإنه يؤدي وظيفة حيوية هامة وهي وظيفة الرقيب للشعور. ما لم يرضي الأنا عن وجود فكرة ما، أو المشاعر أو الذكرى، أو الإدراك، فإنه لن يسمح لها بدخول الوعي. إنه يشبه المرشح، إئتقائي جداً، يختار القليل فقط من المادة النفسية الكثيرة التي تدخل فيه، ويسمح لها بالوصول إلى مستوى الوعي الكامل. فنحن نتعرض يومياً لعدد ضخم من الخبرات، معظمها لا يصبح شعورياً، لأن الأنا يستبعد ما قبل أن تصل إلى الشعور. هذه وظيفة هامة، وإلا طغى علينا هذا الحشد من المادة النفسية التي تتزاحم في الشعور. الأنا يعطي الهوية والاستمرار

للشخصية، لأنه بالانتقاء والاستبعاد للمادة النفسية يمكنه الاحتفاظ بنوع مستمر من التماسك في شخصية الفرد. إن الأنا يجعل الفرد يشعر بأن الشخص الموجود اليوم هو نفس الشخص الذي كان موجوداً بالأمس. هذا الشعور بالذات يسمى في اللغة الحديثة «الشعور الممتد». وهكذا، نجد أن التفرد والأنا توجد بينهما علاقة قوية في تنمية شخصية متميزة مستمرة. والشخص يمكنه التفرد فقط للحد الذي يسمح به الأنا للخبرات التي يستقبلها لكي تصبح شعورية. ويتحدد ما يرفضه أو يقبله الأنا لكي يصبح شعورياً بما يلي:

١ - تقوم الوظيفة المسيطرة - جزئياً - بتحديد ما يسمح له بالدخول. فإذا، كان نمط الشخص وجدانياً، فإن الأنا سوف يسمح بدخول خبرات إنفعالية أكثر في الشعور. وإذا كان نمطاً مفكراً، فإن الأفكار يسمح لها بدخول الشعور أكثر من الخبرات الإنفعالية والمشاعر.

٢ - كمية القلق الذي تثيره الخبرة في الأنا تحدد أيضاً ما يرفض أو يقبل، فالأفكار والذكريات التي تستثير القلق لا يسمح لها غالباً بدخول منطقة الشعور أو الوعي.

٣ - مستوى التفرد الذي يصل إليه الفرد له دور أيضاً في الاختيار. فالمستوى العالي من التفرد سوف يسمح لأشياء كثيرة بأن تصبح شعورية.

٤ - شدة الخبرة تسهم أيضاً في هذا التحديد. فالخبرات القوية جداً يمكنها شق طريقها خلال منافذ الأنا، بينما الخبرات الضعيفة يمكن طردها بسهولة.

ثانياً، اللاشعور الشخصي،

الخبرات التي يرفضها الأنا لا تختفي من الشخصية، فالخبرة لا تفتنى من الوجود وتصير عدما، وإنما تختزن في اللاشعور الشخصي. هذا المستوى من العقل يجاور الأنا. إنه الوعي الذي يحتوي على جميع تلك النشاطات النفسية والمحتويات التي تتنافر مع التفرد الشعوري أو الوظيفة، والخبرات التي كانت شعورية ثم كبتت أو أهملت لأسباب مختلفة، كأن تكون أفكار مزعجة، أو مشكلة غير محلولة، أو صراع شخصي، أو موضوع أخلاقي. وغالباً ننسى ببساطة لأنها غير متصلة بالموضوع أو تبدو غير هامة في حينها. جميع الخبرات التي تكون ضعيفة جداً بحيث لا يمكنها الوصول إلى الشعور، أو لا تستطيع البقاء في الشعور تختزن في اللاشعور الشخصي. وحينما تكون هناك حاجة إلى محتويات اللاشعور الشخصي فهي عادة تكون في متناول الشعور. أي أنه يوجد مرور مزدوج بين الأنا واللاشعور الشخصي. اللاشعور الشخصي يعمل بمثابة بنك ذكريات أو نظام الأرشيف. قد نتعلم أو نلاحظ شيئاً ما يبدو لنا أنه غير ذات أهمية أو قليل الأهمية لنا في وقت ما، ولكن بعد سنوات نجد أنه أصبح متصلاً جداً باهتماماتنا ومن ثم يستدعى من اللاشعور الشخصي للمثول أمام الشعور. والخبرات التي تمر دون أن نلتفت إليها أثناء النهار قد تظهر في أحلامنا ليلاً. وفي الحقيقة، يلعب اللاشعور الشخصي دوراً هاماً في إنتاج الأحلام.

العقد النفسية،

أحد المظاهر الهامة في اللاشعور الشخصي هو تجمع المشاعر والأفكار والذكريات في مجموعات أطلق عليها «العقد». وقد اتضح أثر

تلك العقد على استجابات الشخص في اختبار تداعي الكلمات الذي استخدمه يونج في دراساته. إن أي كلمة تمس العقدة تسبب تأخير الاستجابة أي أن زمن الرجوع يكون طويلاً.

كل عقدة عبارة عن نواه جذبت إليها خبرات عديدة لتشكل تجمعا حولها. ويمكن تمثيل العقد بشخصيات صغيرة منفصلة بداخل الشخصية الكلية. إنها مستقلة بذاتها، ولها قوتها الدافعة الخاصة، ويمكنها أن تكون قوية التحكم في الأفكار والسلوك. ويرجع إلى يونج إنتشار كلمة عقدة حتى أصبحت جزءاً من لغة الناس اليومية العادية، فيقال فلان عنده عقدة ذنب أو نقص... إلخ. وحينما نقول أن فلان لديه عقدة، نعني بذلك أنه مشغول بقوة بشيء ما بحيث يكون من العسير عليه أن يفكر في شيء آخر، أي أنه، كما في لغة المحادثات الرسمية، يصبح معلقاً. ويمكن للناس ملاحظة العقدة لدى شخص ما، بينما الشخص نفسه قد لا يفتن إلى وجودها. مثال ذلك، عقدة الأم، حينما تسيطر على الشخص، نجده مفرط الحساسية لكل ما تقوله أو تشعر به، كما تكون صورتها دائماً ماثلة في ذهنه. سوف يحاول هذا الشخص إقحام أمه في ما يرتبط به من أمور وفي كل محادثه سواء كانت وثيقة الصلة بالموضوع أم لا. سوف يفضل القصص والأفلام والحوادث التي تلعب فيها الأم دوراً بارزاً. وهو ينتظر بفارغ الصبر حلول عيد الأم أو عيد ميلادها أو مناسبة أخرى يمكنه أن يكرمها فيه. ويميل إلى محاكاة الأم بتفضيل الأشياء التي تفضلها ويحبذ إهتماماتها عن غيرها، كما ينجذب إلى صديقاتها. وهو يفضل مصاحبة النساء الكبار في السن عن النساء اللاتي في مثل عمره. وهكذا، يتضح أن الشخص لا يمتلك عقده، وإنما العقدة هي التي تمتلكه. وقد لاحظ يونج معظم العقد لدى مرضاه كانت متضمنة في حالاتهم

العصائية . وأحد أهداف العلاج التحليلي هو إذابة العقد وتحرير الشخص من طغيانها على حياته .

ولكن يونج يرى أن العقدة - كما اكتشفها هو - لا تشكل حتماً إعاقة لتوافق الشخص . بل إن الحقيقة، هي العكس فإنها يمكن أن تكون، وغالباً ما تكون، مصادر للإلهام والدوافع الضرورية للإنجازات الفائقة . إنه ينسب النضال من أجل الإلتقان والكمال إلى عقدة قوية، بينما العقدة الضعيفة تقاوم الفرد، وبالتالي ينتج أعمالاً ضعيفة أو لا شيء على الإطلاق .

وكان يونج في بادئ الأمر، يميل للاعتقاد - تحت تأثير فرويد - بأن أصل العقد هو خبرات ضارة في الطفولة المبكرة، كأن يفقد طفل أمه أو يفصل عنها فجأة فيؤدي هذا إلى نشأة «عقدة الأم» كتعويض عن الأم المفقودة . ولكن يونج لم يكن قانعا بهذا التفسير لفترة طويلة، فقد تحقق من أن العقد يجب أن تصدر عن شيء أكثر عمقا من خبرات الطفولة المبكرة . وقد دفعه حب الاستطلاع إلى البحث عن هذا العمق، فاكتشف يونج مستوى آخر من العقل هو اللاشعور الجمعي .

ثالثاً، اللاشعور الجمعي؛

إن اكتشاف يونج للعقد النفسية قد جذب الانتباه لإسمه في عالم النفس والطب النفسي . أما إكتشافه للاشعور الجمعي فكان أعظم أهمية مما جعل يونج واحداً من أعظم العقليات البارزة في هذا القرن . إن إكتشاف اللاشعور الجمعي هو أحد معالم تاريخ علم النفس . لقد تحرر يونج من حتمية بيئية صارمة للعقل، وأوضح أن النشوء أو الارتقاء والوراثة تقدمان مخططات للنفس كما تقدمان مخططات للجسم .

إن العقل، خلال الجانب الجسمي المقابل، المنخ، قد ورث خصائص تحدد الأساليب التي سوف يستجيب بها الفرد لخبراته، بل تحدد أيضاً نمط الخبرات التي سوف يمر بها. إن عقل الإنسان قد تكون له تمثيل أو تصور مسبق بواسطة النشوء evolution (التطور). وهكذا، فالفرد متصل بماضيه، لا بطفولته فقط، ولكن بماضي نوع الجنس البشري، وهذا أكثر أهمية، بل قبل ذلك، بالإمتداد الطويل للنشوء العضوي. إن إدخال النفس في عملية النشوء والتطور هو الإنجاز البارز ليونج.

محتويات اللاشعور الجمعي؛

محتويات اللاشعور الشخصي كانت شعورية فيما قبل، ولكن محتويات اللاشعور الجمعي لم تكن شعورية بالمرّة خلال حياة الفرد. أي أن وجود اللاشعور الجمعي لا يعتمد على الخبرة الشخصية. إنه مخزن للصور الكامنة التي يسميها يونج عادة «صور بدائية»، أي أوليه أو أصلية. يرث الإنسان هذه الصور من ماضي أسلافه، أي ماضي جميع أسلاف البشر. والصور العنصرية لا تورث، بمعنى أن الشخص يرث الصور التي كان عليها أجداده، ولكنها عبارة عن إستعدادات أو إمكانيات للخبرة بالعالم أو الإستجابة له بنفس الأساليب التي قام بها أسلافه.

نحن، مثلاً نرث الاستعدادات للخوف من الثعابين أو الظلام لأن أجدادنا الأوائل قد مروا بخبرة المخاوف لأجيال لا تحصى، حتى أصبحت محفورة في المنخ. إلا أن خبراتنا الشخصية مع الثعابين والظلام، تدعم أو تؤكد هذه الاستعدادات.

وبعبارة أخرى، إن النشوء أو التطور للاشعور الجمعي يمكن أن

يتبع نفس نشوء وتطور الجسم . حيث أن المخ هو العضو الرئيسي للعقل ، فإن اللاشعور الجمعي يعتمد مباشرة على نشوء وتطور المخ .

وهكذا يولد الإنسان ولديه إستعدادات للتفكير والشعور والإدراك والفعل بأساليب خاصة . ولكن نمو هذه الإستعدادات والصور الكامنة والتعبير عنها ، يعتمد كلية على خبرات الفرد . إن الخوف من شيء ما قد ينشأ بسهولة جداً إذا وجد الإستعداد للخوف في اللاشعور الجمعي . في بعض الحالات ، يلزم وجود تنبيه بسيط جداً حتى يظهر الاستعداد نفسه . أول مرة نرى فيها الثعبان ، حتى وإن كان غير مؤذى ، قد ترتعد منه . وفي حالات أخرى ، قد يحتاج الإستعداد إلى تنبيه قوي من البيئة قبل أن ينبثق من اللاشعور الجمعي .

تقوم محتويات اللاشعور الجمعي بممارسة نموذجاً مهيأً للسلوك الشخصي يتبعه الفرد منذ اليوم الأول من مولده . يولد الفرد ويولد معه شكل العالم كصورة تقديرية . هذه الصورة التقديرية تدخل في الواقع الشعوري عندما تعرف نفسها بالأشياء المقابلة لها في العالم . مثال ذلك ، إذا وجدت صورته تقديرية للأم في العقل اللاشعوري ، فإنها تعبر بسرعة عن نفسها بواسطة إدراك الرضيع واستجابته للأم الحقيقية . إن محتويات اللاشعور الجمعي ، هكذا ، مسؤولة عن الاختيار في الإدراك والفعل . فنحن ندرك بسهولة بعض الأشياء ونستجيب لها بطرق معينة ، لأن اللاشعور الجمعي مهيأً أو مستعد لذلك . وكلما زادت خبراتنا ، كانت الفرص أعظم للصور الكامنة لكي تظهر . ولهذا ، كانت البيئة الغنية وفرص التربية والتعلم ضرورية لتفرد (جعلها شعورية) جميع جوانب اللاشعور الجمعي . إن خبرة الطفل ، إذن ، هي محصلة تفاعل الإستعداد

الداخلي لإدراك العالم بصورة معينة مع الطبيعة الواقعية لهذا العالم .

الأنماط الأولية،

محتويات اللاشعور الجمعي تسمى «أنماط أولية». وكلمة نمط أولى تعنى نموذج أصلي، وعلى أساسه تشكل أشياء مماثلة أخرى. قضى يونج الأربعين عاماً الأخيرة من حياته يبحث ويكتب عن الأنماط الأولية. ومن بين الأنماط الأولية العديدة التي حددها ووضعها هي: أنماط الولادة، والموت، القوة، الطاقة، السحر، البطولة، الطفل، الله، العفريت، الإنسان العجوز الحكيم، الأم، العملاق، وأشياء أخرى من الطبيعة مثل: الأشجار، الشمس القمر، الريح، الأنهار، النار، والحيوانات. وأشياء كثيرة صنعها الإنسان مثل الأسلحة والحلقات، إلخ. ويرى يونج أن الأنماط كثيرة بقدر المواقف النموذجية في الحياة. وتحدث لها تكرارات لا نهاية لها، ولذا تحضر تلك الخبرات في بنيتنا النفسية، لا في شكل صور مملؤة بمحتوى، ولكنها في البداية فقط تكون أشكالاً بدون محتوى. إنها تمثل إمكانية نمط معين من الإدراك والفعل. إن النمط الأولى لا يعتبر صورته مظهره تماماً في العقل مثل صور الذاكرة لخبرات الماضي في حياة المرء. النمط الأولى للأم مثلاً، ليس صورة فوتوغرافية للأم أو امرأة ما. إنها تشبه أكثر الصورة السلبية (نجاتيف) التي تُظهِر بواسطة الخبرة.

يحدد محتوى الصورة البدائية فقط عندما تصبح شعورية، فتملاً بمادة الخبرة الشعورية. وتعمل الأنماط الأولية كمراكز ذات شحنات عالية من الطاقة تميل إلى أحداث نفس الخبرات وتطويرها في كل جيل.

لقد وجه يونج إهتماماً خاصاً ببعض الأنماط الأولية التي وجدها

هامة جداً في تشكيل شخصيتنا وسلوكنا. هذه الأنماط هي: القناع، الأنما والآنموس، الظل، والذات. ومع أن الأنماط الأولى ذات بنيات مستقلة في اللاشعور الجمعي، فإنها تستطيع تشكيل تكوينات. مثال ذلك، إذا اتحد النمط الأولي للبطل مع النمط الأولى للعفريت، فإن النتيجة قد تكون نمط «قائد قاسي». والأنماط الأولى عامة، أي أن كل فرد يرث نفس صور الأنماط الأولى الأساسية. فكل طفل في العالم يرث نمطاً أولاً للأم. هذه الصورة الموروثة تظهر إلى صورة محددة بواسطة مظهر الأم الفعلية وسلوكها، وبواسطة علاقات وخبرات الطفل معها. والفروق الفردية في تعبير النمط الأولى للأم سرعان ما تظهر، حيث تختلف الخبرات مع الأم وكذلك ممارسات التنشئة الطفلية من أسرة لأخرى، بل تختلف أيضاً من طفل لآخر في نفس الأسرة. فضلاً عن ذلك، عندما يظهر التمايز العنصري، تظهر أيضاً فروق جوهرية في اللاشعور الجمعي لدى الأجناس المتباينة.

النمط الأولى يعمل كمركز أو نواه لعقده، يؤدي وظيفة المغنطيس. وبإضافة الخبرات، يكتسب قوة كافية تمكن العقدة من اختراق الشعور. وهكذا، يستطيع النمط الأولى كمركز لعقدة نامية جيداً أن يجد تعبيراً في الشعور والسلوك.

وفيما يلي الأنماط الأولى الأربعة التي تلعب أدواراً هامة في الشخصية وهي:

١- القناع؛

هو الشخصية العامة التي يظهر بها الفرد على العالم لكي يحدث انطباعات معينة لدى الآخرين، والتي كثيراف ما تخفى الطبيعة الحقيقية

للشخصية الخاصة التي تتوارى خلف الواجهة الاجتماعية. ويلجأ الفرد إلى إرتداء القناع إستجابة للمطالب والتقاليد الاجتماعية وفي نفس الوقت إستجابة لمطالب الشخص ذاته الناشئة عن حاجات النمط الأولى. وينمو القناع من أحد الأنماط الأولية الناجمة عن خبرات الجنس البشري القائمة على التفاعلات الاجتماعية مما أبرز أهمية الدور الاجتماعي للفرد. فالمجتمع يتوقع من الفرد أن يلعب دوراً معيناً في الحياة. ويمكن تسمية القناع أيضاً «النمط الأولى للمطابقة». القناع ضروري للبقاء، فهو يمكننا من التوافق مع الناس، ويمكنه أن يؤدي إلى الكسب والتحصيل الشخصي. كثير من الناس يعيشون حياة مزدوجة أي ذات وجهين، أحدهما يسيطر عليه القناع، والآخر يشبع حاجات نفسية أخرى.

والشخص قد يلبس أكثر من قناع. يلبس في المنزل قناعاً مختلفاً عن القناع الذي يلبسه الغني العمل، وقد يلبس قناعاً ثالثاً حينما يذهب ليلعب الكره مع أصدقائه. هذه الأقنعة مجتمعة تكون قناع الشخص. إنه فقط يتطابق بأساليب مختلفة في المواقف المختلفة. ومن الطبيعي أن المطابقة أو الإمتثال عرفت دائماً كعامل هام في الحياة الاجتماعية، ولكن لم يقترح أحد قبل يونج أنها تعبير عن نمط فطري (موروث). إلا أن القناع كما يفيد فإنه قد يضر أيضاً. فإذا إندمج الشخص جداً وأصبح مشغولاً للغاية في الدور الذي يلعبه، وأصبح الأنا يتقمص فقط هذا الدور، ويهمل الجوانب الأخرى من الشخصية، فإن الشخص يصبح مغتربا عن طبيعته، ويعيش في حالة من التوتر لأن الصراع سوف ينشأ بين القناع الذي بالغ في نموه والأجزاء الأخرى من الشخصية التي تأخر نموها.

إن تقمص الأنا للقناع يسمى «التضخم». ومن جانب آخر، يبالغ الشخص في إحساسه بأهمية الذات التي تستمد من لعب دوره بنجاح كبير. إنه يخلع هذا الدور على الناس، ويحاول أن يسقط دوره على الآخرين، ويطالبهم بلعب نفس الدور. فإذا كان في مركز السلطة، فإنه يستطيع أن يجعل حياة مرؤسية بائسة. الأهل أحياناً يسقطون أقتعتهم على أطفالهم، ويترتب على ذلك عقبات وخيمة. العادات والقوانين التي تربط بالسلوك الشخصي هي تعبير عن «قناع المجموعة». إنهم يحاولون وضع معايير للسلوك على المجموعة كلها بدون مراعاة لحاجات الفرد. المخاطر التي تهدد الصحة النفسية نتيجة «تضخم القناع» واضحة من تلقاء نفسها.

ومن جهة أخرى، ضحية التضخم قد تعاني أيضاً من مشاعر الدونية وتوبيخ الذات عندما يعجز عن الحياة في مستوى المعايير المتوقعة منه. وقد يشعر نتيجة لذلك بأنه مبعّد عن المجتمع وتنتابه مشاعر العزلة والإقصاء. كثير من المرضى كانوا ضحايا «تضخم القناع». وغالباً ما كانوا أشخاص حققوا إنجازات عظيمة، ولكنهم فجأة تحقّقوا أن حياتهم كانت فارغة ولا معنى لها. وبالتحليل اكتشفوا أنهم قد خدعوا أنفسهم لسنوات، فقد تظاهروا باهتمامهم بأشياء لم تكن تهمهم إطلاقاً، وفي نفس الوقت أهملوا مشاعرهم واهتماماتهم الحقيقية. غالباً، هم أشخاص بلغوا منتصف العمر قبل أن تصل أزمة تضخم القناع إلى أوجها.

٢- الأنيميا والآنيموس:

يطلق يونج على القناع إسم «الوجه الخارجي» للشخصية، فهو الوجه الذي يراه العالم. ويطلق على «الوجه الداخلي» إسم «الآنيميا» في

الرجال، و «الأنيموس» في النساء.

النمط الأولى للأنيميا هو الجانب الأنثوي في شخصية الذكر. والنمط الأولى للأنيموس هو الجانب الذكري في شخصية الأنثى. كل شخص لديه صفات من الجنس المضاد، بيولوجيا وسيكولوجيا. من الناحية البيولوجية يفرز كل من الرجل والمرأة هرمونات جنسية ذكورية وأنثوية، ومن الناحية السيكولوجية فيما يختص بالاتجاهات والمشاعر.

ويتطور النمط الأولى للأنيميا في الرجل بتعرضه المستمر للمرأة عبر أجيال جديدة، ويتطور النمط الأولى للأنيموس في المرأة بتعرضها للرجل. خلال الحياة، نتيجة لتفاعل الجنسين معا طوال أجيال عديدة، يكتسب كل منهما خصائص الجنس المضاد التي تسهل الاستجابات المناسبة والفهم الصحيح للجنس الآخر. ولهذا، فإن النمط الأولى للأنيميا والأنيموس، مثل القناع لهما قيمة حيوية قوية. ولكي يحتفظ الإنسان بتوازنه وتوافقه جيداً، يجب أن يسمح لكل من الجانبين الأنثوي والذكري بالتعبير عنهما في الشعور والسلوك. الرجل الذي لا يبدو منه إلا سمات الذكورة فقط، تبقى سماته الأنثوية في اللاشعور، ولهذا تظل هذه السمات غير نامية وبدائية. وهذا يعطى اللاشعور صفة الضعف والانطباعية. ولهذا السبب، فإن الرجل الذي يبدو مكتمل الرجولة وفي أفعاله قوة ونشاط، غالباً ما يكون داخلياً ضعيفاً وخاضعاً. والمرأة التي تبدي أنوثة فائقة في حياتها الخارجية يكمن بداخلها صفات لا شعورية من العناد والتصميم، وهي صفات غالباً موجودة في السلوك الخارجي للرجل. كل رجل يحمل بداخله صورة سرمدية للمرأة، ليست لإمرأة معنية بالذات، هذه أو تلك، ولكنها صورة أنثوية لا شعورية موروثه من

أصل بدائي إنطبعت في الجهاز العضوي الحي للإنسان . إنها نسخة أو نمط أولى لكل الخبرات العنصرية للأثنى ، أي ترسيب لجميع الانطباعات التي أحدثتها المرأة .

وحيث أن هذه الصورة لا شعورية ، فإن الرجل يسقطها لا شعورياً على شخص المحبوب ، وهذا هو أحد الأسباب الرئيسية للجاذبية الجارفة أو النفور الشديد نحو الجنس الآخر . وبعبارة أخرى ، نتيجة لصورة المرأة التي يرثها الرجل يتكون لديه لا شعورياً معايير معينة سوف تؤثر في قبوله أو رفضه لإمرأة معينة . فإذا أحس بجاذبية قوية نحو امرأة ما ، فإنها بلا شك لديها سمات صورة الأنثى الموجودة لديه . وبالعكس ، إذا أحس بنفور شديد نحوها ، فإن هذا يرجع إلى أنها تمتلك صفات مناقضة لصورة الأنثى اللاشعورية لديه . ونفس الأمر يحدث للمرأة حينما تسقط الأنثى على الرجل . وهكذا ، إسقاط الأنثى أو الأنثى على الجنس الآخر مسؤول عن نوع العلاقة التي تقوم بين الجنسين . ومع ذلك ، توجد أسباب أخرى عديدة تجذب الرجل نحو المرأة ، ولكنها أسباب ثانوية ، فالأسباب الأولية موجودة مسبقاً في اللاشعور . فالرجال قد حاولوا إقامة علاقات كثيرة مع النساء التي كانت عكسية لصورة الأنثى لديهم ، ولكن النتيجة التي لا مفر منها هي عدم الرضا والخصومة بينهما .

٢- الظل،

هو النمط الأولى الذي يتضمن الطبيعة الحيوانية الأساسية للإنسان أكثر من أي نمط أولى آخر . إنه يعطي شخصية الإنسان صفة الجسم الممتلئ ذو الأبعاد الثلاثة . هذه الغرائز مسؤولة عن حيوية الإنسان وإبداعه ونشاطه وقوته . أما نبذ الظل يجعل الشخصية مسطحة ، بسبب

جذوره العميقة الضاربة في القدم في تاريخ النشوء والتطور. ربما كان الظل أكثر الأنماط الأولية قوة وأكثرهم من حيث الخطورة الكامنة. إنه منبع الأفضل أو الأسوأ وخاصة في علاقاته مع الآخرين من نفس جنسه. النمط الأولى للظل يمثل الجنس الخاص بالفرد، ويؤثر في علاقاته الشخصية مع أفراد جنسه. الظل هو العقل اللاشعوري الذي يكبت فيه ما يطرد من الشعور.

ومن أجل أن يصبح الفرد عضواً صحيحاً في مجتمعه ينبغي أن يروض مزاج الحيوان الكامن في الظل. هذا الترويض يتم بقمع مظاهر الظل وتنمية قناع قوى يضاد أو يبطل قوة الظل. الشخص الذي يقمع الجانب الحيواني من طبيعته قد يصبح متمديناً، ولكنه يفعل ذلك على حساب إنقاص قوة الدافع للتلقائية والإبداع والإنفعالات القوية والاستبصارات العميقة. سوف يعزل نفسه عن حكمة طبيعته الفطرية، وهي حكمة قد تكون أكثر عمقا مما يعطيه أي تعلم أو ثقافة. الحياة بدون ظل تميل لكي تصبح ضحلة وبدون روح.

إنه نمط أولى هام وقيم لأنه لديه القدرة على أن يحتفظ ويؤكد الأفكار أو الصور التي قد تتحول إلى فائدة للفرد. بواسطة تماسكه يمكنه دفع الشخص في نشاطات مشبعة وخلاقة. الظل فيه إصرار ولا يستسلم بسهولة للقمع. وحينما يعمل الأنا بانسجام وثيق مع الظل، يشعر الشخص بحياة مفعمة بالحيوية والقوة. الأنا يسمح بمرور القوى المنبثقة من الغرائز بدلاً من إعاقتها. فيتسع الشعور ويضفي بالحيوية على النشاط العقلي، بل على الناحية الجسمية أيضاً فتزداد قوة.

وحينما يقوم المجتمع بكبت الظل بصرامة، أو حينما يوفر له منافذ

غير ملائمة، يتحول الحيوان بداخلنا إلى وحش، فيحل الخراب والدمار. قلنا إن الظل مسؤول عن علاقات الفرد بنفس جنسه. هذه العلاقات قد تكون صداقة أو عداوة، ويتوقف هذا على قبول أو نبذ الأنا له. فإذا كان مقبولاً من الأنا فإن الظل يصبح منسجماً في الشخصية، وإذا كان منبوذاً من الأنا وكبت في اللاشعور، فإن الرجال يميلون إلى إسقاط ظلهم المنبوذ على غيرهم من الرجال، ولهذا تنشأ المشاعر السيئة بينهم غالباً، ويصدق نفس الشيء فيما بين النساء.

٤- الذات

مفهوم الشخصية الكلية أو النفس هو علامة جوهرية في سيكولوجية يونج. هذه الإجمالية لا نصل إليها بوضع الأجزاء بجوار بعضها البعض، فالإجمال موجود منذ البداية، مع أنه يأخذ وقتاً حتى ينضج. المبدأ المنظم في الشخصية هو نمط أولى يطلق عليه يونج إسم «الذات» Self. الذات هي نمط أولى مركزي في اللاشعور الجمعي. إنه يشبه الشمس في مركز النظام الكوني. الذات هي النمط الأولى للنظام والتنظيم والتوحيد. إنها تجذب إليها، وتعمل على إنسجام، جميع الأنماط ومظاهرها في العقد والشعور. إنها توحد الشخصية فتعطيها الإحساس بالأحادية والصلابة. حينما يقول الشخص إنه يشعر بالانسجام مع نفسه ومع العالم، يمكن التأكد من أن النمط الأولى للذات قد أدى عمله بكفاءة. ومن جهة أخرى، لو أن الشخص يشعر بأنه في ضيق وفي صراع وأنه يتمزق إلى قطع، فإن الذات تكون قد فشلت في أداء عملها.

الهدف النهائي لكل شخصية هو الوصول إلى حالة الفردية وتحقيق الذات. وهذه ليست مهمة بسيطة، ولكنها عمل مطول جداً، وصعب

ومعقد، ونادراً، إن لم يكن بالمرة، ما ينجح الفرد في تحقيقه كاملاً. الأنبياء والرسل فقط هم الذين يقتربون جداً من الوصول إليه. كما أن النمط الأولى للذات لا يصبح واضحاً إلا في منتصف العمر تقريباً، حيث أن الشخصية يجب أن تصبح مكتملة النمو خلال عملية التفرد قبل أن يمكن للذات أن تظهر بأي درجة من الإكمال. والوصول إلى حالة «تحقيق الذات» يتوقف غالباً على التعاون مع الأنا. لأنه إذا تجاهل الأنا رسائل النمط الأولى للذات، فإنه يكون من المستحيل تقدير وفهم الذات. كل شيء يجب أن يصبح شعورياً من أجل أن ينال تأثير تفرد الشخصية. والمعرفة بالذات تكون في متناول الفرد خلال دراسة أحلامه. وأكثر أهمية، خلال خبرات دينية حقة، يمكن للفرد أن يفهم ويحقق ذاته.

كثير من الناس يريدون تحقيق الذات بدون أقل معرفة بالذات. يريدون الكمال والإتقان الفوري، يريدون معجزة تحول الفرد منهم إلى شخص مكتمل التحقيق، ولكن بدون جدوى. فهذا في الواقع. عمل غاية في المشقة، بل هو أكثر مشقة من أي عمل آخر يواجهه المرء في حياته، فهو يحتاج إلى نظام ثابت، ومجهودات مستمرة وأعلى مستوى من المسؤولية والحكمة. ولهذا، يرى يونج ضرورة وضع تأكيد أقل على الحصول على تحقيق الذات الكلي، بينما يجب وضع تأكيد أكبر على المعرفة بالذات، وبدون المعرفة بالذات لا تتحقق الذات.

إن الشخص الذي لا يعرف ذاته اللاشعورية يسقط العناصر المكبوتة في لا شعوره على الآخرين، فيتهمهم بأخطائه الخاصة التي يجهلها، وهكذا ينتقدهم ويدينهم، بينما هو في كل الوقت يسقط الجانب

اللاشعوري من نفسه . والوعي بالذات يكشف تلك الإسقاطات، ولا يصير الشخص مضطراً لبحث عن ضحايا لكي ينتقدهم ويوبخهم. وهكذا تتحسن علاقاته مع الناس ويشعر بانسجام أكثر معهم ومع نفسه.

النمط الأولى للذات هو عامل موجه داخلي، ويختلف تماماً عن الأنا الشعوري الخارجي الخاص بنا. إن الذات لديها القدرة على التنظيم أو الحكم والتأثير في الشخصية، فيمكنها من النضج وزيادة الإدراك الحسي. وخلال نمو الذات، يصبح الإنسان مدفوعاً للعمل على زيادة وعيه وإدراكه وفهمه لحياته وتحديد وجهتها.

في الطفولة، يكون الأنا هو مركز العقل الشعوري أو مركز الشخصية، وفي منتصف العمر، تحتل الذات منطقة وسط بين الشعور واللاشعور، وتشكل نقطة توازن جديدة وتمركز للشخصية الكلية. ويفضل هذا الوضع البؤري للذات، تتجمع حولها النظم الأخرى، وتصبح بذلك جوهرأً جديداً للشخصية أكثر قوة وثباتاً. ولكي يحدث هذا التغيير لمركز الشخصية من الأنا الشعوري إلى منطقة وسطى بين الشعور واللاشعور، وهي منطقة الذات، يبذل الإنسان محاولات جادة ومجهودات مستمرة. وحتى يصبح النمط الأولى للذات واضحاً وبارزاً، يجب أن يتحقق أولاً النمو الكامل والتفرد لمكونات الشخصية المختلفة، ولا يصبح هذا ممكناً إلا في منتصف العمر.

الذات، إذن، هي هدف حياتنا، فهي التي تمد الشخصية بالوحدة والتوازن والثبات. إنها التعبير الكامل لهذا التكوين المحتوم الذي نسميه فردية.

الأنماط السيكولوجية،

حاول يونج أن يصنف الناس إلى أنماط مختلفة. والأنماط هي فئات من الناس ذات خصائص متشابهة ولكنها ليست بالضرورة متطابقة. حتى بداخل الفئة الواحدة لا يوجد نموذجان للشخصية متماثلان تماما. ويقوم تصنيف يونج على الإتجاهات والوظائف الأساسية التي يتبعها الأفراد. وقد أوضح يونج كيف تدخل هذه الإتجاهات والوظائف في تكوينات مختلفة بنسب متباينة تحدد شخصية الفرد وتصف خصائصه الفريدة وسلوكه الخاص.

١ - الإتجاهات:

يميز يونج بين إتجاهين أساسيين للشخصية، أحدهما إتجاه موضوعي والآخر إتجاه ذاتي، وهما إتجاهي الإنبساط والإنطواء على الترتيب.

إتجاه الإنبساط:

وهو يوجه الشخص نحو العالم الخارجي الموضوعي، إنه عالم الناس والأشياء والعادات والأعراف والمؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحالات الجسمية. ويشار إلى هذا العالم الخارجي بإسم البيئة أو ما يحيط بالشخص.

إتجاه الإنطواء:

وهو يوجه الشخص نحو العالم الداخلي الذاتي، إنه خاص بالشخصية لأنه لا يمكن ملاحظته مباشرة بواسطة الأشخاص الآخرين.

إن الشخص المنبسط يهتم بتفاعلاته مع الناس والأشياء، ويبدو أنه

أكثر نشاطاً ووداً. بينما الشخص المنطوي يهتم باكتشاف وتحليل عالمه الداخلي. وهو شخص تأملي، ومنسحب، ومشغول كثيراً جداً بشؤونه الداخلية الخاصة. وهكذا، قد يبدو للآخرين بارداً، غير اجتماعي، ومتحفظ.

في الإنبساط تستغل الطاقة النفسية في الإدراك والأفكار والمشاعر حول الأشياء والناس والحيوانات وغيرها من الظروف والحالات البيئية الأخرى. بينما في الإنطواء تستغل الطاقة النفسية في عمليات وبنيات نفسية ذاتية.

ويوجد الإتجاهان معا في شخصية الفرد إلا أن أحدهما يكون شعورياً والآخر لا شعورياً. كلا الإتجاهين مانعان بالتبادل، فهما لا يتواجدان معاً في آن واحد في الشعور. إلا أنهما يتبادلان، فالشخص قد يكون منبسطاً في ظروف معينة، بينما يكون منطويًا في ظروف أخرى. على أية حال، إتجاه واحد فقط هو الذي يسود عادة حياة الفرد. فإذا كان التكيف الموضوعي هو السائد، فإن الشخص يسمى منبسط، وإذا كان التكيف الذاتي هو المسيطر فإنه يسمى منطوي.

٢ - الوظائف:

توجد أربع وظائف نفسية رئيسية في الشخصية الكلية هي: التفكير، الوجدان، الإحساس، الحدس.

التفكير:

هو وظيفة ذهنية تسعى إلى فهم الأشياء، وتتكون من الأفكار المتصلة بعضها مع بعض من أجل الوصول إلى مفهوم عام أو حل مشكلة.

الوجدان :

وهو وظيفة تقييمية، إنها إما أن تقبل أو ترفض الفكرة على أساس ما تثيره من مشاعر الإرتياح أو عدم الإرتياح. أي يقوم الفرد بالحكم على الفكرة سارة أو غير سارة، جميلة أم قبيحة، وهكذا.

الإحساس :

هو الإدراك الحسي الذي يشمل كل الخبرات الشعورية الناتجة عن تنبيه أعضاء الحس بالحقائق الواقعية كالمناظر والأصوات، والروائح، والأذواق، واللمس، فضلاً عن الإحساسات التي تنشأ داخل الجسم.

الحدس :

وهو إدراك بواسطة عمليات ما قبل الشعور أو اللاشعور. إنه يشبه الإحساس في أنه خبرة تعطى مباشرة أكثر منها نتيجة لفكر أو وجدان، ولكنه يختلف عن الإحساس لأن الشخص في حالة الإحساس يمكنه الإشارة إلى مصدر التنبيه. ولكنه في حالة الحدس لا يعرف من أين جاء أو كيف نشأ التنبيه. إنه إدراك خارج عن نطاق الإدراك الحسي العادي، ولذا يطلق عليه أحياناً «الحاسة السادسة».

ويرى يونج أن التفكير والوجدان وظيفتان عقلانيتان لأنهما يحتاجان إلى إجراء حكم، بينما الإحساس والحدس وظيفتان لا عقلانيتان فهما حالات ذهنية تنشأ من تدفق المنبهات المؤثرة في الفرد. وهذا السيل من المنبهات ينقصه الإتجاه أو القصد، أي ليس له هدف كما يفعل التفكير أو الوجدان.

ومع أن الوظائف الأربعة توجد في الفرد الواحد، فإن نموها قد لا

يكون متساوياً. فإذا كان مستوى تمايز إحداها مرتفعاً بالنسبة للوظائف الأخرى فإنها تلعب دوراً مسيطراً على شعور الفرد، وتسمى في هذه الحالة «الوظيفة العليا». بينما تسمى أقل الوظائف تمايزاً «الوظيفة الدنيا»، وتكبت في اللاشعور، وتعبّر عن نفسها في الأحلام أو التخيلات. وهكذا، يمكن أن نصف الأفراد حسب الوظيفة المسيطرة على الشعور، فهو إما شخص مفكر أو وجداني أو... إلخ.

إلا أنه يوجد قدر من التكامل بين الوظائف الأربعة، فالإحساس يخبرنا بأن شيئاً موجود، والتفكير يحدد ما هو هذا الشيء، والوجدان يحكم بقبول هذا الشيء أو رفضه، والحدس يحسه كخبرة غيبية ويشير إلى احتمالات مصدره أو مصيره.

التفاعل بين بنيات الشخصية

بنيات الشخصية ليست منفصلة بعضها عن بعض، بل هي تتفاعل فيما بينها. وتوجد ثلاثة أنواع من التفاعلات وهي:

١ - التعويض:

حيث تقوم البنية القوية بتعويض البنية الضعيفة. مثال ذلك، إذا أحبط إتجاه الإنبساط المسيطر في الأنا الشعوري، فإن الاتجاه الأدنى اللاشعوري وهو الإنطواء، سوف يقوى ويبذل جهده في السلوك، أي سوف يتحكم في الشخصية. كما تقوم أحلام النوم بوظيفة تعويضية، فالشخص المنبسط تغلب على أحلامه الطابع الإنطوائي، وهكذا. مبدأ التعويض يحدث نوعاً من التوازن بين العناصر المتعارضة وبذلك يقي الشخصية من أن تصبح عصابية غير متوازنة.

٢ - التضاد :

تحتوي الشخصية على ميول قطبية، والتي قد تتصارع بعضها مع بعض . والتوترات الناشئة عن العناصر المتصارعة هي جوهر الحياة . فبدون التوتر لا توجد طاقة ، وبالتالي لا توجد شخصية . التضاد موجود في جميع أنحاء الشخصية : بين القناع والظل ، وبين القناع والأنيما ، وبين الظل والأنيما ، والإنطواء ضد الإنبساط ، والتفكير ضد الوجدان ، والاحساس ضد الحدس . وأنا تتقاذفها المطالب الخارجية للمجتمع والمطالب الداخلية للعقل الجمعي . والمرأة في الرجل «الأنيما» تتنافس مع ذكورة الرجل (الأنثى) ، والأنيموس (الذكورة في المرأة) تتنافس أنوثة المرأة (الأنثى) .

٣ - التأليف والتكامل :

إن التضاد القائم بين عناصر الشخصية لا يعني إنقسام الشخصية على نفسها ، بل توجد دائماً طرق متنوعة للتأليف بين الأضداد ، أي إتحادها ، ويتم ذلك بواسطة «الوظيفة المتعالية» ، وهي وظيفة فطرية تعمل على تكوين شخصية متكاملة متزنة .

ديناميات الشخصية

الشخصية الكلية ليست شيئاً مستقراً ثابتاً مثل الصخرة أو الشجرة التي يمكن وصفه مرة وينتهي الأمر ، ولكنها نظام ديناميكي متغير باستمرار . ولكي تقوم بنيات الشخصية بنشاطها يجب أن تمنح طاقة . فما هو مصدر هذه الطاقة ، وما هي طبيعتها؟ وكيف يمكن استخدامها وتوزيعها على بنيات الشخصية المتعددة؟ للإجابة على تلك الأسئلة نقدم المفاهيم التالية :

١ - الشخصية الكلية هي نظام مغلق نسبياً،

إنها نظام موحد قائم بذاته، أي أنها نظام أو جهاز طاقة مستقل بذاته، منفصلاً عن أي جهاز طاقة آخر. ومع أن الشخصية الكلية تستورد الطاقة وتملأ بها من مصادر خارجية، متضمنة الجسم، فإن هذه الطاقة إذا أضيفت مرة، فإنها تختص كلية بالشخصية. وبعبارة أخرى، إن مصير هذه الطاقة المضافة يحدده جهاز طاقة موجود فعلاً وهو الشخصية الكلية، وليست طبيعة المصادر الخارجية. هذه الطاقة التي تنسب إلى المصادر الخارجية تستمد من الأشياء التي نلمسها ونراها ونتذوقها ونشعر بها ونسمعها. هذه الحواس تعطي مصدراً مستمراً للتنبه الذي تغذي به الشخصية، كما يتغذي الجسم بالطعام الذي نأكله. وهذا هو السبب في أن نظام الشخصية الكلية يكون في حالة تغير باستمرار، كما أنه لا يحصل مطلقاً على حالة توازن تام، بل يحصل فقط على استقرار نسبي. فالمنبهات البيئية الخارجية والصادرة من الجسم أيضاً تحدث إعادة لتوزيع أو إزاحة الطاقة بداخل نظام الشخصية الكلية بتكرارات لا نهاية لها فيترتب عليها آثار تمزيقية في الشخصية. ولو أن الشخصية الكلية نظام مغلق تماماً، لأمكن أن تصل إلى حالة توازن تام، لأنها لن تتعرض لتدخل العالم الخارجي، وبالتالي تصاب بحالة ركود. مثلها في ذلك، مثل حوض الماء الذي سرعان ما يصير راكداً نتيجة نقص تجدد الماء النقي. أما إذا كانت الشخصية الكلية نظاماً مفتوحاً تماماً، فقد يؤدي ذلك إلى تشوش كامل. إن ازدحام الخبرات الجديدة في الشخصية الكلية قد يؤدي إلى تمزق توازنها. وقد يلجأ الفرد إلى الانسحاب المؤقت من العالم لاستعادة توازنه. والتأمل الذاتي هو أحد تلك الطرق للانسحاب بداخل الفرد ويوصل العالم الخارجي. ولكن التطرف في الانسحاب، أي

الانسحاب الكامل والمستمر فإنه يعرف بالفصام أو الكاتاتونيا. والشخص الكاتاتوني مغلق غير منفذ فعلاً لجميع صور التنبيه.

٢- الطاقة النفسية،

وهي الطاقة التي تؤدي بها الشخصية عملها. وقد استخدم يونج أيضاً لفظ «ليبدو» Libido للإشارة إلى هذه الصورة من الطاقة. ولكن يجب ألا نخلط بينها وبين تعريف فرويد لليبدو. لم يُقصر يونج مفهوم الليبدو على الطاقة الجنسية كما فعل فرويد. وهذا هو أحد الفروق الجوهرية بين النظريتين. تبعاً ليونج الليبدو، في حالته الطبيعية، هو شهية للجوع، للعطش، للجنس، وللإنفعالات كذلك. ويظهر الليبدو شعوراً في صورة نضال أو رغبة أو عزيمة.

والطاقة النفسية لا يمكن قياسها كمياً بلغة المعادلات كما تقاس الكهرباء بوحدات كالقولت مثلاً. فالطاقة النفسية تعبر عن نفسها في صورة قوى، فعلية أو كامنة، تؤدي عملاً. فالإدراك، التذكر، التفكير، الوجدان، التمني، العزيمة، الإصغاء، والكفاح هي نشاطات نفسية، مثلها كالتنفس والهضم نشاطات فسيولوجية. والقوى الكامنة يمكن تنشيطها في أي وقت.

والطاقة النفسية تنشأ من الخبرات التي يمر بها الشخص. وكما يستهلك الطعام في الجسم المادي ويتحول إلى طاقة بيولوجية أو حيوية، فإن الخبرات تستهلك بواسطة الشخصية الكلية وتتحوّل إلى طاقة نفسية. ويعتقد يونج في وجود فعل متبادل بين النشاط الجسمي والنشاط النفسي. أي أن، النشاط النفسي يتحوّل إلى نشاط جسمي، وبالعكس النشاط

الجسمي يتحول إلى نشاط نفسي. فالمواد المخدرة التي تنتج تأثيرات كيميائية في الجسم تنتج أيضاً تغيرات في أداء الوظائف النفسية. والأفكار والمشاعر كذلك يبدو تأثيرها في الوظائف الفسيولوجية. وهذا هو كل الأساس الذي قام عليه الطب السيكوسوماتي. ويعتبر يونج من أسبق الناس الذين قدموا هذا التصور الجديد الهام في الطب.

القيم النفسية،

من أهم المفاهيم الديناميكية هو مفهوم «القيمة». والقيمة هي مقياس لكمية الطاقة المخصصة لعنصر نفسي معين. فإذا وضعت قيمة مرتفعة على فكرة أو شعور ما، فهذا يعني أن هذه الفكرة أو هذا الشعور يبذل قوة ضخمة في التأثير على سلوك الفرد وتوجيهه. فالشخص الذي يضع قيمة مرتفعة للجمال، سوف يخصص كميات ضخمة من الطاقة للبحث عن الجمال، ويحيط نفسه بأشياء جميلة، ويسافر إلى الأماكن التي يجد فيها الجمال، وإذا كان لديه قدرات إبداعية فإنه ينتج أعمالاً فنية جميلة. أما الشخص الذي لا يضع قيمة للجمال لا يفعل شيئاً من هذا القبيل، ولكنه قد يضع قيمة عالية على السلطة ويخصص طاقات عظيمة في نشاطات تكسبه السلطة والقوة. إن القيمة المطلقة للطاقة النفسية التي تستغل في العنصر الجمالي لا يمكن تحديدها، ولكن يمكن تقدير قيمتها النسبية بالنسبة للقيم الأخرى. والشخصية الكلية كنظام ديناميكي في حالة تقييم مستمرة. فالكميات المخصصة للنشاطات تختلف من وقت لآخر. فقد توجه طاقة كبيرة للإستذكار أيام الإمتحانات، وبعدها توجه للرياضة مثلاً.

نقد نظرية يونج

١ - يرى البعض أن نظرية يونج كثيرة الأوهام، ولم يثبت التحقق من صحتها. وبالتالي فهي، من وجهة نظرهم، منفصلة عن حظيرة العلم أو العمل الأكاديمي. والواقع، أن نظرية يونج ثمرة خبراته الإكلينيكية في علاج مرضاه، لانتيجة بحوث تجريبية، شأنه في ذلك مثل نظرية فرويد وجميع النظريات الإكلينيكية. ولذلك، ينبغي تقييم أعمال يونج على أساس المنهج الأكلينيكي الذي استخدمه وليس على أساس المنهج التجريبي الذي لم يمارسه. وهكذا، إذا قيّمنا أعماله من منظور إكلينيكي، سوف ندرك مدى عمق إستبصاره الإكلينيكي ومدى ثراء أفكاره.

٢ - يميل يونج إلى الاستجابة للعقلية الأكثر روحانية والتأمل الباطني أي الصوفية، أو المعاني الرمزية الخفية التي تتجاوز الحواس وتدرک بالعقل.

فقد قدم يونج مفهوم «اللاشعور الجمعي» فضلاً عن مفهوم «اللاشعور الفردي». ويرى أن اللاشعور هو أكثر من مجرد مستودع أو مخزن للمحظورات أو التحريمات الاجتماعية والرغبات المكبوتة. بل يعتقد أن اللاشعور هو عملية لا نهائية الشراء تجاوزت الوجود المادي، ومتخمة بالمعاني الرمزية. ويرى يونج أن هذا اللاشعور خلال الحلم وغيره، كثيراً ما ينصح الفرد ويوجهه بواسطة لغته الرمزية. ولذا، سعى يونج نحو مساعدة مرضاه للإتصال باللاشعور لديهم حتى يتمكن الشعور واللاشعور من تكملة بعضهما البعض، أي يتمم كل

منهما الآخر، ومن ثم ينصحان ويوجهان السلوك.

٣ - كان يونج مفكراً خصيباً كثير الإنتاج وذو معرفة واسعة. والإهتمام بيونج في عصرنا الحالي يعتمد غالباً على مفهومه «اللاشعور الجمعي»، وأن قيمته تتركز في تنبيهه للناس لإعادة إعتبار «التطور النشوي للشخصية»، حيث يؤثر في الفرد والثقافة.

الفصل التاسع

النظريات الظواهرية
(الفينومينولوجية) في الشخصية
نظرية روجرز *C. Rogers*
(نظرية الذات)

النظريات الظواهرية (الفينومينولوجية) في الشخصية

توجد طريقتان أساسيتان في دراسة الشخصية وهما:
أولاً: باستخدام إطار مرجعي موضوعي خارجي.
ثانياً: باستخدام إطار مرجعي ذاتي، وهو إدراكي وشخصي، أي ظاهري.

الطريقة الأولى، أي الإطار المرجعي الموضوعي، يدرس السلوك من وجهة نظر الملاحظ الخارجي. حالياً، علماء النفس الذين يدرسون الشخصية في ضوء العلاقات الموجودة بين الاستجابات الواضحة وظروف المثير الموضوعي، يطلق عليهم «السلوكيون». إنهم يمثلون هذا الإطار المرجعي الخارجي.

أما الطريقة الثانية، الإطار المرجعي الذاتي، أي الظاهري، فإنه يتضمن دراسة الشخصية من وجهة نظر الفرد نفسه. الأمر الهام هنا، ليس العالم أو الشخص كما يبدو للسيكولوجي، ولكن كما يدركهما الفرد نفسه. إن ما يدركه الفرد في هذا العالم، بما في ذلك نفسه، يسمى «المجال الظاهري» أو «المجال الفينومينولوجي» (*).

يرى سميث Smith أن «الإطار المرجعي الذاتي» يتضمن «المجال الظاهري» للفرد، ويضاف إلى ذلك الإعتبارات التي قد لا يفتن الفرد

(*) المجال الظاهري (الفينو مينولوجي) Phenomenal Field

لها، ولكنها مع ذلك تظل ذاتية وينفرد بها هذا الشخص .
ويؤكد «كومز» Combs، وهو من الأنصار القدامى للإطار
المرجعي الذاتي (الظواهرى)، أن كل السلوك يحدده كلية المجال
الظاهري للفرد.

ولكن «سميث» ينتقد هذا المفهوم الظاهري لدى «كومز» لأنه يعادل
«المجال الظاهري» بالشعور. وهو بذلك يتجاهل القوى اللاشعورية
كمحددات للسلوك. إن «سميث» يرى أن «الشعور» محدود في تفسيراته،
ولذا فإنه يضيف للإطار المرجعي الذاتي (الظواهرى)، فضلاً عن
«المجال الظاهري»، الإعتبارات التي قد لا يفتن الفرد إلى وجودها،
ومع ذلك، فهي ما زالت ذاتية وينفرد بها هذا الشخص .

«روجرز» و «كيللي Kelly» يؤكدان بشدة الخبرات الذاتية للفرد
كمحددات أساسية للأداء الوظيفي للشخصية. إنهما يعتبران إدراكات الفرد
الخاصة وفهمه للعالم الأداة الرئيسية لدراسة الشخصية .

أصحاب النظريات الفينومينولوجية (الظواهرية) الحاليين يميلون إلى
توسيع استخدامهم للمجال الظاهري ليتساوى مع مفهوم سميث Smith
للإطار المرجعي الذاتي. كارل روجرز Carl Rogers، مثلاً، يصف
«المجال الظاهري» بأنه «العالم الخاص بالفرد». إنه يشمل كل ما مرَّ به
الكائن الحي من خبرات، سواء أدركها شعورياً أم لا .

علم الظاهريات (*) (الفينومينولوجيا) Phenomenology.

يعتقد «سنيج» Snygg و «كومز» Combs أن «المجال الظاهري»

(*) الظاهرة Phenomenon: هي واقعة أو حادثة يمكن ملاحظتها وهي قابلة للوصف
والتفسير العلميين. إنها شيء أو مظهر مدرك بالحواس، لا الفكر أو الحدس. إنها =

للكائن الحي هو الذي يحدد سلوكه كله بلا إستثناء . ويتكون هذا المجال من مجموع الخبرات التي خبرها الشخص في لحظة الفعل . ويتراوح الشعور به بين مستوى منخفض ومستوى مرتفع ، ولكنه لا يصير لا شعورياً كلية . وهما يعتقدان أن علم النفس يجب أن يقبل الفكرة الشائعة بأن الشعور هو سبب السلوك ، وأن ما يعتقد الفرد وما يشعر به يحدد ما سوف يفعله .

وتبرز من المجال الظاهري وتمايز منه «الذات الظاهرية» ، حيث تشتمل على أجزاء منه ، يخبرها المرء كجزء منه أو كسمة مميزة لنفسه . أي أن «الذات» هي جانب من المجال الظاهري الذي يحدد السلوك كله . ولما كان كل شيء في عالم العلم يتكون من أجزاء معينة ، وفي نفس الوقت يؤثر على الأشياء الأخرى التي يصطدم بها ، أي يقوم بعملية ديناميكية ، فإن «الذات» ، بالمثل ، تتكون من إدراكات الفرد ، وهذا التنظيم من الإدراكات له بدوره آثار حيوية وهامة على سلوك الفرد .

الخبرة والوعي

الخبرة ، من وجهة نظر «روجرز» ، هي كل ما يجري بداخل بيئة الكائن الحي في أية لحظة ، وتكون في كمونها ميسرة للوعي . فحينما تصبح الخبرات الكامنة رمزية فإنها تدخل في الوعي ، وتصير جزءاً من المجال الظاهري . أي أن الرموز تعمل كمزكبات تحمل الخبرات للدخول في الوعي . والرموز عادة تكون كلمات ، ولكنها قد تكون أيضاً صوراً

= الشيء كما يبدو لنا ، تمييزاً له عن الشيء في ذاته .
الفينومينولوجيا Phenomenology : أو «علم الظاهرات» ، هو فرع من العلم يبحث في وصف الظواهر وتصنيفها . إنه الوصف العلمي للظواهر الواقعية .

بصرية أو سمعية .

التمييز بين الخبرة والوعي هام بالنسبة لروجرز، حيث أنه توجد حالات معينة تجعل الفرد ينكر أو يشوه خبرات معينة، وبهذا يمنعها من الدخول في وعيه .

وجهة نظر روجرز، في طبيعة الإنسان،

إن وجهة نظر روجرز في طبيعة الإنسان تتناقض تماماً مع وجهة نظر «فرويد». يرى فرويد أن لدى البشر جميعاً نفس الحاجات، والحوافز البيولوجية والدوافع مثل أي حيوان. ولهذا، فإن ميول الإنسان نحو الرغبة الجنسية الجامحة والعدوان السافر يجب أن تضبط بواسطة المجتمع. بينما يعتقد روجرز أن الإنسان طيب أساساً، ولهذا فهو ليس في حاجة إلى الضبط أو التحكم. في الحقيقة، هو يعتقد أن محاولة التحكم في البشر قد تجعل تصرفاتهم سيئة. إن روجرز، طبعاً، متفطن إلى أن الأفراد قد يتصرفون أحياناً بأساليب غير معقولة، وأن دوافعهم إذا لم تضبط قد تؤدي إلى الدمار للآخرين والذات. ولكنه يرى أن مثل هذه التصرفات لا تتفق مع طبيعة البشر، ومثل تلك الأفعال أو التصرفات هي نتيجة للخوف أو الدفاع عن النفس. إن الموقف الدفاعي والمخاوف الداخلية قد تدفع الفرد لأساليب سلوكية قاسية لا تصدق، وهدامة بفضاعة، وغير ناضجة، ونكوصية تفهقرية، ومضادة للمجتمع، ومؤذية ضارة. إلا أن سلوك الإنسان، في الحالات الطبيعية، معقول جداً، ويتحرك ببراعة ونظام نحو تحقيق الأهداف التي يسعى للحصول عليها. إن لدى الإنسان ميول إيجابية قوية موجّهة موجودة في أعماق المستويات.

إن وجهة نظر روجرز في طبيعة الإنسان تضعه بجلاء في «معسكر
الإنسانيين». إن اهتمامه الرئيسي هو اكتشاف الشروط التي تمكن
الشخص من أن ينمي كل إمكانياته إلى أقصى حد. تبعاً لروجرز، إن أهم
مورد بداخل الأفراد هو «الميل إلى تحقيق الذات».

النظريات الظواهرية (الفينومينولوجية)

نظرية «روجرز» في الشخصية (نظرية الذات)

تمهيد:

ولد روجرز^(١) عام ١٩٠٢ في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية، ودرس علم النفس الإكلينيكي وعلم النفس التربوي في جامعة كولومبيا حيث حصل على الماجستير عام ١٩٢٨ والدكتوراه في عام ١٩٣١. وبعد حصوله على الدكتوراه عمل سيكولوجياً في «قسم دراسة الطفل في المجتمع» في نيويورك. وهناك مرَّ روجرز بخبرات عديدة كان لها أثراً عميقاً في بناء نظريته في الشخصية فيما بعد وفي نظريته في العلاج النفسي أيضاً. فقد اكتشف أن منهج التحليل النفسي في العلاج الذي كان يستخدم بالقسم الذي يعمل فيه لم يكن ناجحاً. كما تبين أن البحث عن إسبصار في مشكلة الفرد يقابل دائماً بالإحباط، فقد يخفى الأهل الكثير من الحقائق التي أدت إلى المشكلة التي يعاني منها الطفل، بل غالباً ما ينكرون أنهم طرف في تلك المشكلة. وهناك أيضاً تبين أن العميل هو الذي يعرف ما يؤذيه، كما يدرك أية مشكلات

(١) كارل روجرز Carl Rogers.

حرجة يمر بها، وما هي الخبرات التي دفنت في أعماقه، وفي أي اتجاه يسير. ومن هنا بدأ يكتشف أنه من الأفضل الإعتماد على العميل نفسه في توجيه الحركة في عملية العلاج. وفي عام ١٩٣٩ صدر كتابه الأول «العلاج الإكلينيكي للطفل المشكل». ثم انتقل بعد ذلك في عام ١٩٤٠ إلى جامعة أوهايو ليشغل منصباً أكاديمياً في علم النفس الإكلينيكي. وهناك بدأ في صياغة واختبار منهجه في العلاج النفسي، وأصدر في عام ١٩٤٢ كتابه «الإرشاد والعلاج النفسي: مفاهيم جديدة في الممارسة» والذي اعتبره الكثيرون البديل الرئيسي الأول للتحليل النفسي.

وفي عام ١٩٥١ نشر كتابه الذي يعتبر عمله الرئيسي وهو: «العلاج المتمركز حول العميل» يتضمن نظريته في العلاج النفسي وأساليب الممارسة الحالية.

وفي عام ١٩٦٨ أنشأ روجرز وزملاؤه من أصحاب الإتجاه الإنساني «مركز دراسات الشخص» في كاليفورنيا.

النظريات السابقة التي تأثر بها روجرز:

لقد تأثر روجرز في بناء نظريته في الشخصية بعدة نظريات وهي: علم الظاهريات أي الفينومينولوجيا كما قدمها «سنيج» و «كومز» Snygg & Combs، النظرية الكلية والعضوية (جولد شتين Goldstein)، ماسلاو Maslow وأنجيل Angyal، ونظرية سوليڤان Sullivan في العلاقات الشخصية، ونظرية الذات لروجرز نفسه مع أنه يعترف بفضل رايمي Raimy وليكي Lecky فيها.

ينبغي تعريف المفاهيم الرئيسية الواردة في نظرية روجرز وهي:

١ - الكائن الحي: وهو الفرد كله. ومن خصائصه أن يستجيب ككل منظم للمجال الظاهري حتى يشبع حاجاته، ولديه دافع أساس واحد، وهو أن يحقق ويصون ويعزز ذاته. وقد يرمز الكائن الحي إلى خبراته بحيث تصبح شعورية، وقد ينكر عليها الرمز أي ينكر تسميتها، بحيث تظل لا شعورية، أو قد يتجاهلها تماماً.

٢ - المجال الظاهري: هو مجموع الخبرة التي يعيها الفرد. وقد يكون المجال الظاهري شعورياً أو لا شعورياً، وذلك حسب تمثيل الخبرات بالرموز أو عدم تسميتها. هذا الواقع الذاتي، لا العالم المادي، هو الذي يوجه سلوك الشخص.

٣ - الذات: هي الجزء المتميز من المجال الظاهري، وتتكون من كيفية إدراك وتقييم الفرد الشعوريين لنفسه. إنها ذلك الجزء الذي يتميز من المجال الظاهري بسبب الخبرات التي تتضمن كلمات مثل «أنا»، «إني» «وهذا» «ملكي» أو «يخصني».

إن الطفل، نتيجة للتفاعل مع البيئة والأحكام التقويمية للآخرين، يستطيع تمييز ذاته كشيء بارز عن البيئة التي يعيش فيها. يتعلم الطفل هذا التمييز حينما يدرك أن هناك أشياء تخصه، وأخرى لا تخصه وإنما تنتمي إلى البيئة. وهكذا يبدأ في تصور خاص عن نفسه في علاقته ببيئته. وبالتالي، تصبح الصورة التي كونها عن نفسه صورة منظمة قائمة في الشعور كصيغة تبرز من أرضية غامضة (اللاشعور).

٤ - الميل إلى تحقيق الذات: هو الميل الفطري في جميع البشر لحفظ وتعظيم أنفسهم.

٥ - الحاجة إلى الإعتبار الإيجابي: هي الحاجة إلى الحصول على أشياء مثل الدفء والمشاركة الوجدانية والعناية والاحترام والقبول من الناس الذين لهم علاقة بحياة الشخص.

٦ - شروط الاستحقاق: هي الشروط التي تسمح للشخص أن ينال خبرة الإعتبار الإيجابي.

العلاقة بين المفاهيم الرئيسية:

يوجد كل فرد في عالم من الخبرة دائم التغير، ومركز هذا العالم هو الفرد نفسه. و «عالم الخبرة المتغير» هو «المجال الظاهري» عند سنيج وكومز. إلا أن روجرز لا يفترض مثلهما أن جميع تلك الخبرات تدرك شعورياً. فهو يرى أن جزءاً صغيراً فقط هو الذي يدرك شعورياً. أما لفظ «الخبرة» فهو يرمز إلى ما يدور بداخل الكائن الحي في لحظة معينة بما في ذلك العمليات الفسيولوجية والإنطباعات الحسية والنشاطات الحركية. ومعظم خبراتنا اللاشعورية يمكن أن تصبح شعورية عندما نحتاج إليها، وهي بذلك حسب نظرية التحليل النفسي، توجد في مستوى «ما قبل الشعور» وليست في اللاشعور.

ويعتقد روجرز أن هذا العالم الذاتي من الخبرة لا يمكن أن يعرف معناه الكامل الحقيقي إلا الفرد نفسه. فالشخص هو أفضل مصدر للمعلومات عن نفسه. إلا أن الفرد قد لا ينمي هذه المعرفة بالذات، ولكن لديه الإستعداد لتنميتها. ولما كانت عبارات الشخص

ترمز للخبرة الداخلية، فإن السيكولوجي لا يمكنه أن يعرف ما يوجد بداخل العميل إلا بالاستماع إلى ما يقوله. وبعبارة أخرى، إن أفضل مرجع لفهم السلوك هو الإطار الداخلي للفرد نفسه. وهذا الإطار الداخلي هو الواقع الذاتي، أو المجال الظاهري، الذي وفقاً له يعيش الشخص حياته.

يستجيب الكائن الحي للمجال كما يخبره ويدركه. وهذا المجال الذاتي، هو واقع بالنسبة للفرد. ويستجيب الكائن لهذا المجال الظاهري ككل منظم، فالكائن الحي بناء منظم. وهكذا، يعقب التغيير في أحد أجزائه تغيير في كل أجزائه. إن روجرز يؤكد ضرورة دراسة الاستجابات الكلية المنظمة الهادفة، ويعترض على سيكولوجية م - س.

بنية الشخصية:

يبني روجرز نظريته في الشخصية على البنات التالية:

الذات والمجال الظاهري ودافع تحقيق الذات والحاجة إلى الاعتبار الإيجابي. تنمو «الذات» خلال تفاعلات الشخص مع بيئته. وهذه التفاعلات بدورها تتأثر بالذات النامية. يدرك الشخص عالمه حسب مفهوم الذات النامي لديه. إن خبرته بالواقع تصبح ملونة بمفهومه عن نفسه، وهو بدوره يميل إلى أن يسلك بأسلوب متناسق مع «مفهوم الذات» لديه. إن تفاعلاته مع بيئته تصبح شخصية (ذاتية) لحد بعيد.

ويعرف الشخص نفسه للآخرين خلال سلوكه في مواقف التفاعل، ويعمل على تقوية أو تعديل مفهومه عن نفسه خلال إدراكه لأفعال الآخرين. إن الشخص السوي يبني مفهوم ذات متناسقا ومتطابقاً مع

الواقع. إن مفهوم الذات الواقعي يمكن الفرد من أن يدرك بيئته بواقعية، وأن يعترف بخبراته. لذلك يكون في إمكانه أن يبقى على صلة وثيقة بالواقع بأقل قدر من الصعوبة، ويكون في موضع جيد للتكيف مع التغيرات التي تعترى عالمه.

أما إذا كان مفهوم الذات لدى الفرد متناقضاً مع الواقع. فقد تنشأ الصعوبات، ويأتي هذا التعارض عادة حينما يحاول الشخص أن يحمي مفهومه غير الواقعي عن الذات. ومن أجل أن يفعل نجده يشوه الواقع بإنكاره أحد جوانب نفسه التي لا يستطيع قبولها. مثال ذلك، الشخص المسرف في دقته الذي لا يمكنه السماح لنفسه بأن يرتكب أي خطأ قد ينكر الدليل الذي يثبت أنه يخطئ أحياناً، أو إذا كان لا يمكنه فعل ذلك، فقد يصر على أنه يرتكب دائماً أخطاء. كلا الإدراكين يعكسان عدم قدرته على تقبل هذا الجزء من نفسه الذي يرتكب الأخطاء. وكلاهما يؤديان إلى تشويه الواقع.

إن تشويه الإدراك، وإنكار جزء من النفس، بغية حل التناظر بين الذات والواقع له نتيجتان تعيستان هما: المجهود المتواصل الذي ينتهي بالقلق، فضلاً عن أن التشويه والإنكار يجعلان من العسير جداً على الشخص مجابهة سبب قلقه مجابهة مباشرة. وهكذا يعيش قلقاً تعيساً، ولكنه لا يفهم السبب في ذلك، لأنه لا يمكنه التسليم والإعتراف بالمشاعر التي تكمن خلف تعاسته.

وهنا يجب أن تقدم بناء آخر أساسياً في نظرية روجرز وهو الدافع إلى تحقيق الذات. على الرغم من التشويهات والإنكارات التي تتعرض لها الذات المريضة، فإنه يوجد تحتها عناصر إيجابية تنتظر تأكيد ذاتها،

إذا توافرت الظروف الملائمة. ويعتقد روجرز أن كل شخص لديه دافع لكي يصبح ذاته الحقيقية، وأن هذه «الذات الحقيقية» سوف تتضمن «إعتباراً إيجابياً للذات».

إن الذات الحقيقية الإيجابية تتهاى للظهور حينما يتمكن الفرد من السماح لنفسه بمواجهة مشاعره بصراحة وبأمانة، وحينما يتمكن من قبول نفسه بخصائصها السلبية والإيجابية. إن طريقة روجرز في العلاج النفسي توفر مواقف وأساليباً تمكن الذات الحقيقية من الإزدهار.

إن الاهتمام الرئيسي لروجرز هو إكتشاف الشروط التي تمكن الشخص من أن ينمي كل إمكانياته إلى أقصى حد. إن أهم مورد بداخل الأفراد هو الميل إلى تحقيق الذات.

الميل لتحقيق الذات،

يسلم روجرز بدافع رئيسي واحد أطلق عليه الميل لتحقيق الذات. لدى الكائن الحي ميل أساسي واحد هو النضال لكي يحقق ويحفظ ويقوى ذاته. يوجد مصدر مركزي واحد للطاقة في الكائن البشري، وهو وظيفة للكائن برمته لا جزء منه، وربما يمكن تصوره كميل نحو إنجاز، أو نحو التحقيق، أو نحو حفظ وتعزيز أو زيادة قيمة الكائن الحي. تبعاً لروجرز جميع البشر والكائنات الحية الأخرى، لديها حاجة فطرية للحياة والنمو وتعظيم ذاتها.

إن جميع الدوافع البيولوجية تصنف تحت الميل لتحقيق الذات، لأنها يجب أن تشبع إذا كان الكائن الحي ليستم في النمو الايجابي. هذا الدافع المتواصل للحياة يستمر بالرغم من عقبات كثيرة. مثال ذلك،

الطفل يتعلم أولاً أن يمشي فيتعثر مرات ومرات، ولكن بالرغم من الألم، يواصل محاولات المشي. وكثير من الناس يعيشون تحت ظروف ملحة وكثيية أو رهيبة، ومع ذلك فهم يستمرون في محاولات تحسين أوضاعهم وحياتهم.

إن وجهة نظر روجرز في طبيعة الإنسان تتناقض تماماً مع وجهة نظر فرويد. فيرى فرويد أن لدى جميع البشر نفس الحاجات والحوافز البيولوجية والدوافع مثل أي حيوان. ولهذا، فإن ميول الإنسان نحو الرغبة الجنسية الجامحة والعدوان الطليق يجب أن يضبط بواسطة المجتمع حتى لا يدمر الآخرين والذات، بينما يعتقد روجرز أن الإنسان طيب أساساً، ولهذا فالبشر ليس في حاجة إلى الضبط. بل إنه في الحقيقة، يعتقد أن محاولة التحكم في البشر قد تجعل تصرفاتهم سيئة. إن وجهة نظر روجرز في طبيعة الإنسان تضعه بجلاء في معسكر الإنسانيين.

إنه يرى أن سلوك الإنسان معقول جداً، ويتحرك بتمييز دقيق ومنظم نحو الأهداف التي يسعى للحصول عليها. إن روجرز يدرك طبعاً أن الأفراد يتصرفون أحياناً بأساليب غير مقبولة. ولكنه يرى أن مثل تلك التصرفات لا تتفق مع طبيعة البشر.

مثل تلك الأفعال أو التصرفات هي نتيجة للخوف أو الدفاع عن النفس. إن الميل لتحقيق الذات هو قوة دافعة في حياة أي فرد، تؤدي إلى جعل الفرد أكثر تمايزاً وتعقيداً وأكثر استقلالاً، وأكثر مسؤولية اجتماعية. تقيم جميع خبرات الفرد باستخدام الميل لتحقيق الذات كإطار مرجعي داخلي. ويطلق روجرز على هذه الطريقة في تقييم خبرات الفرد

«عملية تقييم الكائن».

تلك الخبرات التي تتفق مع الميل لتحقيق الذات تشبع الفرد، ولهذا يقترب منها ويحتفظ بها. بينما الخبرات التي تتناقض مع الميل لتحقيق لا تشبع الفرد، وبالتالي يتجنبها أو يتخلص منها. عملية تقييم الكائن، لذلك تخلق نظام تغذية يسمح لخبرات الكائن الحي أن تتآزر مع ميله لتحقيق الذات.

المجال الظاهري،

يعيش جميع الناس في عالمهم الذاتي الخاص بهم، وهم فقط الذين يعرفونه بحس كامل، إن هذا الواقع الظاهري لا العالم المادي هو الذي يحدد سلوك الناس. بمعنى أن الكيفية التي يرى به الناس تلك الأشياء هو الواقع فقط. الواقع الخاص يلائم بدرجات متفاوتة الواقع المادي، ويتوقف ذلك على الفرد. إن هذا الواقع الذاتي هو الواقع الظاهري الذي يجب على المعالج محاولة فهمه.

ويميز روجرز بين «الخبرة» و «الوعي». فإن الخبرة هي كل ما يجري بداخل بيئة الكائن في أية لحظة، وتكون في كمونها ميسرة للوعي. وحينما تصبح تلك الخبرات الكامنة رمزية، فإنها تدخل الوعي وتصبح جزءاً من المجال الظاهري، والرموز التي تعمل كمركبات تحمل الخبرات لكي تدخلها في الوعي، عادة ما تكون كلمات أو صوراً بصرية أو سمعية.

إن التمييز بين الخبرة والوعي هام بالنسبة لروجرز، فقد توجد حالات معينة تجعل الفرد ينكر أو يشوه خبرات معينة وبهذا يمنعها من

الدخول في وعيه .

ويرى روجرز أن الطفل القاصر يمتلك كل الخصائص السابقة ويلخصها فيما يلي :

١ - إن ما يدركه الأطفال هو واقعهم، ولهذا فهم فقط الذين يملكون إدراك واقعهم، حيث لا يوجد شخص آخر يستطيع أن يدعي أو يفترض إطارهم المرجعي الداخلي .

٢ - يولد جميع الأطفال مزودين بميل لتحقيق الذات .

٣ - يحاول الأطفال إشباع حاجتهم لتحقيق الذات، ولهذا فإن سلوكهم موجه نحو هدف .

٤ - إن الأطفال في تفاعلاتهم مع البيئة، يسلكون باعتبارهم كل منظم . أي أن كل ما يفعلونه مرتبط ببعضه ببعض .

٥ - يستخدم الأطفال عملية تقييم الكائن كإطار مرجعي في تقييم خبراتهم . الخبرات التي تدرك على أنها متلائمة مع الميل لتحقيق الذات تقيم إيجابياً . بينما الخبرات التي تدرك على أنها عكس الميل لتحقيق الذات يكون تقييمها سلباً .

٦ - يسعى الأطفال إلى الخبرات التي توصل إلى تحقيق الذات ويحتفظون بها، ويتجنبون تلك الخبرات التي لا تفعل ذلك .

ظهور الذات:

إن مفهوم «الذات» هو حجر الزاوية في نظرية روجرز . والواقع أن روجرز غالباً ما يطلق على نظريته في الشخصية إسم «نظرية الذات» . في

باديء الأمر، لا يستطيع الطفل التمييز بين الوقائع في مجاله الظاهري حيث تكون جميعها ملتحمة في صيغة واحدة. وتدرجياً خلال الخبرات بالفاظ، مثل «أنا»، يتميز جزء من مجاله الإدراكي ويطلق عليه «الذات». عندئذ يستطيع الفرد أن يعكس ذاته كشيء واضح يمكن إدراكه والتفطن إلى وجوده.

إن نمو الذات هو مظهر رئيسي في الميل للتحقيق، الذي يؤدي إلى تمايز أكثر تعقيداً للكائن الحي. إن الميل للتحقيق الذي كان قبل نمو الذات يميز «الكائن الحي» ككل متكامل، هو الآن بالمثل يميز «الذات»، وبعبارة أخرى، الخبرات التي كانت تعزز قيمة مفهوم الذات تقيم إيجابياً، بينما الخبرات التي تحط من قيمة مفهوم الذات فإنها تقيم سلبياً.

الحاجة إلى إعتبار إيجابي

مع نشأة الذات تأتي الحاجة إلى إعتبار إيجابي. هذه الحاجة يعتبرها روجرز عامة، مع أنها ليست بالضرورة فطرية. سواء كانت فطرية أم مكتسبة، فإن هذا أمر لا يهم روجرز.

إن إعتبار الذات يعني أن الفرد ينال أشياء مثل الدفء، الحب، التعاطف الرعاية، الاحترام، والقبول من الناس الذين لهم علاقة بحياته. وبعبارة أخرى، إنه الشعور بأننا قد كوفئنا بواسطة أكثر الأشخاص أهمية لنا.

كجزء نموذجي في عملية التطبيع الاجتماعي، يتعلم الأطفال أشياء يستطيعون عملها، وأشياء أخرى لا يستطيعون عملها. معظم الآباء غالباً ما يعملون إعتباراً موجباً مشروطاً بالسلوك المرغوب فيه حينما يصدر عن

أطفالهم . أي أن الأطفال سوف ينالون اعتبار موجبا على أمور يفعلونها، ولا ينالون ذلك إذا فعلوا أموراً أخرى . وهكذا، ينشأ ما يطلق عليه «شروط الاستحقاق» التي تحدد الظروف التي يمر فيها الأطفال بخبرة الإعتبار الإيجابي . ويتكرر الخبرات بشروط الاستحقاق، يستدمجها الطفل بداخله وتصبح جزءاً من «بنية الذات» . وإذا استدمجت مرة أصبحت «ضميراً» أو «ذاتاً علياً» توجه سلوك الطفل حتى حينما يكون بعيداً عن والديه . مثال ذلك، إذا تلقى الطفل باستمرار إستجابات سلبية من الوالدين، حينما يكتب بالقلم على الحائط، فإنه تنتابه مشاعر سيئة كلما كتب على الحائط . بل إنه يشعر كذلك بمجرد التفكير في الكتابة على الحائط، وحتى في غياب السلطة الوالدية .

ومن الحاجة إلى الإعتبار الإيجابي تأتي «الحاجة إلى اعتبار الذات» . أي أن الطفل ينمي الحاجة إلى رؤية نفسه إيجابياً . وبعبارة أخرى، يريد الطفل أن تكون مشاعر الآخرين نحوه طيبة، كما يريد شعوراً طيباً نحو نفسه . إن الشروط (الحالات) التي جعلت الناس المتصلين بحياته يمنحونه اعتباراً إيجابياً «تدمج» في بنية الذات، وبعد ذلك، يجب أن تكون أفعاله متفقة مع تلك الشروط من أجل أن يعتبر ذاته إيجابياً . وبذلك يقال إن الطفل قد اكتسب «شروط الاستحقاق» .

لسوء الحظ، عندما تستقر شروط الاستحقاق، فإن الطريقة الوحيدة لكي يرى الطفل نفسه إيجابياً هي أن تكون أفعاله وفق قيم شخص آخر يكون قد استدمجها داخلياً . أي أن سلوك الطفل الآن لا يخضع لتوجيه العملية التقييمية للكائن الحي، ولكنه يخضع للشروط الموجودة في بيئته والتي ترتبط باعتماد موجب .

وبعبارة أخرى، إن الذي يوجه سلوك الطفل ليس هو إمكانية الخبرة على حفظ الكائن الحي وتعزيزه، وإنما هو الإحتمال القوي بأن يحظى بحب الأم. فمن أجل أن ينال حب الأهل يستدمج الطفل القيم والإدراكات التي لم يخبرها فعلاً كما لو كانت قيمة وإدراكاته هو. ثم ينكر للوعي خبراته العضوية التي تناقض تلك الإستدماجات. وهكذا يحتوي «مفهوم الذات» لديه عناصر مزيفة لا تركز على حقيقته في خبراته.

وما دامت هناك شروط للاستحقاق في حياة الأطفال، فإنهم قد يدفعون لإنكار تقييماتهم الخاصة لخبراتهم من أجل الاحتفاظ بتقييم شخص آخر، وهذا يسبب إغتراباً بين خبرات الناس وذواتهم. هذا «الإغتراب» يخلق حالة من «التنافر».

حتى حينما يتوجه الناس لغيرهم من أجل إعتبار إيجابي، فإنهم لن يمارسوا ذلك بثبات. مثال ذلك، قد لا يكون الأهل متسقين أو ثابتين فيما يعاقبون أو يكافأون عليه. ومن أجل زيادة فرص الحصول على إعتبار إيجابي بثبات أكثر، قد ينتمي الناس إلى مجموعة يتوفر فيها شروط استحقاق بثبات أكثر نسبياً. وبهذا الأسلوب لا يقترب الفرد بأي قدر من العملية التقييمية للكائن الحي نفسه، وإنما يكون فقط قد حدد بوضوح أكثر شروط الاستحقاق التي تحقق له خبرة الإعتبار الإيجابي.

بالنسبة لروجرز، إن الهدف النهائي لكل شخص هو أن يكون صادقاً لمشاعره الخاصة وليس لمشاعر شخص آخر. إن الطريقة الوحيدة لعدم التدخل في ميول الأطفال هو أن نعطيهم إعتباراً إيجابياً غير مشروط يسمح لهم أن يمارسوا خبرة الإعتبار الإيجابي مهما كانت أفعالهم.

إذا كان الفرد يمارس فقط خبرة إعتبار موجب غير مشروط، فإنه لن تنشأ شروط استحقاق، وسوف يكون إعتبار الذات غير مشروط، ولن تتنافى الحاجة إلى إعتبار موجب والحاجة إلى إعتبار الذات مع تقييمات الكائن الخاصة، وسوف يستمر الفرد في حالة توافق نفسي، ويكون قادراً على الأداء الوظيفي كاملاً.

هذا لا يعني أن روجرز يعتقد بأن الأطفال يجب أن يسمح لهم بعمل ما يشاؤون مهما كانت أفعالهم. وإنما هو يعتقد بأن أسلوباً معقولاً وديمقراطياً في معالجة مشكلات السلوك يكون أفضل. وحيث أن شروط الاستحقاق تقع في قلب جميع مشكلات التوافق الإنساني، فإنه يجب تجنبها مهما كان الثمن.

الشخص المتنافر

يحدث التنافر حينما يتوقف الأفراد عن استخدام عملياتهم التقييمية الخاصة كوسيلة لتحديد إتفاق خبراتهم أو عدم إتفاقها مع الميل لتحقيق الذات. إذا كان الناس لا يستخدمون عملياتهم التقييمية الخاصة في تقييم خبراتهم، فلا بد أنهم يستخدمون في ذلك قيم غيرهم التي إندمجت بداخلهم. أي أن «شروط التقدير أو الاستحقاق» حلت مكان عملياتهم التقييمية الخاصة كإطار مرجعي لتقييم خبراتهم. وينجم عن هذا إغتراب بين الذات والخبرة، حيث أنه تحت تلك الشروط قد ينكر الشخص شعورياً ما يرضيه حقاً لأنه لا يتفق مع شروط التقدير التي إندمجت داخله. ويلخص روجرز نمو التنافر بين الذات والخبرة كما يلي:

١ - حينما تتوفر شروط التقدير (الجدارة) يستجيب الناس لخبراتهم

إنتقائياً. تلك الخبرات التي تتفق مع شروط التقدير لديهم تدرك ويرمز لها بدقة في الوعي، بينما تشوّه وتنكر في الوعي تلك الخبرات التي لا تتفق مع شروط التقدير.

٢ - بعد نشأة شروط التقدير على الفرد أن يحذف من وعيه تلك الخبرات التي تتناقض مع تلك الشروط. وهكذا، فإن الذات تنكر خبرات قد تكون مفيدة لها.

٣ - الإدراك الحسي الذي إنتقاه الفرد يخلق تنافراً بين الذات والخبرة، فقد تشوّه أو تنكر خبرات معينة كان يمكن أن تحقق نمواً إيجابياً.

فإذا وجد هذا التنافر بين الذات والخبرة، فإن الفرد يصبح هشاً سريع التأثر أي غير حصين وعرضه للسقوط، ويترتب على ذلك سوء التوافق النفسي. وهكذا، يرى روجرز أن التنافر هو سبب جميع مشكلات التوافق النفسي للإنسان. يتبع هذا، إذن، أن التخلص من التنافر سوف يحل تلك المشكلات.

«هذا، هو النفور (أو الإغتراب) الأساسي. فالمرء لم يكن صادقاً مع نفسه، ومع تقييمه الطبيعي الخاص للخبرة. ولكنه من أجل الاحتفاظ بالاعتبار الإيجابي للآخرين، شرع الآن في تزيف بعض خبراته، وإدراكه لها يعتمد فقط على قيمتها بالنسبة للآخرين. إلا أن هذا ليس اختياراً شعورياً، ولكنه نمو طبيعي في الطفولة، إلا أنه نمو فاجع ومأساوي في نفس الوقت. إن سبيل النمو نحو النضج النفسي هو تفادي حدوث هذا النفور (الإغتراب) في الأداء الوظيفي للإنسان، وفي تحقيق الذات الملائمة للخبرة، وحفظ عملية التقييم موحدة كمنظم للسلوك».

حينما يوجد تنافر بين الذات والخبرة، فإن الفرد - حسب التعريف - يكون سيء التوافق، ويكون هشاً سريع التأثر بالقلق والتهديد، ولهذا يصبح دفاعياً. فالقلق ينتج حينما يتصور الشخص خبرة ما على أنها متعارضة مع بنية الذات ومع شروط التقدير المستدمجة بها. وبعبارة أخرى، يحدث القلق حينما نواجه واقعة تهدد بنية الذات الموجودة.

لاحظ أن روجرز يقول: إن الواقعة يتصورها الشخص، ولم يقل: يدركها الشخص.

فالتصور Subception هو إكتشاف خبرة ما قبل أن تدخل في الوعي الكامل. بهذا الأسلوب، يمكن إنكار أو تشويه واقعة يكمن فيها التهديد قبل أن تسبب قلقاً. وفقاً لروجرز، تتكون عملية الدفاع من حذف خبرات، خلال ميكانزمات الإنكار والتشويه لكي تحفظها ملائمة لبنية الذات.

ينبغي ملاحظة أن الخبرة - حسب روجرز - ليست تمثيلاً رمزياً محرماً لأنها إثم أو عمل بذيء أو لأنها مناقضة للمعايير الثقافية كما يقول فرويد، بل إنها تمثيل رمزي محرّم (يتبرأ منه الفرد) لأنها مناقضة لبنية الذات.

مثال ذلك، إذا استدمج شخص «شروط تقدير» تتضمن أن يكون تلميذاً ضعيفاً، ثم نال درجة حسنة في إختبار ما، فإن ذلك يكون أمراً مهدداً، وتميل هذه الخبرة إلى التشويه أو الإنكار. فقد يقول الشخص، مثلاً، إنه مجرد حظ، وأن المدرس قد وقع في خطأ. حسب روجرز، غالباً يمر كل الأفراد بخبرة التنافر، ولذلك يدافعون ضد خبرات معينة، ثم يمثلونها رمزياً في الوعي.

وتحدث مشكلات التوافق فقط حينما يكون التنافر عنيفاً.

والخبرة يكون مصدرها أحد مصادر ثلاثة هي:

١ - يمكن أن تمثل رمزياً بدقة في الوعي.

٢ - يمكن أن تشوه حتى لا تهدد بنية الذات، أو

٣ - يمكن أن تنكر كتمثيل رمزي (أي يتبرأ منها الفرد).

فإذا حدثت الحالة ٢ أو ٣، فإن التنافر يكون النتيجة. وإذا كان

التنافر واضحاً بدرجة كافية فإنه يترتب على ذلك سوء التوافق النفسي.

الفصل العاشر

التأثيرات الاجتماعية والثقافية في الشخصية

نظرية الدور «أوليورت» *G. W. Allport

الدور هو «أسلوب بنائي منظم» للمشاركة في حياة اجتماعية. وبعبارة أخرى هو ما يتوقعه المجتمع من فرد يشغل مركزاً معيناً في مجموعة ما. فإننا نتوقع من رب الأسرة مثلاً الذهاب إلى العمل في الصباح وإحضار لوازم الأسرة وتعليم أطفاله النظام وأداب السلوك وأحياناً اللعب معهم... إلخ. هذا هو «الأسلوب البنائي للأب، أما الأسلوب البنائي للطفل بشكل عام، هو الطاعة فضلاً عن إمتيازات اللعب وتنشئته والتغذية، أما الطفلة الكبرى فنحن نتوقع منها المساعدة في العناية بالطفل الأصغر والمساهمة في عمل المنزل. أما الولد فسرعان ما يشغل دوراً خاصاً يناسب ذكوره، ومن المفروض أن تأتي منه أفعال طفلية بما في ذلك الشجار مع رفاقه دفاعاً عن النفس. بينما نتوقع من الفتاة تعلم تدبير شؤون المنزل، وأن تكون أكثر تواضعاً وتحفظاً من أخيها بشكل عام. أما دور الأم فيشمل عدداً وافراً من الواجبات والأعمال المفروضة حسب العرف والعادات والتقاليد، حتى الأفكار والمشاعر اللائقة وربما أيضاً قليلاً من الإمتيازات. إن التفاعل بين هذه الأدوار جميعاً غاية في الدقة

(*) Allport, G. W. Pattern and Growth in Personality, New York: Holt, Rinehart & Winston, 1961.

ويكون ما نسميه النظام الاجتماعي للأسرة .

وبينما يقوم الطفل بدوره الخاص نجده أيضاً يتعلم أدوار الأب والأم والأقارب . إن أدوارهم معاكسة لدوره ولكنها مع ذلك النماذج التي يقوم بمحاكاتها . حينما يخطيء طفل في الستين من عمره غالباً ما تطلق عليه الأم (أو غيرها) صفة غير مطيع . والطفل في الرابعة من عمره سوف يقلد حركات أبيه . هذه الافتراضات للدور بالإضافة إلى دور الطفل ذاته ، تلعب دوراً كبيراً في تطبيع الطفل اجتماعياً وتمثيله للثقافة من أجل متطلبات حياة الكبار الراشدين .

تعدد الأدوار

بعد أن يؤدي الرجل دوره كأب بالمنزل يذهب إلى عمله كمهندس أو طبيب أو مدرس . فإذا كان مهندساً بمجرد دخوله المصنع سرعان ما يأخذ دور المهندس الذي يتحكم في سلوكه بينما يبقى دور الأب كامناً . إنه يواجه بالمصنع «توقعات دور» جديدة في النظام الاجتماعي الجديد . وبعد انتهاء العمل ، قد يذهب إلى النادي الرياضي للاستجمام أو للإشتراك في تنظيم مباراة للتنس ، ونجده يلعب دوراً جديداً يناسب عضويته في هذا التنظيم الرياضي . عقب ذلك قد يزور أمه العجوز ويسلك لديها دور الإبن المعتاد . ثم يعود في المساء ليجلس بين أسرته حيث يبرز دور الأب الكامن من جديد ، ويظل مهيمناً على سلوكه وسائداً حتى صبيحة اليوم التالي .

وهكذا يمكن النظر إلى حياة هذا الرجل ، مثل كل حياة ، كأنها تتابع من الأدوار تربط الفرد بسلسلة معقدة من النظم الاجتماعية . ويبدو في ثقافتنا أنه لا نهاية للعدد الممكن وجوده من الأساليب والمبادئ

البنائية. توجد أدوار مفروضة للتلميذ والجار والناخب والسائق ومدير العمل والسكرتير والوالدين والزوج والخطيب إلخ. فضلاً عن الأدوار (الأساليب البنائية) والقواعد التي تسند إلى مراحل النمو المختلفة أي الأعمار المختلفة (طفولة، مراهقة، الشباب، الرجولة، الكهولة)، وإلى الجنسين، ذكوراً وإناثاً، تبدو واضحة.

صراع الأدوار:

كثيراً ما تتصارع أدوارنا المتعددة. المرأة العاملة قد تكون في نفس الوقت أمّاً لأطفال صغار، ولذا تجد من العسير عليها التوفيق بين دورها. مثال آخر، قد يكتشف ناظر المدرسة أنه يواجه في مهنته شبكة من علاقات الدور المتصارعة في أغلب الأحيان. إفرض أن بالمدرسة تلميذاً مشاكساً عنيداً يجب إخضاعه للنظام، ولدى المدرسين رغبة في طرد التلميذ من المدرسة (والمفروض أن يكون رأي المدرسين ممثلاً). ويرى الناظر منحه فرصة ثانية. ويوصي مجلس المدرسة (المسؤول الرسمي) بحرمان مؤقت. بينما رابطة الآباء والمعلمين (وهي عضو في المجلس) تلوم المدرس لموقفه من التلميذ. وهكذا تتقاطع الأدوار وتتشابك. إن الأدوار العديدة لناظر المدرسة تجذبه هنا وتدفعه هناك.

تجربة «صراع الدور» والشخصية:

إذا وقع عليك الإختيار لأداء عمل مراقب على الطلبة أثناء الإمتحان بالجامعة، وحدث أن اكتشفت أحد أصدقائك المقربين لك يغش في الإمتحان.

هل تبلغ العميد بواقعة الغش كما تنص القواعد؟ أم لا تبلغ على أساس أن دور الصداقة يتطلب حماية الصديق؟

إذا عرضنا السؤال السابق وأسئلة أخرى مماثلة على عينة من مائة طالب بالجامعة، وجمعنا الإجابات وقمنا بتصنيفها، لوجدنا أنها تتضمن «صراع الدور». سوف يختار بعض الطلبة باستمرار المعيار العالمي، أي أنهم سوف يتبعون القواعد الرسمية للعدالة، ولا يستثنون حتى أصدقاءهم، والبعض الآخر سوف يحل صراع الدور باستمرار باتخاذ قاعدة خاصة مفضلين دور الصديق عن دور المراقب.

علاقة الدور بالشخصية:

يعطي بعض العلماء لمفهوم الدور مكان الصدارة في نظرية الشخصية، فيرى البعض أن الشخصية تتألف من الأدوار التي يمثلها الشخص، ويرى البعض الآخر أن الشخصية الاجتماعية لفرد ما تتكون من التآليف بين الأدوار الاجتماعية المختلفة المتتابعة أو المتآنية التي يؤديها منذ ميلاده حتى وفاته.

ولكي نوضح العلاقة بين الدور والشخصية يجب أن نميز بعناية بين أربعة مفاهيم للدور، لأنه رغم صحتها جميعاً فإنه كثيراً ما يحدث خلط بينها بطريق الخطأ.

مفاهيم الدور:

١ - توقعات الدور:

تنشأ توقعات الدور في النظام الاجتماعي. إنها ما تفرضه الثقافة (أو الثقافة الفرعية) على الأب والأم والتلميذ والمدرس والطبيب... إلخ. إنها قواعد السلوك، وهي ما يتوقعه معظم الناس في المجتمع من أي عضو يشغل مركزاً معيناً في نظام اجتماعي معاصر.

٢ - تصور الدور:

الصورة التي يكونها الأب أو المدرس عن دوره قد تنطبق أو لا تنطبق مع توقعات الدور. بشكل عام من الطبيعي أن يعرف الأب أو المدرس ما يتوقعه منه الآخرون.

ولكن السؤال هنا: ماذا يتوقع هو من نفسه؟

يعتقد أحد الآباء أنه ينبغي أن يشرف على ابنه المراهق عن قرب، ويرى آخر أنه ينبغي السماح لابنه بالحرية. وقد يتصور أحد المدرسين أن التدريس الجيد هو أمر يتعلق بصرامة التدريب وقسوة العقاب، بينما يفضل مدرس آخر عمل المشروع الفردي واستخدام طرق متساهلة أو إختيارية.

٣ - قبول الأدوار:

أحياناً يحب الناس أدوارهم (سواء كانت محددة بتوقعات الآخرين أو بتصوراتهم الخاصة)، وقد يكره البعض أدوارهم والبعض الآخر لا يكثرثون بأدوارهم. إن الدور بمثابة محطة للحياة أستدعى الفرد للتوقف فيها. وقد يقبل الفرد التوقف في تلك المحطة ويعيش فيها وقد لا يرغب. بعض العمال يحبون مهنتهم بينما يكرهها آخرون. البعض يحبون تصوراتهم الخاصة لأدوارهم ولكنهم يحتقرون توقعات الآخرين منهم. قد يكون الدور دافئاً ومركزياً مناسباً للشخصية، بينما هو مجرد فرض ثقافي هامشي غير مقبول بالنسبة لشخص آخر.

٤ - أداء الدور:

إن ما يفعله الفرد بواسطة دوره يعتمد على جميع الشروط السابقة. هل هو فرد نشيط أم خامل يعوزه الحماس؟. هل تلميذ المدرسة متعاون أم معارض ولا يخضع للنظام المدرسي؟ إن توقعات الدور وحدها سوف لا تنبئنا بالإجابة. إن التلاميذ يختلفون كثيراً في أداء أدوارهم، وكذلك

المدرسون والآباء والأطباء. التوقعات لكل فئة منتظمة ومحددة من قبل. ولكن التباين الذي يحدث خلال التصورات المختلفة للأفراد، ودرجات قبولهم لهذه التوقعات، ومظاهر الشخصية وسماتها الراهنة، تشكل الأداء الواقعي للدور لدرجة عظيمة.

علاقة مفاهيم الدور بالشخصية والنظام الاجتماعي

يمكننا إذن النظر إلى الدور من ناحيتين:

أولاً: الدور كشيء يختص بالنظام الاجتماعي،

إن «توقعات الدور» هي فروض النظام الاجتماعي. إنها ما تفرضه الثقافة على الناس. إنها خاصة بالمراكز التي يشغلها الناس. إنها موجودة قبل أن يولد الشخص الذي سوف يشغل هذا المركز. إن توقعات الدور تنفيذ فقط كنموذج ومثير خارجي (وحينما يفسره الفرد قد يقبله أو يرفضه).

توقعات الدور - (الشخصية) - أداء الدور

و«أداء الدور» مرة أخرى، هو نقطة إلتقاء بين نظام الشخصية والنظام الاجتماعي. الأداء يكون بواسطة الشخص، ولكنه يؤثر في النظام الاجتماعي، ويمكن تقييمه كجزء من النظام الخارجي.

ثانياً، مفهوم الدور كشيء يختص بنظام الشخصية،

يمكن النظر إلى مفهوم الدور على أنه شيء يختص بنظام

الشخصية. إن «تصور الدور» يحدث بداخل تنظيم الشخصية. إن تفسير الفرد للدور يتوقف على إستعداداته وميوله الفطرية وحاجاته أو دوافعه وقيمه واتجاهاته إلخ. كيف يحدد الفرد الدور لنفسه؟ هل يقبله ويجعله صالحاً؟ أم يؤديه بأسلوب غير ملائم أو غير واف؟ هذه كلها أمور ذاتية. أي أن مفهوم الدور له معنيان أيضاً وهما:

«تصور الدور» و «قبول أو رفض الدور».

وكلاهما يتم بداخل الشخصية، وبالتالي يتحدد نوع السلوك في النظام الاجتماعي، أي كيف يؤدي الفرد هذا الدور.

كقاعدة هؤلاء الأشخاص الذين يتصورون أدوارهم كما يفعل المجتمع، ويقبلونها بسرور، هم أشخاص يميلون نحو دعم البناء الاجتماعي الحالي. وهؤلاء الذين يتطرفون في تغيير تعريف أو تحديد أدوارهم ويكرهونها - سواء في التعريف الاجتماعي للدور أو تعريفهم الشخصي له - هم أشخاص متردون.

نحن لا نعني بذلك أن كل شخص يرضى عن الدور هو إنسان محافظ، ولا أن كل شخص لا يرضى عن دور هو إنسان متطرف^(١)، ولكن نحن نعني وجود ميل نحو هذا أو ذاك الإتجاه.

(١) بمعنى «راديكالي» أي شخص نزاع إلى إحداث تغييرات متطرفة في الأفكار والعادات السائدة أو في الأحوال والمؤسسات القائمة.

النظريات السوسيو مترية

نظرية الذرة الاجتماعية (*)

(مورينو J.L. Moreno)

الفرد والمجتمع :

يقضي الفرد معظم حياته بين أشخاص آخرين ومنذ الأيام الأولى يتفاعل معهم أي يتأثر بهم ويؤثر فيهم . فهو يكتسب منهم المعايير والاتجاهات وتنشأ لديه العواطف والاهتمامات . وهو غالباً ما يعتمد على وجود أشخاص حيثما يريد التعبير عن حياته الوجدانية . وفي نفس الوقت هو موضع إهتمام أشخاص آخرين كالأم والأب والأخوة .

فميلاده قد يكون مصدراً لسعادة هؤلاء الأفراد أو مدعاة لإقلاق حياتهم لما يطرأ على نظام معيشتهم واهتماماتهم من تغير بل قد يصير محور نشاطهم .

ومن خلال هذا التفاعل بين الطفل والمجتمع الذي يحيط به تنشأ إرتباطات عدة متنوعة بينة وبين أعضاء هذا المجتمع تختلف في قوتها

(*) J. L. Moreno. The Sociometry Reader. Illinois: The Free Press of Glencoe. 1960.

وأهميتها وعددها ونوعها. فقد يكون الإرتباط علاقة إنفعالية أو إجتماعية أو ثقافية، فحياة الفرد مكونة من مجالات نشاط عديدة: المنزل وحياته العائلية وحياة العمل والهوايات وأوقات الفراغ. . . إلخ.

كل هذه المجالات تشمل تبادل النشاط مع آخرين يكونون عدداً من الجماعات المتداخلة مثل جماعة الأسرة وجماعة العمل وجماعة أوقات الفراغ. . . إلخ. وهكذا يصبح الفرد محوراً لشبكة من العلاقات التي تنسج حياة الفرد في المجتمع. إلا أن الأفراد يختلفون في قدرتهم على تكوين تلك العلاقات^(١) من حيث قوة الإرتباط ومداها وعددها ونوعها. فبينما توجد علاقات متبادلة بين طفلين، نلاحظ علاقات من طرف واحد فقط. كل شخص يرتبط إما إيجابياً أو سلبياً لعدد لا حصر له من الأفراد الذين بدورهم قد يرتبطون به إيجابياً أو سلبياً. وكما أن للفرد في كل الأوقات مجموعة من الأصدقاء، فله أيضاً مجموعة من الأعداء، فضلاً عن أن بعض الأشخاص قد يرتبطون بالشخص المركزي وهم غير معروفين له، وقد يرتبط هو ببعض أفراد لا يعرفونه.

إذن باعتبار أن الفرد بؤرة لعمليات جذب وتنافر عديدة، يمكن

(١) يتدرج تطور السلوك الاجتماعي للطفل مع سائر مظاهر نموه المختلفة الجسمية والمقلية والانفعالية. فعند بداية سن المدرسة الابتدائية يصبح الطفل إجتماعياً إلى درجة كبيرة، إلا أن هذا في حدود جماعات صغيرة نسبياً من بعض أفراد فرقته المدرسية، مثلاً، بينما يظل الباكون على هامش حياته. ويتقدم سنه يتسع مجال نشاطه الإجتماعي ويشترك في جماعات أكبر فتزداد أهمية الجماعة في نظره، وهكذا يتحول إهتمام الطفل تدريجياً من النشاط أو اللعب الفردي إلى النشاط واللعب الجماعي. ومع ذلك تظل هناك فروق ملحوظة في إستجابات الأطفال لبعض أنواع النشاط الإجتماعي.

تصور إطار من صورة التجاذب والتنافر وعدم المبالاة في العلاقات بين الفرد والجماعات. وأصغر وحدة في العلاقات الاجتماعية يطلق عليها «مورينو» J.L. Moreno إسم الذرة الاجتماعية The Social Atom. فالذرة الاجتماعية هي نواة كل الأفراد الذين يرتبط بهم شخص بأواصر قوية أو الذين يرتبطون به في نفس الوقت. وقد يكون هذا الارتباط علاقة إنفعالية أو اجتماعية أو ثقافية. وبذلك فإن مجموعة العلاقات الإنسانية الناجمة عن عمليات الإختيار أو النبذ المتركزة حول فرد معين هي ذرته الاجتماعية. ويزداد حجم الذرة الاجتماعية باطراد مع نمو الفرد ومن خلال ذلك يعيش الأفراد أكثر تماسكاً.

الذرة الاجتماعية هي أصغر نواة للأفراد في العالم الاجتماعي الذي يضمه نسيج إنفعالي. نقول «إنفعالي» لأنه لا معنى لأي علاقة حتى ولو كانت أوثق العلاقات من الناحية الروحية أو العقلية ما دامت لا تتضمن قدراً من المشاعر والإنفعال. ولا نقصد هذا أو ذلك الإنفعال ولكن جميع الانفعالات التي قد تربط أو تفصل بين الناس مثل الحب والكراهية والشفقة والرحمة والغيرة والحسد والمرح والإبتهاج والغضب والحقد. ولا تعتبر أنواع الجذب والنبذ إنفعالات بل هي النتائج النهائية لها. ونقصد «بالروابط الاجتماعية» جميع الروابط الاجتماعية من مجرد معارف إلى علاقات مهنية وصناعية. أما «الروابط الثقافية» فنعني بها جميع الروابط الثقافية من إشتراك بسيط في الأفكار إلى علاقات جمالية وأخلاقية ودينية.

تنظيم الذرة الاجتماعية،

مما سبق يتبين لنا أن هناك مستويات للروابط التي تنشأ بين الفرد

وأعضاء الجماعات التي ينتمي إليها الفرد. فكل فرد قد تعرّف في وقت ما على عدد ما من الناس يكونون ما يطلق عليه «حجم التعارف». إلا أن أغلب هؤلاء لا يعنون شيئاً شخصياً بالنسبة له. مجموعة صغيرة فقط من هؤلاء المعارف هي التي تعني شيئاً بالنسبة له، سواء كان منجذباً إليهم أو نابذاً لهم. هذه المجموعة الصغيرة تكون ما يسمى بالنواة الاجتماعية الأساسية أو «الذرة الاجتماعية» وهي نواة أشخاص مرتبطين إنفعالياً بالفرد وتتكون من:

- ١) نواة داخلية: وهي نواة أشخاص بينهم علاقات موجودة فعلاً.
- ٢) نواة خارجية: وهي نواة أشخاص مرغوب تكوين علاقات معهم.

أما حجم التعارف يضم معارف لا يعنون شيئاً شخصياً بالنسبة للفرد أو لا يرتبطون وجدانياً به. وقد يعرف «حجم التعارف» بعدد الأشخاص الذين كوّن معهم الشخص علاقات تعارف حتى وقت أداء الاختبار. فقد يذكر المرء أنه قابل بعض الأفراد أو تحدث معهم إلا أن أغلب هؤلاء قد لا يعنون شيئاً شخصياً بالنسبة له ولا يههم أمرهم. وفي نفس الوقت قد يكون هو ذا شأن بالنسبة للآخرين ويههم أمره على الأقل في هذه اللحظة. ولكن توجد بين هؤلاء المعارف جماعة صغيرة يعنيه أمرها لدرجة ما، بالنسبة لمعيار معين (كالعمل أو اللعب أو السكن... إلخ)، فهو إما منجذب إليهم أو نابذاً لهم. (فقد يقبل الفرد زمالة شخص آخر في اللعب والترويح بينما يرفض الإشتراك معه في عمل جدي أو في السكن). وكذلك قد يكون في الجماعة - سواء عرف أو لم يعرف - أفراد يعنيه أمره، وهم في هذا إما منجذبون إليه أو نافرون منه، هؤلاء يكونون الذرة الاجتماعية أي النواة الاجتماعية الحقيقية.

وإذا قورن «حجم التعارف» بالخلية الفسيولوجية^(١)، فإنه يجوز لنا تشبيه الإطار العام للمعارف الذين لا يعنون شيئاً شخصياً بالنسبة للمرء بالسيتوبلازم Cytoplasm في الخلية الحية. أما المعارف الذين يعنيه أمرهم فيشبهون نواة الخلية Nucleus.

وغالباً ليس هناك حد فاصل مطلق بين الكتلة الخارجية للمعارف والنواة، فقد يكون هناك بعض الأفراد يصعب التحديد بصفة قاطعة إذا ما كانوا مجرد معارف، أم لهم فعلاً ارتباطات وجدانية مع الشخص. ومع ذلك فالخط العام المميز بين نواة الأفراد المرتبطين وجدانياً - أي النواة الاجتماعية - وبقية حجم التعارف سيكون واضحاً ويطلق عليه «العتبة الاجتماعية».

العتبة الاجتماعية،

إنها تمثل إذن نقطة الانتقال من مجرد المعرفة إلى زمالة ذات إرتباط إنفعالي في ذرة اجتماعية.

ولهذا دلالة نظرية فإذا شئت في وقت ما أن أكوّن تعارفاً مع فرد ما

(١) الخلية الفسيولوجية هي كتلة برتوبلازمية منفصلة محاطة بغشاء من البلازما يسمح لبعض المواد دون غيرها بالنفاذ وبذلك يعزل جزئياً «داخل الخلية» عما يحيط به من الخارج. وعادة تحتوي الخلية على نواة واحدة وأحياناً أخرى أكثر من نواة ومن النادر جداً أن تخلو الخلية من النواة. ويختلف شكل تلك الخلايا كثيراً وغالباً ما يكون لها وظائف نوعية راقية لدرجة عالية مثل: قدرة الإنقباض في العضلات والتمثيل الضوئي في النباتات الخضراء. ولكنها تشترك في الخصائص العامة للأبيض أو التمثيل الغذائي (عمليات البناء والهدم Metabolism). وكثير من الكائنات الحية المجهرية (الدقيقة) مثل البكتيريا والطحالب والفطريات والبروتوزوا، تتكون من خلية واحدة طول فترة حياتها، بينما يحتوي جسم الرجل على حوالي مليون خلية.

قابليته منذ قليل، أو أردت أن أزداد قريباً من شخص أعرفه منذ مدة، أو أدخل في علاقة معه بالنسبة لمعيار معين: عمل، حب، أو أي شيء آخر، فإن هذا الشخص يكون قد اجتاز العتبة الاجتماعية لذرتي الاجتماعية. وبالمثل ينطبق هذا على أفراد يرغبون في إنشاء علاقة معي سواء استجبت لرغبتهم وقابلتهم بمثلها أو لا. هؤلاء أيضاً قد اجتازوا العتبة في ذرتي الاجتماعية. إن النواة الاجتماعية تشمل قسمين؛ الجزء الخارجي من النواة وتكوّنه العلاقات المرغوب فيها والجزء الداخلي من النواة وتكوّنه العلاقات الواقعية التي تمت فعلاً.

الذرات الاجتماعية هي أصغر وحدات في العلاقات الاجتماعية. وليس لهذا بأية حال معنى عددي أو مطلق، لأنه بالنسبة لإثنين غرباء يتقابلان عند ناصية شارع أو عاشقين على موعد فإن عدد المشتركين اثنان فقط. بينما بالنسبة لشخص قوي ذي جاذبية اجتماعية ينجذب نحوه الآلاف فإن عدد الأفراد المشتركين في تكوين مباشر لنسيج من الإنفعالات قد يكون آلافاً، ولكن نموذج العلاقة ما زال أيضاً في هذه الحالة أصغر وحدة يمكن تصورها تحت هذه الظروف بالنسبة لهذا الفرد.

الذرة الاجتماعية هي القاسم المشترك النهائي لجميع الصور الاجتماعية في العالم. إنها ليست شيئاً معيارياً مثل الأسرة أو صورة مجردة من الجماعة مثل الفرد، إنها مراكز الجذب والتبذ واللامبالاة. ونقول جذباً أو نبذاً، لأن نسيج العوامل الانفعالية أو الاجتماعية أو الثقافية تأخذ في الواقع شكل الجذب أو التبذ أو اللامبالاة على سطح الإتصال الإنساني.

وتختلف الذرة الاجتماعية عن الذرة الطبيعية في الأصل والمعنى.

فالذرة الإجتماعية عبارة عن فئة كائنة مكونة من أفراد، مجرد إدراكها مرة هو دليل مباشر على وجودها ولا يمكن إنقاصها. على النقيض من ذلك ليست الذرة الطبيعية دليلاً مباشراً كما يمكن انقاصها. فهي في الحقيقة ليست تكويناً قائماً بذاته، بل لا بد لها أن تتحدد بغيرها حتى تستقر في تكوين ما. واللفظ ذرة Atomos (بالإنجليزية Atom) مسمى مضلل لأن الذرة الطبيعية (مثل ذرة الإيدروجين أو الأكسجين أو الكربون أو أي عنصر آخر) ليست أصغر أو أبسط الدقائق العنصرية للمادة كما تصور ديمقريطس Democritus الإغريقي الذي أدخل لفظ «ذرة» في قاموس اللغة فهي تضم أجساماً أصغر وأدق منها مثل: الإلكترونات والنيوترونات والبروتونات إلخ. وبمرور الوقت يمكن ظهور دقائق أكثر صغراً. ولكن لا يمكن أن نتصور في أي وقت وجود تكوين اجتماعي أصغر من الذرة الإجتماعية، لأنها ليست أي شيء آخر، بل هي أصغر تواجد إجتماعي مباشر للأفراد.

وقد يرجع تكوين الذرات الاجتماعية إلى حوادث عارضة شتى من الإتصالات: كالصدفة والقرب أو التجاور والاختيار. ولكن الإختيار ينجم عنه أقوى صور الإتصال متانة وأكثرها تلقائية في التعبير الاجتماعي.

مظاهر الذرة الاجتماعية،

يمكننا النظر إلى الذرة الاجتماعية من جهتين: من زاوية الفرد نحو الجماعة ومن زاوية الجماعة نحو الفرد.

١ - في الحالة الأولى أي الذرة «فردية المركز» يمكن أن يفتن الفرد إلى المشاعر التي تنبعث منه في إتجاهات كثيرة نحو الأفراد الذين يستجيب لهم بمحبة أو بكراهية أو بعدم إكتراث، ونحو الذين

يدركهم هو أو يختارهم أو ينبذهم، وقد يتعادلون هم نحوه دون
إشراكهم في ذرته الاجتماعية.

٢ - وفي الحالة الثانية أي في الذرة «جماعية المركز» ينظر المرء إلى
تكوينات ذرية إجتماعية من وجهة نظر الجماعة. وبهذه الطريقة قد
يكشف فعلاً أنه عندما ينتقل فرد ما إلى واقع ذرة اجتماعية معينة
فإنه يواجه مرة أخرى، كما في الصورة السيولوجية، نفس الأفراد
وقد تشابكوا هم الآخرون كل بالآخر. إنه يواجه هنا مباشرة بظاهرة
من السهل إغفالها عند وصف الذرة فردية المركز، حيث يرى في
الصورة الجديدة أن الأشخاص الذين تشابكوا مع الفرد المركزي
يدخلون بقطع وأجزاء من ذراتهم الاجتماعية ليس فقط في داخل
الدائرة التي هو مركزها، ولكن أيضاً في دوائر بعضهم البعض.

ولذا تبدو الذرة الاجتماعية المركزية محاطة بصيغ إجتماعية
كوكبية. وكل من هذه الذرات الإجتماعية الكوكبية تبدو كالشموس
المركزية كل منها محاطة بذرات اجتماعية كوكبية عديدة، وهكذا تستمر
إلى ما لا نهاية. وبدلاً من أن نركز إهتمامنا على فرد بارز ومعه عدد من
الأفراد يدورون حوله، نشاهد تداخلاً بين ذرات اجتماعية عديدة مختلفة
في الحجم وفي الصيغ، وتمثل أصغر وحدات إجتماعية في المجتمع
الإنساني، حيث تدخل في تنظيم إجتماعي معقد يزداد في التعقيد باطراد
حتى ما لا نهاية.

فيما سبق ذكرنا جانبين للذرة الاجتماعية، إلا أن هناك جانباً ثالثاً
يعتمد على إدراك الفرد، أي الذرة الاجتماعية «إدراكية المركز». فيمكن
أن يرى الفرد التكوينات الداخلية من الذرة الاجتماعية من وجهة نظر

إدراك الفرد الصحيح أو المشوه لغيره، أو وجهة نظر جماعية للآخر.

إن إدراك الفرد قد يكون صواباً واقعياً وقد يكون مشوهاً مختلاً. وتتوقف دقة الإدراك على عوامل كثيرة سوف نبسط الحديث فيها في فصل قادم. فقد يتأثر الفرد في أحكامه بعوامل ذاتية مثل الحيل الدفاعية اللاشعورية أو حالته النفسية أو خبراته السابقة. ولما كانت الخبرات الشخصية ومستوى الأداء الوظيفي للعمليات العقلية تختلف من فرد لآخر، فإن تأويل الأفراد لنفس المثير أو الموقف، من الطبيعي أن يختلف. أي أن المعنى الذي يعطيه الفرد للإحساس الناجم عن تأثيره بالمثير يرجع إلى إطاره الخاص أو نموذج حياته. وهكذا يتباين الإدراك من فرد لآخر وبعبارة أخرى تعدد وجهات النظر لنفس المثير.

وكما يُرى الشخص من خلال الإدراك الصحيح أو المشوه لفرد آخر، فإنه قد يُرى أيضاً من وجهة جماعية أي من خلال إدراك جمعي له، واحتمال الصواب والخطأ ما زال موجوداً في الإدراك الجمعي للفرد.

الذرة الثقافية The Cultural Atom

كل فرد له دور في الحياة، والدور Role هو «الوظيفة» التي يؤديها فرد في جماعة، أو نوع المساهمة المميزة لفرد في خدمة الجماعة. إن دور الشخص رفيع الذكاء مثلاً، هو تصحيح الأخطاء. ومن جهة أخرى، الدور يعني «السلوك» المميز والمتوقع من موظف في مكانة معينة في الجماعة. مثال ذلك دور الرئيس أو السكرتير.

وبلا شك يتأثر الدور في الحالة الأولى (الوظيفة) بالدور في الحالة الثانية (السلوك)، والعكس صحيح، ولكن كلا منهما يمثل مفهوماً

مستقلاً. أحدهما يعتمد على الشخصية في علاقتها بالجماعة والآخر يتوقف على التوقعات الإجتماعية والثقافية.

ولكن في بعض المواقف نتوقع من الفرد أن يلعب دورين، بينما يبدو بالنسبة له أنهما متعارضان ولا يمكن التوافق بينهما، ويطلق على هذا الموقف «صراع الدور». مثال ذلك ما يحدث في أزمة المراهقة حينما يكون مستحيلاً بالنسبة للمراهق أن يلعب الدور الذي يؤديه معظم الراشدين من الكبار الناضجين، بينما يظل في نفس الوقت مطيعاً لأوامر والديه. صراع بين تطلعه نحو الإستقلال العاطفي والتحرر من التبعية الطفلية ومحاولة تأكيد ذاته فيضيق بالسلطة المنزلية ويتمرد على الأسرة، وبين حاجته إلى حب ورضا الوالدين وقبول المجتمع له، وكل هذا يتطلب منه الطاعة والخضوع للسلطة.

كل فرد، إذن، باعتباره البؤرة لعمليات جذب وتنافر عديدة، يبدو أيضاً كبؤرة لأدوار عديدة ترتبط بأدوار الأفراد الآخرين. وكما أن له في كل الأوقات مجموعة من الأصدقاء ومجموعة من الأعداء، فله أيضاً سلسلة من الأدوار وسلسلة من الأدوار المضادة جميعها في مراحل مختلفة من النمو. إن الجوانب الملموسة الواضحة لما يطلق عليها الأنا أو الذات هي الأدوار التي يقوم بها الفرد. والإطار البؤري لعلاقات الأدوار حول فرد يسمى «الذرة الثقافية»، وقد اختير هذا الإصطلاح مرادفاً للذرة الاجتماعية. إن إستخدام «ذرة» هنا يمكن التسليم به إذا اعتبرنا الذرة الثقافية «أصغر وحدة وظيفية داخل الإطار الثقافي».

إن التنظيم الذري الاجتماعي لجماعة ما لا يمكن فصله عن التنظيم الذري الثقافي، فالذرة الاجتماعية والذرة الثقافية مظهران لنفس الشيء هو

«الواقع الاجتماعي».

لكي نفهم حياة الفرد ينبغي أن نعرف شيئاً عن كيفية عمل الجماعات. وبناء على نظرية تكوين الذرات الاجتماعية يرتبط كل فرد بعدد معين من الأفراد، بينما غالبية أفراد الجماعة خارج هذه العلاقة. وتتكون حياة الفرد من مجالات مختلفة متوهة من النشاط، بحيث يمكن تصور حياة الفرد متضمنة عدداً من الجماعات المتداخلة، مثل جماعة الأسرة وجماعة العمل وجماعة وقت الفراغ.. إلخ. وهكذا تتصل كل ذرة بغيرها من الذرات الأخرى مكونة شبكة من العلاقات تربط الجماعة بعضها مع بعض في تكوين يسمى «الشبكة الاجتماعية».

والشبكات هي تكوينات متجمعة تمثل أقدم صور الإتصال الاجتماعي. ويفترض التحليل التكويني للجماعات وجود نماذج معينة من العلاقات، فقد تحدث تجمعات ثنائية الأفراد تربط بين كل زوج أسرة من نوع ما، تجمعات ثلاثية أو سلسلة من العلاقات إلخ. وتحدث هذه النماذج بأنساق مرتبطة حتماً بدرجة تمايز الجماعة.

ويزيدنا هذا التحليل فهما لظاهرة مهمة وهي بداية التنظيم الاجتماعي، فهذه التكوينات المعقدة لا تحدث مباشرة وإنما تنمو على مراحل تدريجية.

السّخصيّة ونظرية التعلّم «ماورير» (Mowrer) و«كلوكهون» Kluckhon

قامت في السنوات الماضية محاولات للإستفادة من نظرية التعلّم لمدى أبعد وأكثر شمولاً في دراسة نمو الشخصية، فتألفت النظريات السيكلوجية في التعلّم بمفاهيم نابعة من الأنتروبولوجيا الإجتماعية والتحليل النفسي. وأبرز الباحثين في هذا الاتجاه هم:

ماورير Mowrer وكلوكهون Kluckhon ودولارد Dollard وميلر . Miller

وفيما يلي يقدم ماورير وكلوكهون الفروض التالية كأساس لنظريتهم الديناميكية للشخصية^(١)

١ - السلوك الوظيفي:

تدفع المخلوقات الحية للعمل بالتنبيه (الإثارة)، وتظل في نشاطها حتى ينقص أو يندم التنبيه. توصف هذه العملية باسم «التوافق» ويميزها كل من ماورير وكلوكهون عن عملية «التكيف البيولوجي» أي السلوك الذي يحفظ الكائن حيا، صحيا، ومخصبا. فالتكيف يُنشئ ويغير أنواع

السلوك الموروثة (نظرية الغرائز)، بينما التوافق يُنشئ ويغير العادات (نظرية التعلم)، وأكثر الأفعال توافقاً تكون كذلك مكيفة ولكنها قد لا تكون كذلك بالضرورة.

٢ - دائماً يتضمن السلوك صراعا:

يقبل ماورير وكلوكهون أساس الصراع النفسي في السلوك الذي تقدمه نظرية التحليل النفسي ودعمته نتائج الأنثروبولوجيين الاجتماعيين.

٣ - ينبغي أن يفهم السلوك في ضوء علاقته بالمجال الذي يحدث فيه:

باستخدام نقطة البداية في مفاهيم الجشطالت للمجال، يشير هذان الباحثان إلى أن السلوك الناتج عن مصدر إثارة معين سوف يتأثر بعوامل كثيرة. ويعني هذا أن تاريخ حياة الفرد يمكن إعتباره المجال أو المحتوى الذي يحدث فيه توافق معين.

٤ - تميل جميع المخلوقات إلى حفظ حالة توازن داخلي:

يرى ماورير وكلوكهون أن تفسير هذا الفرض يتضمن الفروض الثلاثة السابقة فيقرران ما يلي:

«الصراع هو أحد المظاهر الدائمة للسلوك. أي أن أي فعل مهما كان مجزئياً أي مربحاً لا بد وأن يصحبه قدر من التضحية أو الخسارة. فلا يحدث أي شكل من التوافق (خفض التوتر) بدون قدر من عدم التوافق (زيادة التوتر). ولكن هذه الحقيقة لا تتعارض بأي

حال مع الرأي القائل بأن: المخلوقات الحية تبدي ميلاً لاختيار أنماط التوافق التي تتضمن أقل قدر ممكن من الصراع، أي التي توفر حداً أقصى من التكامل».

بالإضافة إلى وصف الفروض السابقة كضروريات لنظرية ديناميكية في الشخصية، إمتد ماورير وكلوكهون أكثر إلى ميادين الأنثروبولوجيا والتحليل النفسي وعلم النفس لتنمية نظريتهما وتطويرها.

الفرد والمجتمع:

استفاد الباحثان من الدراسات الأنثروبولوجية حيث زادتهم استبصار بدور الفرد في المجتمع فهما يتصوران الشخصية نتيجة لعملية التمثيل الإجتماعي لفرد.

«لكل فرد دوافع، ولكن يجب أن يعدل أسلوب توافقه حتى تطابق دوافعه توقعات وحدود الأفراد الآخرين».

إن هذه النظرية لا تقبل التأكيد البيولوجي والغريزي الذي نسبه فرويد لنمو الشخصية. ومع ذلك فإن كثيراً من آراء فرويد في النمو النفسي الجنسي تستخدم في هذه النظرية ولكن بصورة معدلة.

الدوافع والسلوك:

بناء على نظرية التعلم القائمة على البحث التجريبي نرى أن «كل سلوك ينتج عن دافع، وكل أنواع التعلم تتضمن ثواباً أو مكافأة».

المعادلة الأساسية التي أستعملت في هذه المعادلة لفهم كل السلوك المتعلم والتي تتضمن جوانب الشخصية المكتسبة هي:

«يؤدي الدافع إلى سلوك متغير، ويعمل في نهاية الأمر إلى خفض التوتر. والدافع يعتبر موقف به مشكلة، والإستجابة التي تؤدي إلى حل هذه المشكلة يعززها ثواب، هو خفض التوتر».

وقد أجرى الباحثان تعديلات واستطردات لمفهوم «تعزيز التعلم» حتى يمكن تفسير العوامل العليّة التي تسبب السلوك الشاذ أو السلوك السوي، من أجل توفير أساس للعلاج.

الفصل العادي عشر

- العوامل الوراثية البيئية
في الشخصية
- تفاعل الشخصية

العوامل الوراثية والبيئية في بناء الشخصية

ينشأ كل إنسان خلال تفاعل القوى الوراثية والبيئية التي تختلف أهميتها النسبية من شخص لآخر، فيوجد لدى الفرد طاقات خاصة موروثه ويتوقف نمو الفرد على مدى تحقيقها. أي أن «تحقيق هذه الطاقات الكامنة الموروثة تعتبر وظيفة للبيئة التي يتطور فيها الفرد. منذ اللحظة الأولى لتصور الفرد الذهني فإن كل مظهر من مظاهر البيئة التي تحيط به تتفاعل مع الطاقة الكامنة الموروثة.

التكوين الفطري:

عند الميلاد يستجيب الطفل للمثيرات الأولى استجابة كلية على أساس تكوين فطري أو المزاج الذي يبقى مدى الحياة «طبقة سفلية» تعمل كمؤثر جزئي في كل إستجاباته للواقع المتتالي. إن كل استجابة هي نتيجة مزاج فطري بعد تعديله بالخبرة (التعلم).

الأنا ومفهوم الذات:

وباستمرار إكتساب الطفل النامي للخبرة نتيجة مجابهة الواقع تتميز الكتلة السيكولوجية التي لم تتشكل بعد، وبذلك ينشأ ما نطلق عليه «الأنا» Ego.

وينبغي ألا نخلط بين «الأنا» Ego و «مفهوم الذات». فبينما «الأنا» هو جوهر الشخصية، فإن مفهوم الذات هو تقييم الفرد لقيمته كشخص أي تقييم الشخص لنفسه. وبينما الأنا هو طاقة الفرد للأداء، فإن مفهوم الذات يحدد أداءه الفعلي. وينمو مفهوم الذات - جزئياً - من خبرات الفرد الشخصية في «إختبار الواقع» ولكنه يتأثر بدرجة بالغة بالتقييمات التي يتلقاها من الأشخاص ذوي الأهمية الذين يرتبط بهم وجدانياً في حياته، ويتفسيراته لاستجاباتهم له. مثال ذلك طفل رفيع الذكاء ومع ذلك يلقي من أهله توبيخاً وتحقيراً مستمرين نابذين له دون إعتبار لأدائه. إن هذا الطفل قد يكون عن نفس مفهومًا كشخص قاصر عاجز عن تحقيق طاقاته الكامنة.

وفي تلك العملية التي يترقى فيها الأنا تتنظم الشخصية - من وجهة نظر الديناميكية السيكولوجية - حول جوهر من الحاجات البيولوجية والسيكولوجية وهي دوافع السلوك التي يتحرك الإنسان وفقاً لها. والطرق التي يحاول بها الشخص إشباع تلك الحاجات أو الدوافع تعتبر عوامل هامة في نمو الأنا (الذات). إلا أنه لا مفر من نشوء الإحباطات والصراعات، فالشخصية تنمو إذن من تفاعل الكائن البشري مع بيئة تحبطه أو تشجعه وتشكل دوافعه. ويرى أنصار التحليل النفسي أن الطفل النامي يتشكل بواسطة أسلوب المعاملة المبكرة والتغذية والفظام والحب والأمن الذي قد يمنحه الوالدان للطفل أو يحرمانه منه والعقاب الذي قد يفرضه عليه المجتمع.

وفي جهود الفرد الرامية إلى حفظ وحماية وتقوية وتكامل الأنا، يلجأ الشخص إلى حيل دفاعية لا شعورية معينة. (كالكبت والإسقاط

والتبرير وغيرها). وتعمل بعض استجابات الفرد شعورياً والبعض الآخر لا شعورياً. وهكذا فإننا قد نتفق على أن جهازاً أو بناء منتظماً قد تكون ويشمل العواطف والاهتمامات والآليات (الميكانيزمات) اللاشعورية أو العقد التي تحدد سلوك الطفل أو الراشد في أي موقف.

وهكذا، فإن الأنا داخل إطار مفهوم الفرد لذاته تصبح بؤرة لاختبار ومعرفة الواقع، وتكوين آراء عن الصواب والخطأ، ولتقييم إمكانياته الشخصية من حيث علاقتها بالعالم المحيط بها. إنه يفيد كوسيلة يتذكر الفرد بها الماضي ويعرف الحاضر ويتنبأ بالمستقبل. وبهذه الطريقة يمكن للفرد أن يمارس حياته كنموذج متصل، ومن أجل هذا يكون الفرد مكرساً باستمرار لحفظ الأنا ووقايته وتقويته.

تكامل الشخصية

ترتبط حياة الفرد وخبراته منذ ميلاده ارتباطاً وثيقاً بعلاقاته مع غيره من الناس، فلا تكاد تمضي أسابيع على ميلاد الكائن البيولوجي حتى يصير تدريجياً كائناً اجتماعياً يلعب دوراً ايجابياً خاصاً به بعد أن كان مجرد مستقبل سلبي تحت رحمة الأيدي التي تتلقفه. وهنا يبدو منذ البداية مدى العلاقة الوثيقة بين مظاهر تطور السلوك الاجتماعي وسائر ضروب النمو المختلفة للفرد من جسمية وانفعالية وعقلية (وخاصة اللغة). فكلما ظهرت وظائف جسمية جديدة كالحواس (من شم وسمع وبصر... إلخ). والحركة (من حَبُو وزحف إلى مشي) إتسعت رقعة نشاطه الاجتماعي، وزادت فرص تفاعله مع غيره والتعرف على بيئته المباشرة. ويصاحب هذا نمو إنفعالي يتجه تدريجياً من تهيج عام نحو

أنماط محددة واضحة كالغضب والغیظ والمحبة والمرح وغيرها. وهكذا يزداد تنوع الإنفعالات بازدياد النضج حتى تتكون للسلوك الإنفعالي صور لا حصر لها. ويكتسب الإنفعال وظيفة تعبيرية عن مختلف المشاعر والرغبات. وبالتدریج نتيجة إتساع نطاق خبرات الطفل وتفاعلاته الاجتماعية في محیط البيئة المباشرة نجد وظيفة الانفعال التعبيرية تحل محلها وظيفة تعبيرية أخرى هي اللغة. وبالمثل تنمو سائر الوظائف العقلية الأخرى من تمييز وإدراك وتصور ذهني باتساع الإتصالات الإجتماعية، مما يساعد على إشباع حاجاته ومعالجة أموره اليومية والتكيف مع بيئته والتوافق مع الجماعة التي يعيش فيها.

وبتطور سلوك الفرد ككائن إجتماعي، يتطور مركزه كفرد مستقل بذاته يتميز عن الآخرين، حيث تتميز شخصيته الفريدة في نوعها، حيث تنتظم أسلوباً خاصاً في السلوك والتفكير. كما يتبلور في ذهن الفرد مفهوماً عن ذاته وفكرته هو عن غيره. وبناء على هذا التصور الذهني لدى الفرد عن محبة الآخرين له أو كرههم له تنشأ كثير من المشكلات الإنفعالية والاجتماعية. فتصور الفرد بأنه مقبول أو منبوذ من الجماعة قد يطابق الحقيقة وقد يكون وهماً. وهذا بطبيعة الحال يتوقف على طبيعة إدراك الفرد لمشاعر الغير نحوه. والإدراك قد يكون صواباً أو مشوهاً، وبالتالي يتحدد موقف الفرد من الآخرين من إقبال أو إعراض، نُفور أو عدم إكتراث، ويتلون سلوكه نحوه من تودد أو إعتداء وتجنني ونكوص أو تردد. وباختصار نتيجة لتفاعل الكائن العضوي البيولوجي مع المجتمع تتميز الكتلة السيكولوجية ويتبلور ما نطلق عليه «الأنا». وهو الجانب الشعوري من الشخصية ويمثل الخبرة الشخصية للفرد.

وهكذا نجد أن طبيعة العلاقات القائمة بين الأفراد من جذب أو نيزد أو عدم إكتراث، وبالتالي إختلاف الإتساع النسبي لمجال النشاط الاجتماعي للأفراد وقدرتهم على التكيف للبيئة والتوافق الاجتماعي، لا تكون نتيجة النضج الجسمي والإنفعالي فحسب بل أيضاً نتيجة النمو الاجتماعي والعقلي. وبعبارة أخرى إن طبيعة هذه العلاقات هي محصلة تفاعل عوامل النضج الوراثية والعوامل البيئية المكتسبة، وبذلك يتحول الكائن العضوي البيولوجي إلى كائن اجتماعي سيكولوجي.

إن دراستنا إذن للسلك الاجتماعي للفرد ليست منفصلة عن الأساسيين البيولوجي والسيكولوجي، فالإنسان وحدة متكاملة لا تتجزأ. أي أن تكامل الكائن الحي في بيئته يعتمد على تضامن عوامل ثلاثة:

أولاً: عامل التكامل البيولوجي وهو «الجهاز العصبي»، ووظيفته الأساسية تنظيم التفاعلات العضوية التي تحدث داخل الجسم وتنظيم علاقة الجسم ببيئته الخارجية.

ثانياً: عامل التكامل السيكولوجي وهو «الذاكرة»، ووظيفتها حلقة إتصال بين الماضي والحاضر وبين مختلف الوظائف العقلية، ومن ثم يشعر المرء بأنه «ذات» ثابتة خلال التغيرات التي تكون نسيج الحياة، ولولاها لتعرض الفرد لأشد الاضطرابات النفسية، وهو إضطراب فقد الشعور بثبات الذات. كما أن الحياة النفسية تستند في تنشيطها ونموها ومواصلة نشاطها إلى التحصيل والإكتساب. والذاكرة هي الشرط الأساسي لتحقيق هذا الإكتساب وتنظيمه.

ثالثاً: عامل التكامل الاجتماعي وهو «اللغة»، ووظيفتها حلقة إتصال بين الفرد والمجتمع، بالإضافة إلى تنظيم سلوكه وشؤونه

الاجتماعية، فهي أساس التفاهم والتعاون والتوافق الاجتماعي.

هذه العوامل الثلاثة للتكامل البيولوجي والسيكولوجي والإجتماعي، لا تعمل منفردة بل متضامنة يكمل كل منها الآخر. وتميز جميعها بالثبات والإنسجام. وهكذا يتم الترقى الذي يحوّل الفرد البيولوجي إلى شخصية اجتماعية متكاملة. ولذلك إذا أردنا دراسة سلوك الإنسان سوف تبدأ دراستنا بالفردية البيولوجية، من حيث هي مجموعة دوافع السلوك الحيوية من حاجات وميول ونزعات، وننتهي بالشخصية الموحدة المتكاملة الشاعرة بذاتها وبقدرتها على العمل الحر وبعضويتها في المجتمع. سوف نترج من السلوك الفردي إلى السلوك الاجتماعي بشتى صورته. نبدأ بقدرة الفرد على التعبير عن ذاته بوصفه فرداً متميزاً عن غيره ونترج إلى حاجته للانتماء إلى الجماعة، والحساسية بحاجاتهم، واكتسابه قدراً من المشاركة الوجدانية، إلى الاهتمام بمصالح المجتمع الذي ينتمي إليه. ويسوقنا هذا التطور إلى دراسة ما يقابله من ضروب المقاومة من أنانية ومتعة ورغبة في الحصول على مزيد من السلطة، أو الإنغماس في كل ما يجذب له اللذة ويجنبه الأذى، ثم التطور من السلوك «الذاتي المركزي» الذي يؤكد الذات والفردية، إلى صور من السلوك «الغيري» الذي يشمل التفكير والعمل الجمعي.

والتحول عن الإهتمام بالذات إلى الإهتمام بالعالم الخارجي، عملية تطور وترقى تؤكد عملية التكامل بين جوانب النمو المختلفة، ومدى تناسق الوظائف الديناميكية السيكولوجية للسلوك وتفاعلها بعضها مع بعض. مثال ذلك قدرة الطفل - حوالي السادسة - على التحكم في دوافعه ورغباته المحظورة (العدوانية والجنسية) بفضل مجموعة من

العمليات النفسية الداخلية كالكبت والعكس والإعلاء. ويساعد على ذلك عوامل التربية التي تؤدي إلى خمود حياة الطفل الغريزية (الفطرية). وبهذا يكون الرقيب الداخلي أو الضمير قد استقر في داخلية الطفل وأصبح قادراً على القيام بدور السلطة الخارجية. وهذه السلطة الداخلية الجديدة (الضمير) تقوم بتنظيم الطاقة الانفعالية للطفل وضبط رغباته المحظورة. وبذلك ينجح الطفل في تحويل طاقته الانفعالية إلى أفراد خارج الأسرة، وفي توجيه اهتمامه إلى العالم الخارجي، وفي تعلم قواعد المجتمع وأساليبه في السلوك، وتصبح علاقة الطفل بالأسرة أقل عنفا وحرارة مما كانت عليه.

هذا الاستقرار العاطفي النامي نتيجة اندماج الطفل لأول مرة في المجتمع الخارجي وهو مجتمع المدرسة ينمي لديه شعور الزمالة لأقرانه، وذلك يشعره بالثقة في نفسه وفي غيره. هذه العلاقات الإجتماعية تصبح مصدراً يستمد منه الطفل «الأمن» بعد أن كانت الأسرة مصدره الوحيد. وهذا الشعور بالأمن يزيده جرأة في استطلاع العالم الخارجي، كما يؤدي إلى إتساع دائرة معارفه لتوكيد هذا الشعور بالأمن، مما يطبع هذه الفترة بطابع الهدوء الإنفعالي.

كما يصحب كمون الرغبات الفطرية المحظورة كمون في القدرة النقدية. ولذا يصبح الطفل أكثر انقياداً للأفكار الشائعة، لأنه يكون قد إرتضى مطالب الواقع الاجتماعي وحل الصراع: الصراع بين الرغبات العدوانية والجنسية وبين حبه لوالديه وولائه لهما، بالخضوع لسلطة الرقيب (الأننا الأعلى). وأحد مظاهر تقبل الطفل للمعايير الاجتماعية هو ظهور الدين في حياته على شكل واضح كأحد مظاهر التوافق الاجتماعي.

خصائص الشخصية الناضجة

النضج الإنفعالي شرط للتوافق الاجتماعي والصحة النفسية. إن الصلة وثيقة بين النضج الإنفعالي والنضج الاجتماعي. فالشخص غير الناضج إنفعالياً، كأن يكون مبالغاً في سلوكه الإنفعالي، متهوراً مندفعاً، لا يستطيع عقد صلات إجتماعية قوية. بينما القدرة على ضبط النفس من أهم عوامل النجاح وخاصة في الميدان الاجتماعي. ومن أهم خصائص الشخص الناضج إنفعالياً ما يلي:

- ١ - القدرة على التحكم في إنفعالاته، فلا يتهور ولا يثور، بل يرفض ما لا يريد ويفرض ما يشاء.
- ٢ - القدرة على كبح جماح شهواته والسيطرة على نزواته، فهو قادر على تأجيل لذاته العاجلة، أو الإرضاء السريع لدوافعه من أجل أهدافه الآجلة.
- إنه يحتمل الحرمان ولا يستدر العطف من الغير، حتى يشبع حاجاته ومطالبه الملحة. بينما الشخص غير الناضج مثله كالطفل الذي يندفع لإشباع حاجاته في الحال، بصرف النظر عن النتائج التي تترتب على ذلك والتي تضر بمصالحه.
- ٣ - تناسب الإنفعالات مع مشيراتها، فلا يشطط في غضبه لأسباب تافهة، فيسب ويعتدي ويتجنى، ولا يببالغ في خوفه أو غيظه فيرتجف ويتشنج.
- ٤ - يتخلى عن أساليب السلوك الطفلية كالأنانية والغيرة وحب التملك.

فالشخص الناضج إنفعالياً غير أناني يؤثر الغيرية على الأثرة، يحب لغيره ما يحب لنفسه.

٥ - هادىء ومتزن إنفعالياً، وانفعالاته ثابتة. بينما الشخص غير الناضج متقلب إنفعالياً أو مذذب في إنفعالاته، لا تستطيع التنبوء بسلوكه الإنفعالي.

٦ - الاعتماد على النفس والقدرة على تحمل المسؤولية.

٧ - القدرة على الإحتمال: تحمل الأزمات والنقد والإحباط أو الفشل.

وأخيراً، فضلاً عن خصائص النضج الإنفعالي، فإن الشخصية الناضجة يجب أن تتميز بسمات أخرى وهي:

١ - امتداد الشعور بالذات، أي ارتباط الماضي بالحاضر.

٢ - وجود علاقات دافئة مع الآخرين.

٣ - الأمن الإنفعالي، ويتوقف على قبول الذات.

٤ - الإدراك الواقعي: للعالم، والمواقف والواجبات والمهارات... إلخ.

٥ - موضوعية الذات، وتعتمد على الإستبصار الذاتي، ويصحبها المرح.

٦ - وجود فلسفة موحدة في الحياة.

٧ - أسلوب معرفي عريض المدى.

٨ - مرونة الشخصية والجرأة.

الفصل الثاني عشر

الحكم على الشخصية
(إدراك الأشخاص)

إدراك الإسّخاص

يطلق تعبير الحساسية الإجتماعية على قدرة الفرد في فهم غيره من الناس، أي دقة إحساسه بمشاعر الآخر وأفكاره ودوافعه. وهي لا تتضمن إستجابة تعاطفية مثل المشاركة الوجدانية Sympathy. إن الحساسية الاجتماعية هي «دقة إدراك الأشخاص Empathy بعضهم لبعض، وجوهر هذا الإدراك هو الموضوعية، بينما يتسم التعاطف أو المشاركة الوجدانية بالذاتية.

الحساسية الاجتماعية إذن مرادف للإدراك الاجتماعي. ولما كانت الدقة والموضوعية في إدراك شخصيات الآخرين، أي المعرفة بدوافعهم ومقاصدهم، من أهم عوامل التوافق الاجتماعي وحسن التصرف في المواقف الاجتماعية فإنه يطلق على «الإدراك الاجتماعي» «أحياناً» الذكاء الاجتماعي.

ونحن نستفيد قدرأ كبيرأ من حياتنا في محاولات لفهم الآخرين كما نرغب في أن يفهمنا الآخرون بدرجة أفضل مما يفعلون في الواقع. إن مجهودنا الرئيسي ينصب على سبر أغوار النفس للإستحواذ التام على دوافع ومقاصد الشخص الآخر، فتكون هذه هي الخيوط التي ترشدنا إلى حياته. إلا أن هذا ليس بالعمل اليسير، فهناك عدد ضخم من العوامل تؤثر في نجاحنا أو إخفاقنا. كما أن الناس يختلفون كثيراً في مدى ما

يحققونه من تحصيل .

والواقع لا يوجد شخص يستطيع فهم شخص آخر فهما تاما، لأنه لا يوجد إثنان مشتركان تماما في نفس الدوافع بالأفكار والمشاعر. ما هو في متناولنا حاليا (أو قريب منا) هو أنفسنا فقط. أما معرفة الآخرين فتأتي لنا بطريقة غير مباشرة وعلى أجزاء، فما نقتنصه هو مجرد لمحات من الآخرين. إلا أننا نحاول جاهدين اجتياز الهوة بين عقل وعقل، حيث أن سعادتنا وبقاءنا يعتمدان على الأحكام الصحيحة التي تصدرها على الأشخاص، أي الفهم الصحيح لهم. نجد أنفسنا كل يوم في مواقف متعددة نبتسم ونقوم بإيماءات متعددة لشخص آخر قائلين: «أجل، أجل» حتى نؤكد لرفيقنا ولأنفسنا أننا قد فهمنا ما يقوله وأدركنا من هو. يحدث هذا مع أن فهمنا يكون جزئياً فحسب ومع ذلك نتظاهر بهذا الفهم.

يندر أن نبتسم ونحن على إنفراد، فغالبا ما تكون الإبتسامة نتيجة خاصة لمواجهة إجتماعية، فنصدر إيماءة أو اشارة حتى نشير إلى فهمنا للزميل، وإلى إنتمائنا لبعضنا البعض، وإلى أننا قد إتفقنا على أساس للوجود معاً أي المشاركة في الحياة. أما إبتسامة الطفل الرضيع فليس لها هذا المعنى أو الأهمية. فإبتسامة الطفل الرضيع عبارة عن إستجابة فطرية ظهرت بعد الأسابيع الأولى من الحياة بواسطة وجه كامل متحرك. ولكي تحدث هذه الاستجابة الإدراكية لا بد أن يكون الطفل في حالة صحة جيدة، وأساساً في حالة إطمئنان. إنه عقب ذلك فقط حينما ينشأ الشعور بالذات وبالأخرين تأخذ الإبتسامة معنى «الفهم».

لقد كانت تلك العملية المبهمة وغير المباشرة التي بواسطتها تكتسب المعرفة بالآخرين سبباً في حيرة عميقة للسيكولوجيين والفلاسفة.

إن الصورة التي نكونها في أذهاننا عن الشخص الآخر ليست سوى ظاهرة فحسب - صورة في عقلنا نحن. صورة تقريبية منقولة عن الواقع الموضوعي. ويجدر بنا أن نذكر أن عملية الإدراك «أداة تنظم الرموز والإشارات التي تصل إلى إحساساتنا أي أعضاء الحس. فرغم اختلاف «إدراك الأشخاص» عن «الإدراك الحسي» أي إدراك الأشياء في كثير من الوجوه إلا أنه أساس العملية العقلية واحد وكلاهما يعتمد على «التنبهات الحسية». فالإدراك الحسي هو «العملية العقلية التي تبدأ بالتنبهات الحسية وتنتهي بالتفطن إلى موضوعات العالم الخارجي وتأويلها.

والتنبهات الحسية ينتقل أثرها عن طريق أعصاب خاصة إلى مراكز عصبية معينة في المخ، وهناك يترجم هذا الأثر إلى حالة شعورية نوعية بسيطة هي ما يعرف بالإحساس. الإحساس إذن هو الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من إنفعال حاسة (أو عضو حسي). وعملية الإدراك لا تقتصر على مجرد الإحساس أو الشعور بالمنبة، وإنما تتناوله بالتأويل أي أنها تعطي «معنى» لهذا الإحساس.

وفي عملية التأويل تتدخل عمليات عقلية أخرى كالذاكرة والمخيلة، أي أننا نعلم في التأويل على معلوماتنا وخبرتنا السابقة، هي بلا شك تختلف من شخص لآخر، كما يتدخل أيضاً التهوية الذهني للفرد (أثناء انتباهه للمنبة)، فضلاً عن نماذج الإثارة في الجهاز العصبي. نتيجة لذلك يختلف ما نفرغه من معاني على المنبة أو الإحساس، وهكذا تتباين تأويلاتنا لنفس الشيء. أي أن الصورة التي تنسخ في أذهاننا قد تختلف عن الواقع الخارجي في قليل أو كثير. ومع أننا لا نعرف هذا

الواقع الخارجي مباشرة، فنحن نعرف فعلاً أن ما ندركه يقابل إلى حد ما ما هو بعيداً «هناك».

هذه المشكلة تواجه كل العلوم. حتى عالم الطبيعة يستطيع معرفة «ظواهر» فقط (ما يدركه) وليست الحقيقة المطلقة. إن مجهوده مثل مجهود عالم النفس، هو أن يجعل ظواهر العالم لديه تقابل وتقترب على قدر الامكان من الشيء - الذي نود معرفته - في حد ذاته. إن هذه الورطة عند التطبيق تثير خاصة إلى مشكلة فهم الناس. ففي «إدراك الأشخاص» توجد مصادر خطأ كثيرة لا تزعج عالم الطبيعة. ويرجع ذلك لشيء واحد، هو أن المشاعر الشخصية تظهر مباشرة في معاملاتنا الاجتماعية، حتى حينما نحاول أن نكون موضوعيين. فالشخص العاشق بكل تأكيد لن يكون أفضل من يحكم على شخصية محبوبته. إن طبيعة الموقف يؤثر بقوة في أحكامنا على الناس. فإذا شملنا موقف تهديد أو إذلال وتحقير فإننا نرى الناس - في تقديرنا - إلى حد بعيد «أقل جانبية» مما نراهم في المواقف التي تجاملنا في تقييم أنفسنا. ولكن هذا التحيز الوجداني ما هو إلا عاملاً واحداً من تلك العوامل التي تعقد عملية إدراك الأشخاص.

حينما نود التعبير عن الصورة المدركة - أي الصورة الذهنية - لشخص ما، نقول في الحديث العادي أننا «نحكم» عليه أو على شخصيته. ولذا سوف نطلق في عرضنا التالي على الشخص الذي يدرك Perceiver اسم الحكم The Judge، والشخص «موضوع الإدراك» لفظ «الأخر». وسوف نهتم فيما يلي بدراسة جوانب عدة لموضوع «إدراك الأشخاص» أو «الإدراك الاجتماعي» وهي ما يلي:

تعريف «الإدراك الاجتماعي»:

يتضمن «الإدراك الاجتماعي» ثلاثة عناصر:

(أ) التعرف على مشاعر وانفعالات الآخرين.

(ب) الموضوعية في تقييم شخصيات الآخرين.

(ج) تعرف الشخص على اتجاهات الآخرين نحوه.

الإفصاح عن الذات:

كل فرد يحتفظ بجانب من حياته سراً يحاول إخفاءه عن الآخرين، بينما يكشف عن الجانب الآخر المضيء. ويختلف الأشخاص في مقدار ما يخفون أو يكشفون للآخرين من معلومات عن أنفسهم، وهم يختلفون كذلك في عدد ونوع الأشخاص الذين يأتون إليهم، ويفصحون لهم عن أنفسهم. فقد يأتى الشخص لبعض أفراد أسرته فحسب (كالوالدين أو الزوجة أو الأخوة... إلخ)، وقد يمتد هذا الإلتمان إلى الغرباء والأصدقاء.

الانطباعات الأولى:

إن تعقيد عملية الإدراك يتضح في دراسة الانطباعات الأولى. فقد يبدو واضحاً (رغم أنه لا يكون حقيقة دائماً) أنه كلما رأينا وسمعنا عن سلوك الشخص كلما كان حكمنا عليه أكثر دقة. لكن ما يدعو للدهشة هو الطبيعة المنبسطة لأحكامنا التي تعتمد حتى على أكثر الرموز ضعفاً، وكذلك السرعة المذهلة التي تصدر بها أحكامنا بناء على الانطباعات الأولى. إنه بمجرد لمحة نحو شخص يجلس أمامنا في الترام أو

الأتوبيس، لم تستغرق أكثر من ثانيتين أو ثلاثة ثواني، ثم نغمض العين سوف تبدأ سلسلة خاطفة ممتدة من الإستدلال والإستنتاج إلى البناء الذي تصدر عنه أحكاماً عن البيانات التي حصلنا عليها. إن المخاطر الفجائي الأول الذي يبدو لنا، قد يناسب فئة ما من الناس مألوفة بالنسبة لنا من حيث العمر والجنس والجنسية والطبقة الاجتماعية والمهنة، بالإضافة إلى تقديرات غير واضحة عن المزاج، متاعبه الماضية، صلابته، سيطرته، ودقة أناقته، وحتى مدى الإلتمان له.

وهكذا نمنحه الطابع النمطي الذي نحمله في أذهاننا لتلك الفئة. ولكننا أيضاً نكون أحكاماً خاطفة فيما يختص بالميل الشخصية للفرد. وحينما تضاف معلومات أكثر إلى إنطباعاتنا الأولى، نتيجة تعارف أكثر، قد تزداد ثقتنا في أحكامنا رغم أنها ليست حتماً صحيحة، فقد تثبت خطأها. هذا يعتمد على قدرتنا كحكام وإلى أي حد تتميز بالمرونة.

فقد يختلف الحكم من حيث تكوين الانطباعات الأولى، أي الحساسية لاستقبال التنبهات الحسية من الآخر موضوع الإدراك. فإذا كانت غنية متعددة (كأن يفطن إلى الكثير من السمات الشخصية والخصائص الجسيمة والشعبوية - كأن يكون أجنبي المولد، أمريكي أو أوروبي أو صيني... إلخ - والمكانة والدور الاجتماعي... إلخ). فهم حكام يتسمون بالمرونة. وبإضافة معلومات أكثر وأكثر، فهذا يساعد على تصحيح الحكم المبدئي وتوسيع دائرته. أما الأشخاص الذين يرون قليلاً (أي حساسيتهم ضعيفة في استقبال الرموز أو مفاتيح الشخصية) فإنه من المحتمل أن تبقى أحكامهم فقيرة، وتظل إنطباعاتهم نمطية جماعية حتى لو أعطيت بعد ذلك معلومات أكثر.

القدرة على الحكم:

معظم القدرات العقلية ليست عامة كلية ولا خاصة (نوعية) كلية. مثال ذلك الشخص ذور القدرة الفنية Artistic ability ليس - كقاعدة - خبيراً بنفس القدر في الرسم والتصوير والرقص والتأليف الموسيقي. القدرات تجري في دروب أضيق من ذلك ومن جهة أخرى القدرة الفنية ليست نوعية كلية. فلم نسمع عن شخص يستطيع رسم شجرة مثلاً ولا يستطيع رسم كوخ صغير، أو شخص قادر على تأليف لحن واحد ولا يستطيع تأليف غيرة. ينبغي ألا نتوقع حكماً للناس مستوى نجاحه واحد في تقدير كل سمة في كل شخص. ولكن في نفس الوقت يجب ألا نتوقع منه أن ينجح فقط في تقدير صفة واحدة في كل الناس أو ربما كل الصفات في شخص واحد فقط. أي أن قدرة الحكم على الآخرين ليست قدرة عامة كلية، كما أنها ليست خاصة ضيقة كلية. الحقيقة سوف تقع بين هذين القطبين.

وقد وجد الباحثون نوعين من القدرة بين الحكام:

١ - الحساسية للآخرين عامة (كمجموعة) أي حساسية للنمط الجمعي: المعرفة بكيفية سلوك الناس عموماً. في قدرة الحكم التنبؤ بالظواهر الشبيهة بنتائج الرأي العام، متوسط الاتجاهات في الجماعة، أو «الاستجابة النموذجية» النمطية لطلبة الجامعة لوحداث معينة في إختبار للشخصية. وهكذا بمعرفة المعايير العامة والجماعية يستطيع الحكام التنبؤ بسلوك الأعضاء النموذجيين فعلاً لثقافة ما. يطلق على هذا النوع من القدرة «الحكم النمطي».

٢ - الحساسية للسلوك الفردي أي حساسية للنموذج الفردي: القدرة على

الإحساس بكيفية شعور شخص ما نحو قائد الجماعة بصرف النظر عن متوسط آراء الجماعة. هذه طبعاً هي القدرة التي نقصدها عادة حينما نتحدث عن حكم جيد للناس.

ويميز الباحثون بين هاتين القدرتين حيث يرونهما مستقلتين لدرجة كبيرة. هؤلاء الذين يجيدون الحكم على «عامّة الناس» أو «الجماعة ككل» لا يتحتم نجاحهم كحكام على الشخص المفرد. مثال ذلك؛ قد يستطيع مدير محل تجاري التنبؤ بما سوف يشتريه الناس، ولكنه لا يستطيع التنبؤ باستعداد أحد الزبائن للشراء.

وفيما يختص بالحساسية للسلوك الفردي، فإن بعض الحكام أكثر دقة في فهم (أو التنبؤ) الرجال عن النساء، وآخرون يكون حكمهم أفضل في حالة النساء منها في حالة الرجال. وكذلك تشير بعض الشواهد على أن حكم الناس يكون أفضل ما يكون مع من يماثلونهم ومن يحبونهم.

والحكم النمطي يفيد لا في التعامل مع الناس كمجموعات فحسب، بل أيضاً في التعامل مع أفراد. أما الحساسية للسلوك الفردي فتقوم على أساس الإحساس بالنمذجة الشخصية، والشعور الجمالي والتركيبي لنموذج معين. وقد يكون أفضل الحكام إطلاقاً هو الذي يملك القدرتين أو المهارتين.

ورغم وجود هذا التصنيف الثنائي للقدرة على الحكم، يجب ألا نفترض عدم وجود «قدرات أولية» أخرى متضمنة في عملية إدراك الأشخاص. مثال ذلك يرى فرنون P.E. Vernon وجود ثلاثة مستويات من المهارة في الحكم:

١ - بعض الناس يفهمون أنفسهم جيداً.

٢ - آخرون يفهمون أصدقائهم بوجه خاص جيداً.

٣ - فئة ثالثة تتفوق في الحكم على الغرباء.

وقد قدم فرنون بعض الشواهد على تساند هذا التمييز الثلاثي .
فالفئة الأولى من الحكام الذين يفهمون أنفسهم يمتازون بالذكاء الرفيع
والمرح . وحكام الأصدقاء والرفاق أقل من حيث الميل الاجتماعي
والذكاء من الفئة الأولى . وحكام الغرباء لديهم ذكاء مرتفع ومواهب فنية
رفيعة، ولكن غالباً ما يكونوا غير إجتماعيين في نواحي كثيرة .

خصائص الحكم الناجح في الشخصية،

تبدو موهبة الحساسية للسلوك الفردي (الإدراك المتبادل بين
الأشخاص) مرتبطة بمجموعة من العوامل نذكر بعضها فيما يلي بناء على
نتائج البحوث التجريبية .

١ - الخبرة والنضج :

أول ما يحتاج إليه الحكم الناجح هو النضج، ويعني هذا لا مجرد
وصول الفرد إلى سن الرشد، بل أيضاً تكوين رصيد من الخبرة بطبيعة
الإنسان . فالمراهق يرى الناس في إطار خبرته المحدودة ومنظورة
الضيق، وغالباً ما يلجأ إلى استعمال «كليشيات» معينة في أحكامه على
الناس - كأن يقول: فلان دا «نمرة» أو «فتك» و«فلان دا «واد طيب» أو ابن
حلال . ورغم أن المراهق كثيراً ما يحتج بأن الكبار لا يفهمونه، فماذا
يعرف هو عن الكبار الذين في متوسط العمر أو الرجولة أو الشيخوخة
التي لم يمر خلالها بعد؟ على أقل تقدير إن الكبار قد مروا فعلاً بفترة

المراهقة وواجهوا صراعاتها وأزماتها ومشاعرها.

إن حكم المراهق على الكبار يعوزه الخبرة الشخصية بحياة الكبار، مشاقها وصراعاتها. فهم الشخصية في حاجة إلى الإستدلال المنطقي، وهذا يحتاج إلى الخبرة العريضة التي بدونها وبدون التعارف الطويل المتواصل بمختلف أنواع البشر فإن الأساس الأولى لهذا الاستنتاج يكون ناقصاً.

٢ - التشابه:

التشابه حالة خاصة من الخبرة، فكلما زاد تشابه الآخر بي، زادت، على نحو ما، خبرتي به. ولهذا السبب كان أعضاء نفس الجنس (رجالاً أو نساء)، نفس السلالة (العنصر)، نفس العمر، أو نفس الثقافة أفضل عادة في الحكم على شخصية بعضهم البعض. فالطلبة - كقاعدة - أفضل في الحكم على زملائهم من أساتذتهم والعكس صحيح.

إذن تميزنا الإدراكي يزداد دقة في مجال إتصالاتنا المألوفة. فسكان غرب أوروبا يرون الشرقيين كلهم متشابهين أو حتى يبدون متماثلين في الشكل، وبالعكس يرى الشرقيون أن الغربيين متشابهون. ولكن بداخل جماعتنا العنصرية في إمكاننا الإحساس أكثر بالفروق وإصدار أحكام أكثر دقة.

ويجب أن نميز هنا بين «التشابه الحقيقي» و «التشابه الافتراضي» فبينما يؤدي الأول إلى الدقة في الحكم، يعمل التشابه الافتراضي على إفساد الحكم وقصور الإدراك. فكثيراً ما نفترض أن الآخر سوف يسلك كما نسلك نحن، ثم يظهر خطأ توقعاتنا. إن هذا الافتراض يعتبر مصدراً للخطأ في الإدراك (ما لم يكن التشابه الحقيقي موجوداً أيضاً).

٣- الذكاء :

أثبتت معظم الدراسات وجود علاقة بين الذكاء المرتفع وقدرة الحكم الصحيح على الآخرين . ولا يدهشنا ذلك ، فعملية الحكم على الناس مثل الذكاء ذاته ، أمر يتعلق بإدراك صلة الرموز والعلاقات بين أنشطة الماضي والحاضر ، بين السبب والنتيجة ، وربما كما يقول ثرنون أن الذكاء أقل أهمية في حالة الحكم على الأصدقاء منه في حالة الحكم على الذات أو الغرباء .

٤ - التعقيد المعرفي :

لا يستطيع الفرد - كقاعدة - فهم شخص آخر أكثر منه تعقيداً ودهاء وحذقا . إن العقل ذو الإتجاه الواحد يكون إحساسه قليلاً بصراعات العقل متعدد الاتجاهات . الشخص الذي يفضل البساطة في التصميم ولا يتذوق الأعمال المعقدة في أحكامه الجمالية أقل مستوى في الحكم من الذي يتميز بتعقيد أكثر في الأذواق والأسلوب المعرفي .

٥ - الاستبصار الذاتي :

الشخص الذي يتمتع بالإستبصار الذاتي أي المعرفة الدقيقة الموضوعية بذاته ، تغلب أيضاً الدقة في أحكامه على شخصيات الآخرين ، وخاصة فيما يتعلق بالسلمات المشتركة بينهما . وهنا يؤدي عاملا الخبرة والتشابه دورهما مرة أخرى . وإذا كنا نعرف دوافعنا المعقدة وعوامل سوء التوافق فينا ، وفردية نموذج حياتنا ، فإننا - بنوع من العكس - نكون أكثر إحساسا بالتعقيد في الآخرين وبفردية الآخر التي يختلف نموذجا وبنائها تماما عنا .

٦ - المهارة الاجتماعية والتوافق الشخصي :

الحكم الجيد يتصف بالمهارة الاجتماعية والاتزان الإنفعالي، ويوجه عام خالي من الإضطرابات العصابية. كما أنه يتمتع بصفات قيادية عالية ويكون محبوباً يميل إلى المشاركة والتأثير والإشراف والعناية بالآخرين. أما الحكم الضعيف فيكون - على النقيض - أحق في تعامله الاجتماعي، عدواني متغطرس، كثيراً ما يختلف مع الناس، يسخر ويتقم منهم. ومع ذلك فهو يبدي في نفس الوقت اعتماداً كبيراً عليهم.

٧ - العزلة :

رغم أن الحكم الجيد ناجح في علاقاته الاجتماعية، ودود ودافئ لدرجة ملموسة، فهو إلى حد بعيد منعزل. كثيراً ما يثبت أنه شخص منطوي، غامض، ومن الصعب الحكم عليه، ومع ذلك فهو يتكيف بنجاح مع الآخرين. ويشير هذا إلى أنه يحفظ مسافة أو بعداً معيناً بينه وبين الآخرين تسمح له بنظرة غير متحيزة ومتعمقة. أما الحكام الضعاف فهم غالباً مفرطون اجتماعياً، واندماجهم زائداً، إتكاليون وعالة على الغير.

٨ - الإتجاه الجمالي :

يرتبط هذا الإتجاه بالقدرة على الإنسحاب، ويعتبر هذا في مقدمة مؤهلات الحكم الجيد جميعها. ويسعى الإتجاه الجمالي دائماً إلى فهم التناسق الأصيل الجوهرى لأي شيء يوجد في مركز الانتباه. وقد يكون هذا الشيء تافهاً كحلية أو هاماً مثل الكائن البشري. وفي كلتا الحالتين فإن ما يهم هذا الشخص هو فردية وتناسق التكوين. هذا الإتجاه ضروري

للروائي والمؤرخ، كما يتقن الحكم كذلك ذوي الإهتمامات الفنية والدرامية. بل إنه من المحتمل حينما ينمو هذا الإتجاه بدرجة عظيمة، فإنه قد يعوض قصور الخبرة أو الذكاء أو الإستبصار أو التشابه أو التعقيد.

٩ - البصيرة السيكولوجية:

نضيف إلى هذه القائمة الطويلة لمواصفات الحكم الجيد سمة أخرى، مع أنها قد تتداخل مع غيرها يطلق عليها «البصيرة السيكولوجية». وهي سمة (أو مجموعة من السمات) تشير إلى نوع معين من العقلية السيكولوجية.

فيبدو أن بعض الناس يهتمون بطبيعتهم بالحالات الذاتية: بالمشاعر الداخلية، التخيلات، الرغبات والمعاني. لديهم حساسية خاصة بظلال الدوافع والصراع وآلام الآخرين. إنهم مثل الروحانيين الذين يرون في الطبيعة حيوية البشر (أصحاب مذهب حيوية المادة). وبحكم التعريف، إن شخصاً لديه هذه السمة سوف يكون حكماً جيداً للشخصية، في طبيعته وجد للذاتية، ولد سيولوجيا، مثل شكسبير ودستوفسكي. إن هذه البصيرة أكثر من أن تكون إتجاها Attitude فحسب، إنها قيمة دافعة.

ويتضح نقص البصيرة السيكولوجية في تكوين الشخصية التسلطية، أما الشخص غير المتسلط يكون أكثر مرونة، وأقل إسقاطاً عند حكمه على الناس. بينما يظن التسلطي أن طرازة عالمياً، ويفترض أن الآخرين مثله يفعلون ما يفعل، وهكذا يسقط بجمود عقائده على الآخرين. وأخيراً يبدو أن البصيرة السيكولوجية سمة جوهرية تقع في لب الحساسية الإجتماعية.

المصادر العامة للمخطأ:

أي تصور ذهني ينجم عنه خطأ غالباً يكون في نفس الوقت سيلاً

إلى الخطأ في الحكم على الناس . الملاحظة السطحية ، الذاكرة المخطئة ، المقدمات المزيفة ، الإستنتاجات الخاطئة ، الإعتقاد في الخرافات والأوهام ، التعصب ، التبرير ، الإسقاط - عدد عظيم جداً من الخطوات الخاطئة المحتمل حدوثها مما يجعل من العسير تصنيفها . إلا أن هناك أخطاءً معينة شائعة في إدراك الأشخاص ، ويجب أن تستقر في أذهاننا باستمرار .

١ - المبالغة في التبسيط :

مهما بلغت دراسات تاريخ الحالة من الإتقان ، ومهما بلغت روايتها من الطول ، فإنها لا تعطي صورة كاملة أو تفسيراً تاماً لشخصية ما . النبذات الموجزة بما في ذلك بروفيل الشخصية - غالباً بل حتماً ما تكون عبارة عن كاريكاتير فقط (أي صورة تقريبية للخصائص البارزة فحسب) . وعادة ما يرضينا أن نعطي مميزات طريفة أو هشة للآخرين ، ولكننا نعرض بشدة عندما نجد أنفسنا قد تجردنا من الكثير نتيجة الإيجاز في التحليل . ونعتبر الوصف الموجز لنا صورة رخيصة من المعرفة . نحن ندرك أننا أكثر تعقيداً مما يظن فينا الآخرون ، بل نشك إذا ما كانت ثلاثة مجلدات ضخمة أو أكثر تعطي الوصف الكامل حقاً .

المبالغة في التبسيط قصور فطري للعقل الإنساني . فمن المحال أن نحفظ في العقل متغيرات كثيرة بنفس قدر الجوانب الكثيرة لشخصية واحدة أياً كانت . ولكن هذا الفشل لا يختص بإدراكنا للأشخاص فحسب ، بل أيضاً يواجهنا في معالجتنا المعرفية من أي نوع . كما يبدو لدينا ميل للمبالغة في تقدير وحدة الشخصية ، والميل لرؤية شكل ، وافتراض وجود بناء حيث لا يوجد هناك بناء أو تكوين . إننا نقاد بقدر ما لاتجاهنا السائد نحو أو ضد الشخص .

تذكر مدى بساطة الصور الذهنية التي نكوها عن الشخصيات التاريخية صلاح الدين الأيوبي، عرابي، مصطفى كامل، نابليون، هتلر، وغيرهم. وكذلك الأصدقاء والأقارب بعد وفاتهم يصيرون أكثر بساطة وأعلى تقديراً كلما تخبو بقايا الذكرى لدينا. إن ما ننسبه من وحدة وثبات أو تناسق يميز أيضاً أحكامنا عن رفاقنا الأحياء.

وتزداد حدة المبالغة في التبسيط حينما تتسع الفروق في العمر. فالطفل يرى معظم الراشدين «عجائز» كبار السن. والأساتذة القدامى بالكلية يرون الطلبة الجدد متشابهين ويعاملونهم على هذا الأساس.

وبوجه عام حينما تكون هناك فروق ملحوظة يميل الحكم إلى إدراك الآخر في ضوء مكانته الاجتماعية أو دوره الاجتماعي أكثر مما يرى فيه شخصية فريدة.

٢- التأثير الهالي :

هو ميل للتحييز في تقديراً وتقييم فرد بالنسبة لخصائص معينة نتيجة إنطباعات غير حقيقية (حسنة أو سيئة) عنه.

وبعبارة أخرى هو ميل لإعطاء تقدير مرتفع (أو منخفض) لكل السمات، لأن هذا الشخص يعتبر مرتفع (أو منخفض في سمة واحدة).

فإذا ذكرنا صفة واحدة عن شخص ما، كأن نقول: أنه ذكي، فإن معظم الناس إذا سئلت عنه، سوف تستنتج أنه نشيط، متبصر، كفء، خيالي، مستقل، وربما يكون أيضاً متواضعاً، مبتهجاً، معتدل المزاج، نظيفاً الخ.. وهكذا نتجاوز المعلومات المعطاة كأن للذكاء هالة عمت

المشهد الكلي، رغم أن الحقيقة قد تخالف تلك الإستنتاجات. وهو في ذلك مثل بقعة الحبر على ورقة النشاف أو قطرة الزيت إذا سقطت على ورقة ما تنتشر في شكل دائري على البقاع المجاورة. التأثير الهالي إذن مصدر للخطأ يتكرر إستخدامه في ميزان التقدير Rating Scale وغيره من الطرق المماثلة.

وقد وجد أن التأثير الهالي يكون ملحوظاً أكثر ما يمكن حينما تكون السمات التي نحكم عليها غير واضحة في التعبير السلوكي، وحينما يندر استخدامها بواسطة الحكم، وإذا كانت ذات دلالة أخلاقية.

٣- الأحكام النمطية:

حينما ندرك أن شخصاً زنجي مثلاً أو فرنس أو صيني، لا نصل غالباً أبعد من النموذج النمطي الذي تكون لدينا عن تلك الأجناس. إن هذا التصور الذهني يستأثر بأحكامنا. وكثيراً ما تمنعنا النمطية الإحتكارية (مثل: الجنس، المهنة، الطبقة الاجتماعية) من إصدار أحكام دقيقة مميزة. ونادراً ما نسعى لتقييم شخص برمته، ولكن ما يصدر عنا هو ما يهمننا فقط. كالبحث عن ضرب معين من العلاقات. هل سيتلاءم هذا الشخص مع هيئة الموظفين بالشركة أو بمكتبي؟ هل سيكون زميلاً وديعاً؟ وهكذا. تشير الدراسات إلى أن الناس لديهم عادة إتجاهات مفضلة قليلة يحكمون في ضوئها على الآخرين. فهذا شخص يبحث عن علاقات الجاذبية أو أسلوب الفرد في التعامل أو التنشئة الأولى للفرد، وشخص آخر يبحث عن الذكاء والكفاءة، وثالث عن الأعراض العصابية والمرضية. إن ما يراه هؤلاء الأشخاص مرتبط باهتماماتهم الخاصة أكثر من إرتباطه ببناء شخصية الآخر موضوع الحكم.

٤ - الإسقاط :

الإسقاط حياة دفاعية لا شعورية، وهي في جوهرها صورة من خداع النفس، حيث ينسب المرء أفكاره ورغباته الخاصة غير المقبولة ونقائصه إلى الآخرين. وقد يؤدي هذا إلى التخلص من بعض مشاعر الذنب وخفض التوتر الناجم.

وبمعنى ذلك أن الشخص يرى في الآخر السمات التي تستقر في نفسه هو فقط، أو أنه يبالح في تقدير صفة في الآخر لمجرد أنه يملك هذه الصفات بدرجة عالية. هذا النوع من الإسقاط يطلق عليه «ميكانزم أشعة القذى»، وكان الشخص يحدث نفسه قائلاً:

«لدى ذلك الشخص نزعات شيطانية
وبالمثل أفعل أنا، ولكن شكراً للإسقاط
فإنني أشاهد فقط القذى في عينيه، غافلاً
عن الشعاع الذي في عيني».

هذا النوع من الخطأ ينبع من «إفتراض اتشابه»، إلا أن هذا الإفتراض قد يكون لا شعورياً كلية، وغالبية سوء الفهم بين الأفراد يشوبه تلك الصبغة من «مركزية الذات» Egocentricism، حيث نفترض أن الآخر لا بد أن يشعر ويفكر كما نفضل نحن، ويكون مجرد منحرف إذا لم يفعل هذا بوضوح أكثر.

٥ - المجاملة واللين :

قد يحاول الحكم أن يكون مجاملاً وبذلك يتجنب ارتكاب الذنب. ويميل الشخص عند تقديره للآخرين - في موازين التقدير - وتقديره لنفسه

إلى إعطاء تقديرات عالية في السمات المرغوب فيها وتقديرات منخفضة في السمات المستهجنة .

٦ - الحذر غير المناسب :

قد يكون الحكم حذراً فيتجنب التقديرات المتطرفة حتى لو كانت أكثر دقة . وهكذا يفشل في توصيل أحكامه للآخرين .

٧ - النزعة المركزية في الحكم :

حينما يفتقر الشخص إلى معلومات كافية تساعد في الحكم على آخر فإن تقديراته تنحصر في الوسط متجنباً التطرف سواء نحو القطب الموجب أو القطب السالب ، بناء على إفتراض أن معظم الناس متوسطين ، وبذلك يتفادى الوقوع في الخطأ بقدر الإمكان .

٨ - الخطأ المنطقي :

يتكون لدى الحكم نتيجة الخبرة الشخصية مفاهيم تربط بين سمة وأخرى ، كأن تكون سمات معينة تتمشى مع مجموعة أخرى من السمات . وهكذا إذا أعطى الحكم تقديراً مرتفعاً لشخص ما في الغطرسة أو العدوان مثلاً فإنه سوف يكون أكثر ميلاً لإعطائه تقديراً مرتفعاً أيضاً في «الطاقة» التي تبدو في تصوره مرتبطة منطقياً بالسمة الأولى .

وأخيراً يبدو أن عملية «إدراك الأشخاص» - كما تقاس - يسيطر عليها ما يأتي به الحكم من عنده أكثر مما يأخذ أثناءها .

الفروق الجنسين:

في دراسة للعوامل التي تؤدي إلى التباين بين الأفراد في «دقة

الإدراك»، وجد «أوزيوبل» Ausubel و«شيف» Shiff (١٩٥٢) الفروق التالية بين الجنسين:

١ - الاتجاهات السوسيو مترية (إتجاهات التفضيل أو الاختيار والنبذ) في البنات أكثر وضوحاً في الإدراك لكل من الجنسين أكثر من الإتجاهات السوسيو مترية للبنين.

٢ - مقدرة البنين في إدراك الترتيب الهراركي (الهرمي) لمكانة الأفراد في جماعتهم من نفس الجنس أفضل منها في الجنس الآخر. أما البنات ففي إمكانهم إدراك هذا «الترتيب الهرمي للمكانة» في كل من الجنسين. وهكذا فإن البنات يتفوقن على البنين في إدراك ترتيب المكانة للأفراد من الجنس الآخر، وليس في نفس الجنس.

وفي تجربة أخرى وجد «دافيدسون» Davidson (١٩٦٠) أن البنات يدركن مشاعر مدرساتهن على أنها مرضية ولطيفة أكثر مما يدرك البنين.

ويقرر «ساربن» Sarbin أنه عند الحكم على آخرين تميل النساء إلى ذكر عدد أقل من صفات «المكانة» أو «الدور» (مثل: طيب، قائد) مما يفعل الرجال، ولكن يزداد ميلهن عن الرجال في النظر إلى السمات «الداخلية» (مثل: الغطرسة والتواضع الخ). وربما نتيجة لتجنب المتغيرات الخارجية والنمطية إستطاعت المرأة إكتساب درجة مرتفعة من الدقة أعلى من الرجال.

ويرى أولبورت G. Allport أن النساء تُفضل الرجال قليلاً في دقة أحكامهن على الأشخاص أي في فهم الآخرين. ولكنه لا يرجع ذلك لاستعداد فطري للحدس، وإنما لأن دور المرأة في المجتمع يتطلب

إثبات هذه الهبة وتميتها.

دقة الإدراك والتوافق:

يرى الكثير من الباحثين وجود ارتباط بين دقة الإدراك الاجتماعي والتكيف الاجتماعي أي التوافق مع الآخرين. بل إن الأفراد الذين يملكون تلك القدرة، لا يتكيفون أفضل من غيرهم فحسب بل هم أيضاً أكثر أمناً (ديموند Dymong ١٩٥٠).

كما وجد جيلفورد أن هناك ارتباطاً موجباً بين دقة الإدراك الاجتماعي والواقع، بينما كان الارتباط سالباً بين الإسقاط والواقع. ويبدو من بحثه أن هناك ترتيباً هيراركيًا في درجة الارتباط مع التوافق، كما يلي: الإسقاط أدناهم، يليه الواقع، ودقة الإدراك أعلاهم.

وأخيراً، إن عملية «إدراك الأشخاص» تشبه ولا تشبه جميع عمليات الإدراك الأخرى. الاختلاف الرئيسي هو أن الإنسان كشيء يختلف عن الأشياء الأخرى في أنه يؤثر فينا بأهدافه وبمقاصده نحونا والصعوبة النسبية في التنبؤ به.

وبوجه عام، إن فهمنا يكون أفضل للأشخاص الذين يماثلوننا، كأن يكونوا أعضاء من نفس نوع الجنس مثلاً أو الثقافة أو مستوى العمر، أو مثلنا في السمات والأذواق. ولكن الأشخاص المخالفون لنا في سمات متعددة قد يفهمون أيضاً بدرجة جيدة، حيث أن التضاد نوع من المماثلة. وكذلك طول الخبرة بمجموعات معينة قد يعوض النقص في المماثلة، مثل «الموهبة العريضة» في الحساسية للسلوك الفردي.

الفصل الثالث عشر

مقاييس الشخصية

مقاييس الشخصية

اختبارات الشخصية كثيرة ومتنوعة، منها ما يهدف إلى تقييم إجمالي للشخصية، ومنها ما يهدف إلى قياس سمات أو عوامل شخصية معينة. من الأولى، طريقة المقابلة interview وهي طريقة دقيقة تحتاج إلى سيكولوجي مدرب تدريباً كافياً تجنباً للذاتية في الأحكام، ومراعاة للموضوعية التي تكفل الحصول على البيانات الهامة بدقة. ومنها أيضاً، الاختبارات الإسقاطية، مثل اختبار بقع الحبر لرورشاخ، واختبار «تفهم الموضوع» المعروف باسم T.A.T^(١)، واختبار «علاقات الأشياء» O.R.T^(٢). ولكي تثمر نتائج هذه الاختبارات، يتحتم إجراؤها بواسطة سيكولوجي معد لذلك إعداد كاملاً، ويكون على دراية واسعة وبصيرة بأعماق النفس البشرية والدينامية السيكلوجية لسلوك الإنسان.

أما القسم الثاني من الاختبارات، فتختلف من حيث السمات الأساسية أو عوامل الشخصية التي يهدف إلى قياسها. وهي اختبارات مقننة^(٣) وأكثر موضوعية، وأسهل في التطبيق الفردي والجماعي، إلا أن

-
- (١) Thematic Apperception Test.
(٢) H. Phillipson. The Object Relations Technique. London.
(٣) من حيث معامل الصدق، ومعامل الثبات، وإعداد المعايير الدقيقة. وتحديد شروط تطبيقه وتصحيحه وتفسير الدرجات التي نحصل عليها. كل هذا يحدد مدى الاعتماد على تلك الاختبارات في التطبيق العملي، ويسهل إيجاد الفروق الفردية بين الأشخاص، ووضعهم بالنسبة للمجموع.

تفسير نتائجها تحتاج أيضاً إلى المتخصص المدرب في قياس الشخصية. تصمم هذه الاختبارات غالباً في صورة استفتاءات أو استبيانات questionnaires تتباين من حيث الزمن الذي تستغرقه في الأداء وفي التصحيح، ويتوقف هذا على الغرض الذي صممت من أجله والظروف التي ستطبق فيها. ومن أمثلتها، إستفتاء الشخصية للمدارس الثانوية^(١)، واستفتاء الشخصية للراشدين (كاتل)، ومقاييس مينسوتا للشخصية وغيرها.

وفيما يلي بعض مقاييس الشخصية المختلفة:

اختبار «كاتل» لشخصية الراشدين

هذا الاختبار من تأليف كاتل R.Cattell وتم إعداده بالعربية باسم «إستفتاء الشخصية للراشدين»^(٢) ويقس ١٦ عاملاً للشخصية^(٣) أي يقس أبعاداً مختلفة للشخصية كل منها ذات قطبين موجب وسالب مثل: «سيكلوثيميا - شيزوثيميا» أي «المشاركة الاجتماعية - التحفظ والعزلة» وهذا هو البعد الأول أو العامل الأول (١) «والاتزان الانفعالي - التقلب الانفعالي» (٢) «والسيطرة - الخضوع» (٣)، وهكذا. ويمكن رصد النتائج في هيئة رسم بياني يطلق عليه مبيان نفسي Psychograph أو بروفييل شخصية^(٤) كما في الشكل التالي.

(١) High School Personality Questionnaire.

(٢) اعداد د. سيد غنيم، د. عبدالسلام عبدالغفار.

(٣) Cattell, R.B. «Personality». London: Mc Graw Hill, 1950.

(٤) د. حلمي المليجي. سيكولوجية الابتكار، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٠، بيروت دار النهضة العربية.

بمد الشخصية (القطب الموجب)		الرسم البياني لمتوسط الدرجات المعيارية						بمد الشخصية (القطب السالب)	
		٨	٧	٦	٥	٤	٣		
		المتوسط							
A	ودود، يشارك اجتماعياً	متحفظ، بارد	١
B	أكثر ذكاء	أقل ذكاء	٢
C	متزن انفعالياً	متقلب انفعالياً	٣
E	مسيطر	مستكين	٤
F	مرح، متحمس	جاد، صامت	٥
G	مثابر مواظب	لا يعتمد عليه	٦
H	مغامر، جريء اجتماعياً	خجول، محجوم	٧
I	رقيق القلب حساس	فظ القلب، لا هلدر	٨
L	مرتاب، شك	واثق من غيره	٩
M	خيالي، بوهيمي	عملي، إنشائي	١٠
N	داهية، سوفسطائي	غير ملتوي (دعري)، طبيعي	١١
O	متزعج، قلق	واثق من نفسه، دمث	١٢
Q ₁	تجريبي، حر التفكير	محافظ، حذر	١٣
Q ₂	مكتفي ذاتياً	تقليدي، تابع، مقلد	١٤
Q ₃	مضبوط، منظم	عرضي، تابع لدوافعه الظنرية	١٥
Q ₄	متوتر، محبط	مسترخي، هادئ	١٦

بروفيل إستفتاء الشخصية للراشدين — تأليف كاتل، Cattell

مقياس مينسوتا المتعدد الأوجه للشخصية (MMPI)

مقياس مينسوتا المتعدد الأوجه للشخصية MMPI^(١)، صمم أساساً لقياس مدى التشابه بين هؤلاء الذين يجيبون على الإختبار وبعض فئات تشخيصية معينة بالمستشفيات العقلية. ويشمل هذه الإختبار مجموعة من المقاييس لعدة انحرافات عقلية ونفسية هي:

توهم المرض: أي اهتمام الفرد المفرط المتواصل بحالته الجسمية أو صحته الانفعالية، ويصحب ذلك شكوى الفرد من آلام جسمية متعددة دون وجود دليل عضوي واضح.

الإنقباض (الهبوط): وهو حزن أو كآبة مرضية، وهمة مثبطة، ومزاج سوداوي. ويختلف هذا المرض عن الحزن العادي الذي يتميز بالواقعية وتناسبه مع قيمة ما فقده الشخص.

الهستيريا: مرض نفسي ينتج عن صراع إنفعالي، ويتميز عادة بنقص النضج، والاندفاع، وجذب الإنتباه، والإعتماد على الغير، واستخدام الحيل الدفاعية الخاصة بالتحويل والتفكك. ومن الناحية

(١) Minnesota Multiphasic Personality Inventory هذا الإختبار من تأليف هاناواي Hathaway وماك كينلي Mckinley وقد أعدّه للبرية د. عطية محمود هنا، د. عماد الدين اسماعيل، ود. لويس كامل.

الكلاسيكية يتضح بأعراض جسمية مؤثرة تشمل العضلات الإرادية (مثل الشلل الهستيرى) أو أعضاء حواس معينة (مثل العمى الهستيرى).

الإنحراف السيكوباتي: الشخصية السيكوباتية يسيطر عليها سلوك لا أخلاقي أو مضاد للمجتمع، ويتميز بالإندفاع المتأثر بنزوات الفرد، الذي لا يراعي المسؤولية في أفعاله التي تشبع اهتماماته المباشرة والنرجسية دون اعتبار للنتائج الاجتماعية الواضحة والمتضمنة التي يصاحبها دليل خارجي ضئيل على القلق أو الذنب.

البارانويا: اضطراب عقلي نادر، يتطور تدريجياً حتى يصير مزماً ويتميز بنظام معقد يبدو داخلياً منطقياً، ويتضمن هذات الإضطهاد (أو) العظمة. وهذا النظام قائم بذاته، لا يتدخل في بقية الشخصية التي تظل ظاهرياً متماسكة.

الفصام (الشيذوفرنيا): اضطراب إنفعالي عنيف يتميز بتقهقر ملحوظ عن الواقع، مصحوباً بتكوين هذيان، وهلوسات، وعدم توافق وجداني، وسلوك نكوصي. وكان يطلق عليه قديماً خَبَل أو جنون المراهقة.

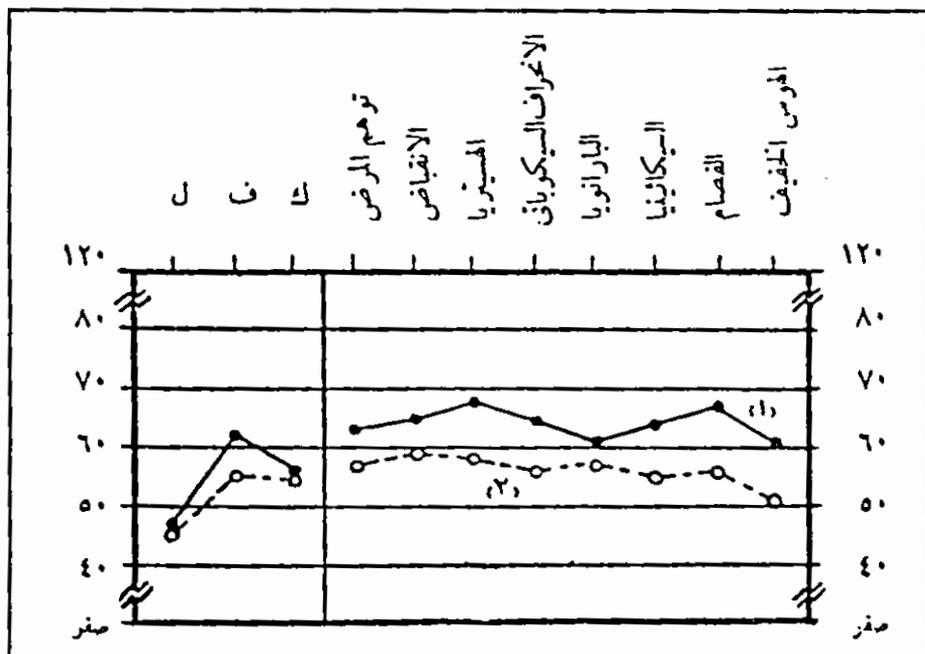
أما لفظ «الفصامي» فهو صفة لبعض السمات مثل: الخجل، والتأمل الباطني، والإنطواء.

الهوس الخفيف: صورة مخففة من نشاط الهوس.

(أما نشاط الهوس العنيف فهو ردود أفعال جنونية دورية. وهي مجموعة من الاضطرابات العقلية تتميز بذبذبات واضحة في المزاج وتندرج من مزاج عادي إلى طرب أو انقباض أو تبادل بينهما. وهو يشير

إلى ميل للغفران والصفح ثم المعاودة مرة أخرى. ويعتبر هذا السلوك مرض عقلي، ولكنه قد يوجد أيضاً في صورة مخففة).

ويقيس الاختبار أيضاً مجموعة أخرى من السمات والميول مثل الذكورة والأنوثة، والإنطواء الاجتماعي.



مقارنة بين الكتاب المبدعون والكتاب العاديين في اختبار مينسوتا للشخصية MMPI

(2) الكتاب العاديون

(1) الكتاب المبدعون

إختبار كاليفورنيا للشخصية

استخدم «بارون» Barron اختبار كاليفورنيا السيكولوجي^(١) من أجل الكشف عن مميزات إيجابية أخرى في الشخصية. ويشبه هذا الاختبار من حيث الشكل اختبار مينسوتا، ولكنه يختلف عنه في أنه يهدف إلى قياس سمات ترتبط بالكفاءة الشخصية أكثر من قياس أمراض نفسية. فهو يقيس سمات متعددة مثل: السيطرة الشخصية، واليقظة الاجتماعية، والدافع للتحصيل خلال الإستقلال في العمل، والكفاءة العقلية، وغيرها من السمات.

ونتيجة تطبيق هذا الاختبار على عينة الكتاب (المبدعين والعاديين) وعامة الناس، ظهر من المبيان النفسي^(٢) الذي يمثل متوسط درجات كل مجموعة أن كلا المجموعتين تفوقان عامة الناس في السمات التالية:

١ - اليقظة الاجتماعية.

٢ - قبول الذات.

٣ - القدرة على تكوين مكانة اجتماعية.

٤ - العقلية السيكولوجية.

ولكنهم يحصلون على تقديرات أقل فيما يلي:

١ - التحصيل خلال الإتساق مع الجماعة Conformity .

٢ - التمثيل الاجتماعي^(١) .

ومثل هذا الأداء في إطارنا السابق يجوز تفسيره كمقاومة لفرض الثقافة عليهم، لأن ما يسمى بعملية «التمثيل الاجتماعي» أو «التشكيل الاجتماعي» يراها الفرد المبتدع غالباً كمطالبة بالتضحية بفرديته، وهو ما يحدث فعلاً باستمرار.

كما يشير الاختبار أيضاً إلى أن «قوة الأنا» في الكتاب المبدعين أعظم بكثير منها في الناس العاديين.

(١) Socialization يطلق عليه البعض الشكل الاجتماعي أو التطبع الاجتماعي.

إختبار الميول المهنية للرجال^(١)

الاختبار من تصميم إدوارد سترونج Strong^(٢)، ترجمة وأعدده بالعربية د. عطية محمود هنا. ويهدف الاختبار إلى الكشف عن الميول والاهتمامات المهنية المختلفة ومستواها، بالإضافة إلى قياس النضج المهني. والميل المهني، الخاص بالذكر والأنوثة. وهو من أوسع الاختبارات إنتشاراً في ميدان التوجيه المهني والتربوي والإرشاد النفسي.

إختبار «كودر» للميول المهنية

يهدف اختبار كودر Kuder^(٣) إلى قياس الميول المهنية كما تتمثل في استجابات تفضيل الأفراد لأساليب معينة من النشاط. ويتكون من وحدات ثلاث، على الشخص أن ينتقي أكثرها تفضيلاً وأقلها تفضيلاً. وهو يوزع الميول على عشرة ميادين مهنية أساسية هي: الميكانيكا،

Strong's Vocational Interest Blank. (١)

Strong, E.K., Vocational Interest Blank. Stanford, Cal.: Stanford University Press, 1927. (٢)

Kuder, G.F., Kuder Preference Record. Chicago: Science Research Associates, 1942. (٣)

«إختبار كودر للميول المهنية» أعدده بالعربية د. أحمد زكي صالح.

الحساب، البحث العلمي، الجدل الإقناعي، الفن، الأدب، الموسيقى، الخدمة الاجتماعية، الأعمال الكتابية أو الإدارية، والميل للعمل في الخلاء. ويتضمن الاختبار مقياساً للصدق لقياس مدى صدق المختبر في استجاباته. وتسجل النتائج في مبيان نفسي أي بطاقة تخطيط للميول المهنية، إحداهما للبينين والأخرى للبنات.

الطرق الإسقاطية

من أشهر هذه الطرق الإسقاطية وأكثرها تطبيقاً في الميدان الإكلينيكي وتقييم الشخصية اختبار رورشاخ Rorschach أو اختبار بقع الحبر، واختبار تفهم الموضوع المعروف باسم T.A.T. وتعتمد هذه الاختبارات على تنوع وتباين إدراكات الأشخاص لنفس المثير أو المنبه، وخاصة إذا كان ذات شكل غير واضح أو غير محدد. وذلك لأن الغموض أو عدم التحديد يساعد على التأويل والتفسير في اتجاهات مختلفة هي في الواقع انعكاس لشخصية الفرد ونشاطه العقلي. والاختبارات الإسقاطية تعتمد غالباً على الجوانب الوصفية، أو النوعية لاستجابات الشخص، وبالتالي يصعب تقييم نتائجها كمياً إلا في نطاق محدود.

إختبار رورشاخ (*)

يتكون الاختبار من عشرة لوحات بيضاء ذات مقاييس معينة، بكل منها بقعة حبر. بعض هذه البقع مكونة من الأسود والرمادي والأبيض،

(*) Klopfer, B. and Davidson, H. H., The Rorschach Technique. New York: Harcourt, Brace & World, 1954

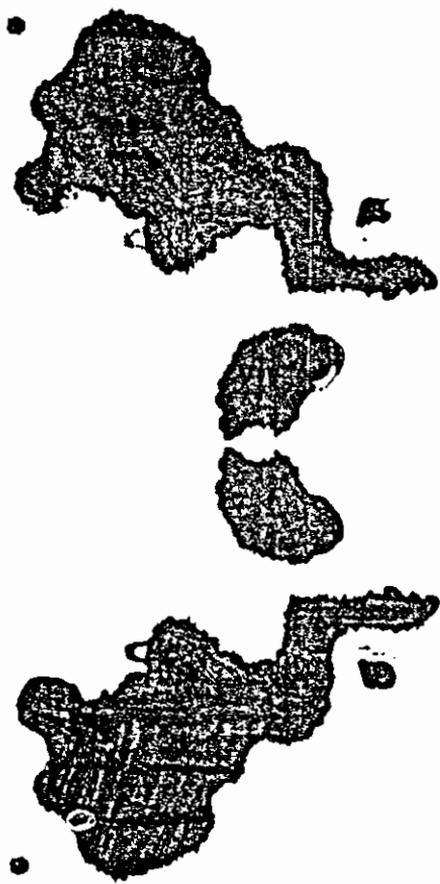
والبعض الآخر ملون. وتقدم اللوحات للمفحوص واحدة بعد الأخرى، ويطلب منه أن يذكر ماذا يراه في كل منها أو فيما تجعله يفكر. ويشجعه المختبر على إنتاج إرتباطات كثيرة على قدر الامكان، وأن يدير اللوحات إذا شاء ذلك. ويدون المختبر استجابات الشخص لبقعة الحبر باعتبارها مشير أو منبه في سجل خاص، بالاضافة إلى الملاحظات التي توضح سلوك المفحوص أثناء الاختبار.

ويراعى في تقدير الاستجابات عدة اعتبارات، منها:

- ١ - أسلوب الاستجابة: هل الاستجابة كلية أم جزئية؟ أي هل يستجيب الشخص للبقعة كلها أم لجزء منها أم لتفاصيل دقيقة؟
- ٢ - محددات الاستجابة: إذا كانت الاستجابة تصف حركة أو شكلاً أو تركيباً أو عمقاً أو لوناً... الخ.
- ٣ - مضمون الاستجابة: ماذا يرى الشخص؟ إنسان، حيوان، نبات، أشياء... الخ.
- ٤ - شيوع الاستجابة أو ندرتها.

وتفسيرات السيكولوجي للإختبار تبني أساساً على التقديرات المختلفة للاستجابات والعلاقات المتبادلة بينها، فتعطي صورة إجمالية للحياة العقلية والوجدانية للفرد، أي توضح الديناميكية السيكولوجية للشخصية في آدائها لوظيفتها؟.

إن استخدام الطرق الاسقاطية، وخاصة اختبارات بقع الحبر، في تقييم الطاقات الإبداعية اتجاه حديث نسبياً. وقد يرجع ذلك إلى



بقعة حجر مشابهة لبقع الحجر في إختبار رورشاخ

استخدام اختبار رورشاخ Rorschach بكثرة في تشخيص الحالات المرضية بالذات، وبالتالي نواحي العجز وأعراض الاضطراب في وظيفة الشخصية، مما أدى إلى تزايد الاهتمام بتفسيرات الجوانب السالبة للشخصية مثل سوء التوافق، أو الأمراض النفسية والعقلية. إلا أنه لما كان اختبار رورشاخ يلقي نظرة كلية على الشخص في حالة النشاط، فكأنه - ببساطة - منظار يلبسه الملاحظ إذا كانت القوى والإمكانيات لا ترى بنفس الوضوح الذي ترى به نواحي الضعف والعجز.

والانتباه حالياً موجه إلى مصدرين للقوة:

(أ) الانتباه إلى تقدير الطاقة العقلية وكفاءتها.

(ب) والانتباه إلى تقييم الضبط (أي القدرة على التحكم).

ومع ذلك، فإن هذين الجانبين يمكن اعتبارهما عوامل خلفية، لا تشمل كل الجوانب الإيجابية للصحة العقلية. فالوظائف العقلية أداة، أما الضبط فهو حالة ضرورية للتوافق السوي. وفي اختبار رورشاخ، توصف هذه الجوانب الإيجابية بالإبداع أو الابتكار، الذي تبدو دلالاته في استجابات المختبر لبقع الحبر.

وهناك جانبان رئيسيان للإبداع: جانب يشير إلى تحقيق «المصادر الإبداعية الداخلية» والآخر يشير إلى «علاقات الأشياء».

فقد تشير استجابات الفرد الموهوب إلى الاستخدام الإنشائي للمنايع الخيالية للحصول على توافق إبداعي، أو إلى القدرة على إطلاق

الطاقات العقلية الكامنة نحو إنجاز ابداعي، ويبدو هذا في الإستخدام المرن والبنائي للتخيل عند تداول إمكانيات الموقف الواقعي لحل المشكلات والوصول إلى إرضاء أكثر للحاجات.

وحيث أن الابتكارية التي تم نموها أو التنظيم الانشائي (المنتج) يمثلان مثلاً أعلى نسعى لتحقيقه، فالتقييم يختص بأمور تقترب بكثير أو بقليل من المثل الأعلى، أكثر من اهتمامه بوجود أو إختفاء الابتكارية. ومن ثم، فإن تقييم الابتكارية لا يشمل فحسب فحص سجل استجابات الشخص بحثاً عن علامات الإبتكارية التي نمت فعلاً، ولكنه يتضمن أيضاً الكشف عن علامات الابتكارية الكامنة التي قد تظهر فيما بعد. مع أن هذا قد لا يتحقق إلا تحت ظروف مواتية جداً.

والاستخدام البنائي للمصادر الخيالية قد تؤدي أيضاً - مثالياً - إلى نمو تنظيم ذي مدى طويل مستمد من نظام للقيم، بواسطته يستطيع الشخص لا التحكم في سلوكه فحسب وتأجيل لذاته ومسراته بل يوجه أيضاً إشباعاته. كما يؤدي هذا الاستخدام الإنشائي إلى تكامل دوافع السلوك مع ذلك النظام من القيم، حتى يمكن تواجدهما في آن واحد دون حدوث مشاعر ذنب أو إحباط لا مبرر لها، وهكذا، تساعد على تحرير الطاقات العقلية من مكنها التي قد تحقق إنجازات إبداعية تخدم تلك القيم المرتبطة بتحقيق الذات، كما تشبع في نفس الوقت أهم الحاجات الأساسية لدى الفرد.

واختبار رورشاخ في الأصل اختبار فردي، إلا أنه يستخدم حالياً في بعض الأحيان كاختبار جماعي، حيث تعرض اللوحات على شاشة

أمام مجموعة من الأفراد، ويسجل كل فرد استجاباته على نموذج خاص. إلا أن هذا التطبيق له بعض التحفظات لاحتمال وجود بعض العيوب التي ينبغي تلافيتها.

الصدق والثبات في اختبارات بقع الحبر

إن اختبارات بقع الحبر عامة قد أثبتت نجاحاً كأدوات إكلينيكية. وقد أجريت مئات الدراسات على اختبار رورشاخ، كل منها تعالج جزءاً واحداً من نظرية رورشاخ. ويبدو من إتجاه النتائج (بنتون Benton، ١٩٥٠؛ وهولتزمان Holtzman، ١٩٥٤؛ وساراسون Sarason، ١٩٥٤) أن تفسيرات رورشاخ لها قيمة أكيدة من حيث الصدق تفوق المصادفة. ومع ذلك، فإنه يجب أن نذكر أن تفسيرات بقع الحبر تعتمد في النهاية على المعرفة التجريبية لدى الممتحن بديناميكية السلوك الإنساني، وعلى النتائج النهائية التي نحصل عليها بالاستنتاج والمماثلة معتمدين في ذلك على خبرة الممتحن، وأصالته، وخصوبة إستبصاره، وحساسيته العامة.

أما دراسات الثبات والتأثيرات الناجمة عن إعادة اجراء الاختبار تحت ظروف متباينة، تدل على أن الوظائف المتعددة التي طرقها تكنيك رورشاخ، ذات درجة عالية من الثبات (إلا أن بعضها يبدو أكثر ثباتاً من البعض الآخر). وبوجه خاص، فإن أصالة الاستجابة أو شيوعها من أكثر التقديرات ثباتاً والتي يمكن مقارنتها كميًا مع نتائج أدوات القياس النفسي الأخرى. كما أن احتمال تأثيرها بالممتحنين وتقديراتهم ضئيل جداً.

إختبار قتهم الموضوع T.A.T^(١)

وضع هذا الاختبار «مورجان» و «موراي»^(٢) في سلسلة مقننة مكونة من ثلاثين صورة فوتوغرافية وكل الصور غامضة غير محددة كما في اختبار رورشاخ، إلا أن المثير في هذه الحالة تمثله كائنات بشرية في أوضاع وعلاقات متعددة تسمح بالاختلاف في إدراكها أو التباين في تفسيرها. ويطلب من المفحوص أن يكتب قصة عن الأشخاص الموجودين في الصور المقدمة إليه، ويقال له إن الغرض من هذا هو اختبار للتحليل الإبداعي، وعليه أن يوضح في القصة الحوادث التي دعت إلى الموقف الراهن في الصورة، مع وصف مشاعر وأفكار شخصيات القصة وعلاقاتهم بعضهم ببعض، وأن يتنبأ بنتيجة تلك الأحداث. والصور المكونة للاختبار عادة تكون غامضة بدرجة كافية تسمح باطلاق حرية الخيال مما يعطي فرصة لتنوع الأحداث والموضوعات التي يتخيلها الفرد. ويلاحظ أن بعض الصور خاصة بالكبار وبعضها خاص بالصغار، كما أن بعضها خاص بالذكور وغيرها خاص بالإناث أو كلاهما معاً.

وكل هذه الصور تتضمن شخصاً أو أكثر من نفس جنس المفحوص

(١) Thematic Apperception Test

(٢) Morgan, C.D. and Murray, H.A., «A Method For investigating Fantasies: The Thematic Apperception Test». USA: Harvard University Press, 1943.

Murray, H.A., et al. Explorations in Personality. London: Wiley, 1962.

ونفس عمره الزمني تقريباً أو أصغر قليلاً، حتى يمكنه بسهولة أن يسقط حاجاته وعواطفه الشخصية فضلاً عن إحباطاته وصراعاته على بطل القصة التي تخيلها.

وأخيراً، يقوم السيكولوجي المدرب على هذا الاختبار بتحليل موضوع القصة وتفسيرها وفق معايير معينة، ويستخلص من تلك القصص دوافع الشخص وانفعالاته واهتماماته وعلاقاته ومشكلاته... إلخ. وهكذا يستخدم الاختبار كطريقة لإثارة وتسجيل وتحليل تخيلات وأوهام الفرد.

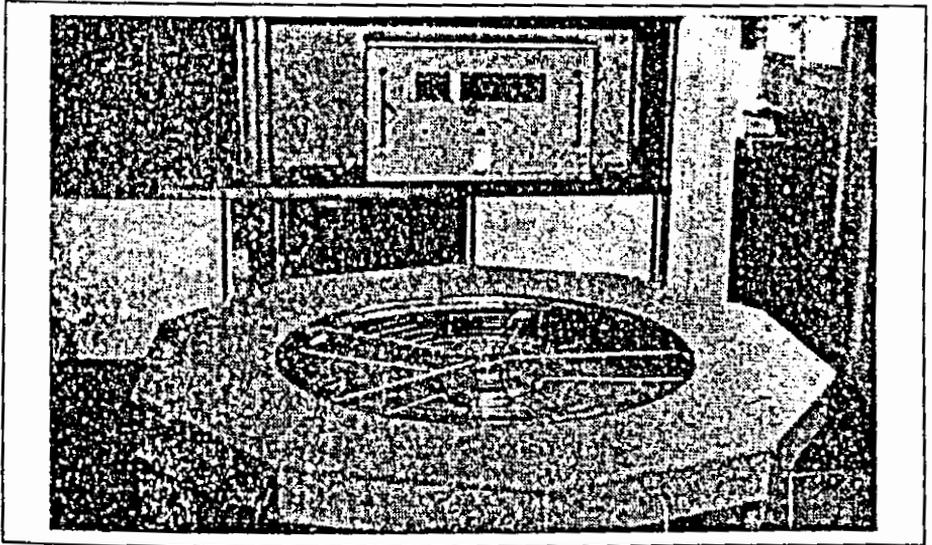


صورة فوتوغرافية على غرار صور اختبار T.A.T. تسمح للتباين في تفسير الموقف الغامض وفي تخيل موضوعات وأحداث متنوعة.

قياس تأثير الأفراد على أداء فريق العمل

الجهاز المستخدم:

منضدة «لامبرت» Lambert^(١)، وقد صممها الأستاذ لامبرت لقياس تأثير أي عضو في فريق العمل على أداء الجماعة خلال إنجاز عمل يدخل فيه عنصر التنافس.



منضدة لامبرت

(١) يسمى الجهاز أيضاً سيبرنومتر Cybernometer أي مقياس الإتصال والضبط بين أفراد الجماعة.

طريقة العمل:

١ - يجلس خمسة أشخاص حول منضدة شبه دائرية قطرها متراً واحداً، ويحاول كل منهم تحريك قرص سهل الحركة بواسطة حبل مدلى من المنضدة، بحيث يكون ذلك بأسرع ما يمكن وبأقل عدد من الأخطاء خلال المتاهة. ولكن الحركة الصحيحة للقرص تتبع محصلة العمل الجماعي لأفراد الجماعة. ولما كانت إمكانيات الانتقال (في المتاهة) متكافئة، فإن مثل هذا التأزر (التعاون) قد ينشأ بطرق عديدة.

وملحق بالجهاز أداة كهربية تسجل أوتوماتيكياً الأخطاء من حيث العدد والفترة الزمنية للخطأ عند كل تلامس خاطيء لرأس القرص المتحرك (أي المحور الرأسي للقرص) بجدران المتاهة، ويشير إلى حدوث الخطأ ظهور ضوء كهربى على رأس القرص.

٢ - عند بداية التجربة يكون القرص في مركز المتاهة، وعند كل مدخل للمتاهة يمكن جذب الحبل يميناً أو يساراً.

٣ - حينما يصل القرص إلى أحد الأهداف (أ، ب، ج، د، هـ) الموضوعه في أماكن متماثلة، تسمع إشارة صوتية.

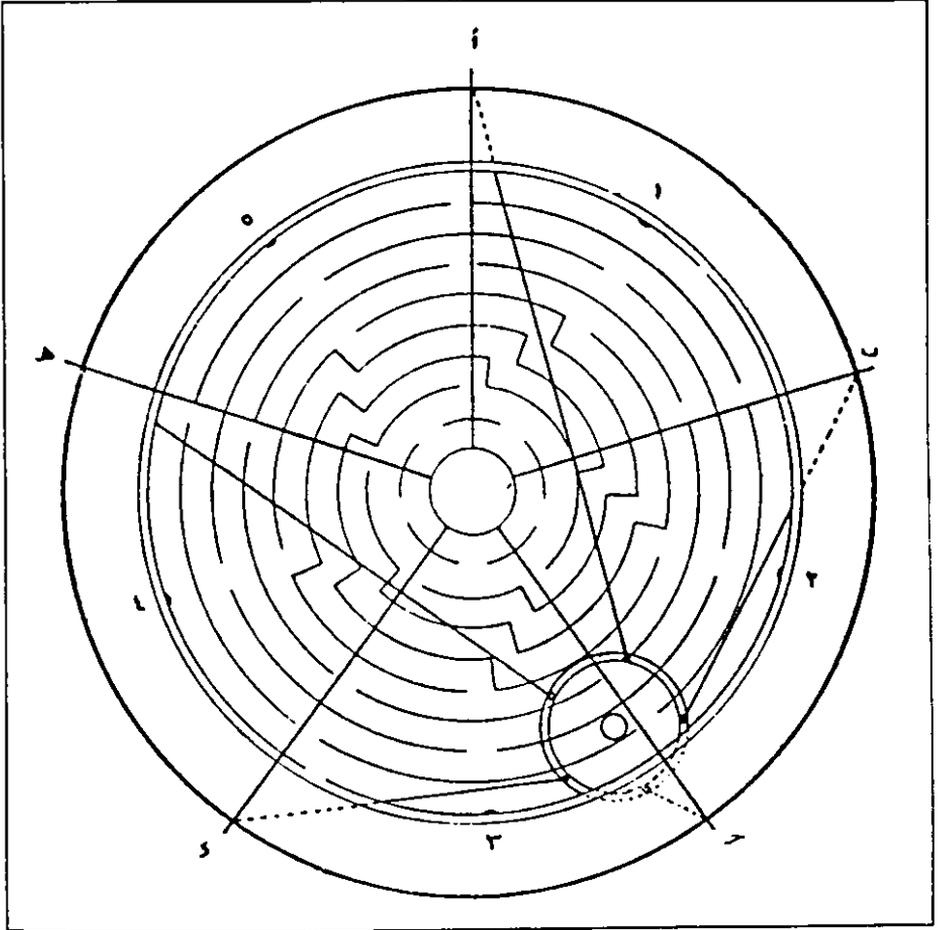
فوائد الجهاز:

- ١ - النجاح في هذا العمل يشير إلى السرعة والدقة في الأداء.
- ٢ - يشير إلى العديد من «التكوينات المؤثرة»، حيث إن كل شخص قادر على التأثير بقدر ما في عمل الجماعة سواء لفظياً أو يدوياً.
- ٣ - قوة التأثير في التقرير والتنفيذ التي أشار إليها «كاتل» R.Cattell تظهر

جيداً في اختيار الفرد للإتجاه، وفي السرعة والدقة، وتآزر الجهود
المبدولة في الجذب أو في الاستعدادات الفردية الخاصة.

٤ - يشمل الجهاز أداة حسابية الكترونية لحساب طاقة الجذب الميكانيكية
التي استخدمها كل فرد فعلاً خلال أداء العمل.

٥ - بهذه الطريقة نستطيع الحصول على تقدير لمدى مساهمة الفرد في



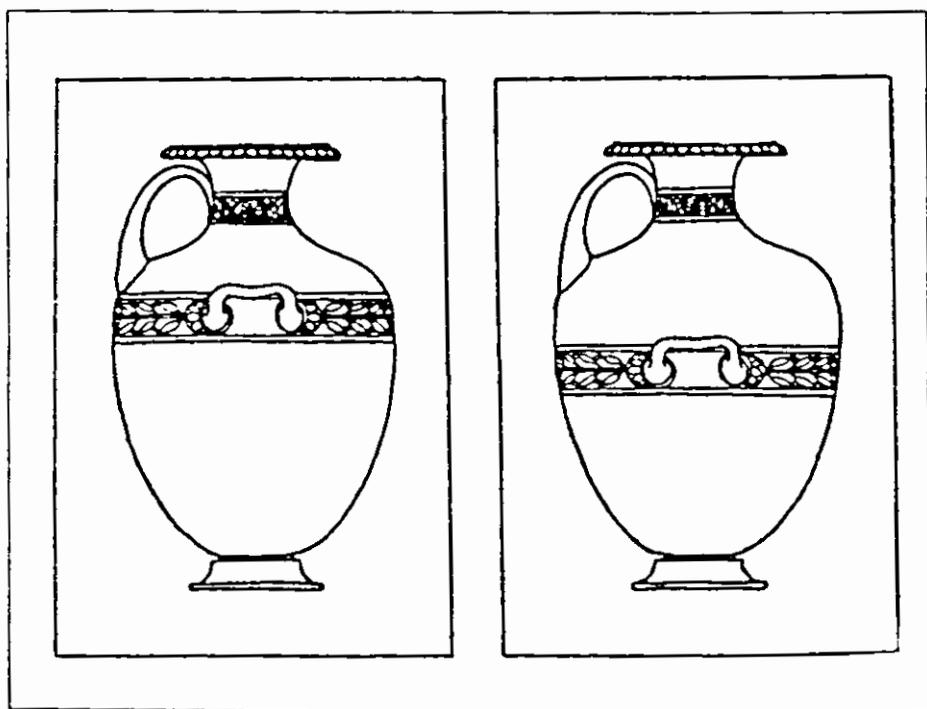
مناهة لامبرت

عمل الجماعة، وتقدير للسلوك الاقتصادي للجماعة، حيث تعطى في كل حالة تعليمات تؤكد خفض الطاقة الإستهلاكية الإجمالية.

٦ - تقييم معدل التنافس بداخل الجماعة حينما يدخله المختبر في التجربة تحت تأثير الإغراء للأشخاص تحت الاختبار.

إختبار «ماير» للتذوق الجمالي والإستعداد الفني

يستخدم هذا الاختبار في الأعمال والحرف التي تحتاج إلى قدرات ابتكارية وتذوق جمالي مثل تصميم النماذج والحفر وأشغال السجاجيد وصناعة الأثاث وغيرها. ويتكون إختبار «ماير» Meier من مائة زوج من



صورتان متشابهتان (تقريباً) في إختبار «ماير» Meier

الصور، كل زوج منها متشابهان تقريباً، لا يختلفان إلا في ناحية واحدة فقط. والمطلوب من المختبر أن يحدد وجه الاختلاف في كل حالة. عليه أن يقارن بين الصورتين في كل زوج، ويلاحظ الشيء المختلف، ثم يقرر أي الصورتين أفضل، اليميني أم اليسرى (أي، أيهما تشعره بارتياح أو إرضاء أكثر). ويصحح الاختبار حسب نموذج خاص.

ويفترض الاختبار أن احتمال نجاح الفرد في الفنون يعتمد على وجود ستة سمات أو قدرات متداخلة لدى الفرد، وبالتالي فإن هذا يتميز ببساطة بتكوين نفسي حركي خاص. وفيما يلي العوامل الستة التي إفترضها الاختبار:

١ - المهارة اليدوية: تعتبر المهارة اليدوية العامل الجوهرى والأساسى بين العوامل جميعاً. وهي قدرة الرجل الحرفى. مثل هذا الشخص يبدي منذ طفولته المبكرة اهتماماً وسهولة في أداء أشغال وأنشطة تتطلب تآزر حركة اليد والبصر، مثل: الرسم، وعمل النماذج، والحفر، والغزل والنسيج... إلخ.

٢ - المثابرة الإرادية: أي العزم والتصميم، وهي رغبة نابغة من الذات للقيام بتنفيذ خطة أو مجهود مكث يؤدي إلى انجاز يرضى المثل الأعلى لعمل الصانع الماهر. هذه السمة موجودة لدى الفنانين الكبار بدرجة عالية، وتميز بين الفنان الحقيقي من هاوي الفن.

٣ - الذكاء الجمالى aesthetic intelligence يشير إلى تلك القطاعات من الذكاء العام التي تسمح للطراز الفنى من الأشخاص بأن يكتسب من خبراته الماضىة. فالعمل الإبداعى ينتج - عادة - عن تنظيم ذكى لمادة خبرة حية.

4) (هذا مجرد افتراض، فقد ثبت من تطبيقات الإختبار نفسه، أنه لا يوجد أي إرتباط موجب مرتفع ذي دلالة بينه وبين الذكاء، ومع ذلك ينبغي ألا نفترض أن حالات الذكاء المرتفع لا تصاحب القدرة الفنية الرفيعة).

4 - سهولة الإدراك: يرمز هذا الإصطلاح إلى السهولة والاستعداد للذين يستجيب بهما الفرد للخبرة ويحتفظ بها، وخاصة نوع الخبرة المرئية. فالأسلوب الفني في الأداء يحتاج إلى مستوى مناسب من الإدراك البصري. حيث يستلزم الانتباه للتفاصيل، والذي يؤدي إلى تكوين عادات في الملاحظة تميز مظاهر الكفاءة والإكمال عند فحص أي شيء موضع الاهتمام. مثل هذه الخبرات تخدم الفنان في أن يجعل من خبرته المناسبة بالمادة أساساً لعمله الإبداعي. الفنان الناضج أقرب إلى رؤية شخصية الفرد الذي يتحدث إليه بعمق أكثر من غيره، وأن يرى من البناء الأساسي للمنظر الطبيعي الذي يصوره أكثر مما يراه الإنسان العادي. وينسب هذا جزئياً إلى الإتجاه الحرفي، وجزئياً إلى عادات الملاحظة المكتسبة في السنوات المبكرة عند فحص كل شيء موضع الاهتمام بعناية تفوق القدر المعتاد.

5 - التخيل الإبداعي: إن وجود طبقة سفلية نامية للخبرة، تمكن النمط الفني من الأشخاص أن يتصور مباشرة وبسهولة أكثر طرق تنظيم الخبرة مع ما يرتبط بها من عناصر في تكوين ذات صبغة جمالية. هذا في الواقع، هو طبيعة «التخيل الإبداعي». فهو ببساطة، سهولة تنظيم المادة في تصورات وتكوينات جمالية. أي أن التخيل

الابداعي هو العملية العقلية للتعرف على أوجه التجانس بين المواد الداخلة في خبرة الفرد، ثم وضعها في شكل أو إطار ما يكون تعبيراً مناسباً بطرق واضحة للغير. ويحمل هذا الشكل أو الإطار صبغة جمالية حينما تنظم الأجزاء حسب أسس (أو قواعد) عالمية موجودة في جميع الأعمال الفنية الجيدة. إن الاستبصار بهذه العلاقات هو وظيفة «الحكم الجمالي».

٦ - الحكم الجمالي: يمكن الحكم على أي عمل فني على أساس كيفية التنظيم الذكي لمادة موضوع هام، خلال القدرة على تحصيل القواعد العالمية والأداء الرفيع لوظيفتها. هذه القدرة على معرفة الدور الذي يؤديه التوازن (توازن التوترات والأحجام والنسب التي لا يخفق في الاستجابة لها أي فرد يتمتع بحكم جمالي جيد)، والايقاع، أو أي من الصفات الأخرى أساسية في جميع الفنون.

وكلما زادت ممارسة الفرد لعملية التنظيم زادت الفرص التي يرى فيها متى ينجح ومتى يفشل، ومن ثم تكون أحكامه الفنية في تدريب متواصل. فإذا كان لديه ذكاء للإفادة من خبراته، فإنها تزداد رقياً ورفعة. وهكذا فإن الحكم الجمالي يشير إلى ذخيرة الفرد الوراثة وإلى النمو (التطور).

إن مادة اختبار «ماير» مكونة من أعمال فنية استحقت التقدير فعلاً. إن كل صورة في الاختبار تتضمن قاعدة (مبدأ) أو بعض القواعد. هذه القاعدة روعى عزلها في كل عمل، من أجل تقديم صورتين للمختبر متكافئتين أو متماثلتين إلى حد بعيد، بيد أن أحدهما فقط هي التي تبدو فيها وظيفة هذه القاعدة أو المبدأ. أي أن إحدى الصورتين تفضل

الأخرى بكثير أو قليل . والمشكلة هنا، هو أن يميز المختبر الصورة التي تزدى فيها القاعدة وظيفتها في تكوين قيمة جمالية أعظم .

صدق وثبات الاختبار:

يعتمد اختبار ماير للحكم الفني على صفات عامة عالمية يمكن الإحساس بها أكثر من الإستجابة لها منطقياً . إن طفل عمره ١٢ سنة لم يتدرب على الأعمال الفنية قد يحصل في هذا الاختبار على درجة عالية كشخص راشد نال أفضل تدريب . هذه الحقيقة تدل بقوة على أن الاختبار أساساً هو اختبار قدرة طبيعية (إستعداد) أكثر منه اختبار تعلم أو نضج . الإختبار، إذن، اختبار تذوق، كما أنه إختبار قدره . السابق، قد يدل على ما هو مفيد في المعتاد للحكم على مواقف متنوعة ضخمة العدد، والوظيفة الأخيرة تشير إلى أحد العوامل الستة التي عند تأديتها الكاملة لوظيفتها تقيس الإستعداد الفني لخلق أعمال فنية .

قياس الاتجاهات والقيم

يكتسب الفرد أثناء نموه وترقيه الكثير من الخبرات التي تكون لديه بعض المعتقدات نحو الأشياء أو المواقف أو الأشخاص أو الجماعات ، فيتولد لديه شعور أو ميل لتأييدها أو معارضها، وتتنظم هذه المعتقدات في تنظيم ثابت نسبياً يطلق عليه «الاتجاه»^(١) . الإتجاه إذن هو تنظيم للمعتقدات التي تهيب الفرد لاختبار الإستجابة المفضلة لديه . ومن

(١) Attitude .

الطبيعي قد تتعدد ميول أو اتجاهات الفرد نحو موضوعات كثيرة وطرز مختلفة من الناس. مثال ذلك الاتجاهات التي تتكون نحو المدرسة أو المهنة أو رياضة ما أو جنسيه معينة أو نحو أحد المدرسين أو زملاء... إلخ.

وهكذا، يعرف روكياك M. Rokeach (١٩٦٦) الاتجاه بأنه «تنظيم ثابت نسبياً يتألف من بعض المعتقدات حول شيء أو موقف ويوجه الشخص نحو استجابة ما يفضلها عن غيرها». أما البورت G.Allport فإنه يعرف الاتجاه بأنه «حالة من الاستعداد أو التأهب العصبي النفسي تنتظم من خلاله خبرة الشخص، وتكون ذات تأثير موجه أو ديناميكي على إستجابة الفرد لجميع الموضوعات والمواقف التي تستثير هذه الاستجابة».

يتبين مما سبق أن الاتجاهات تتكون من ثلاثة مكونات رئيسية هي:
(أ) عنصر معرفي، ويشير إلى اعتقاد الفرد أو عدم اعتقاده في أمرٍ ما.

(ب) عنصر وجداني، ويتعلق بالحب أو الكراهية لشخص ما مثلاً.

(ج) عنصر الفعل، وهو الذي يجسد الاستعداد للاستجابة.

والاتجاهات لا تقوم بمفردها، وإنما تتجمع في تنظيمات، ويتمركز كل تجمع من الاتجاهات حول قيمة ما. أي أن «القيمة»^(١) يمكن اعتبارها جوهرأ أو مركزأ لتجمع من الاتجاهات. والقيمة هي عقيدة

(١) Value.

يفضل المرء أن يسلك بناء عليها، بمعنى أنها توجه سلوك المرء بناء على رغبته. وهي لهذا معرفية حركية فضلاً عن أنها ميل عميق مناسب.

الاتجاهات والقيم تنشأ نتيجة التأثير الاجتماعي في الفرد، فهي تكتسب نتيجة التفاعل الاجتماعي في الماضي، وتميل للإستمرار، فتتجمع في إطار مناسب بواسطة الاتجاهات الحالية للفرد. بمعنى أنها تنشأ نتيجة التعلم، فهي تجمع خبرات الفرد السابقة.

وقد يؤدي التعلم بدوره إلى إعادة تشكيل تلك الحالات. أي أنها تنشأ نتيجة لعملية تعلم وفي نفس الوقت تهيبء لتعلم آخر. وبعبارة أخرى، إن الفرد يتعلم الاتجاهات والقيم خلال إعادة تكوين المجال السيكولوجي. وهذه العملية ديناميكة طالما أن الاتجاهات والقيم معرضة للتغير خلال اكتساب معلومات جديدة. وهكذا تصير الاتجاهات والقيم ذات تأثير موجه لتصرفات الفرد ونشاطات المستقبل.

والاتجاهات تمس جميع مظاهر الحياة الاجتماعية، فأذواقنا وأساليبنا وأخلاقنا تعكس إتجاهاتنا، وبالتالي فإن القيم الاجتماعية تستقر تحتها. إنها بذلك تمثل «التأثير السيكولوجي للمجتمع والثقافة في الفرد، ولكنها تحتفظ في نفس الوقت بالطابع الفريد لخبرات الفرد. وهكذا، تستقر الاتجاهات والقيم في المجال النفسي للفرد، وهي تحمل التوقعات حول سلوكنا وسلوك غيرنا. وبعبارة أخرى إنها تحدد السلوك المتوقع المرغوب فيه، ومن خلالها يمكننا أن نفهم - إلى حد كبير - الكيفية التي ينظر بها الفرد إلى عالمه وتصرفاته نحوه. ولذلك يمكننا تصور الاتجاهات والقيم كحالات «إدراكية - دافعية» توجه السلوك، بمعنى أنها تعمل كدوافع للسلوك، كما أنها تهيبء الفرد للإكتساب بناء على الصفة

الإدراكية للاختيار والتصنيف وتفسير الخبرة بما يتفق مع توقعاته .

بالرغم من وجود عوامل مشتركة بين الإتجاهات والقيم، فقد لا يوجد بينهما إتفاق . إن أي قيمة يمكن أن تؤدي إلى اتجاهات مختلفة بل حتى متضادة لدى الشخص ذاته . مثال ذلك، الحاجة إلى التحصيل، قد تولد الاعتقاد بأن الفرد من حقه إطراد التقدم والتحسين من خلال المنافسة، وبالمثل قد تؤدي إلى الاعتقاد بضرورة العمل بالتعاون مع الآخرين . فضلاً عن ذلك . إن اتجاه ما لدى شخص معين قد ينشأ عن قيمه تخالف قيمة أخرى تقع خلف نفس الاتجاه لدى شخص آخر . فقد يعتقد شخص ما في معونه الفقير تحت وطأة الواجب الاجتماعي من أجل تقدم المجتمع، بينما يعتقد شخص آخر في نفس الشيء، أي مساعدة الفقير، نتيجة الإحساس بالتفوق، وشخص ثالث يقدم الزكاة للفقير كفرض ديني .

وتختلف القيم في مدى تأثيرها في سلوك الفرد، إلا أنها تمتاز عن الاتجاهات في أنها تشير إلى المثل الأعلى المطلق الذي يوجه سلوك الفرد في المواقف المختلفة، كالإيمان بحرية الرأي أو تكافؤ الفرص، أو احترام الآخرين مثلاً، بينما تعدد الاتجاهات بقدر تعدد الموضوعات والمواقف وأنماط الناس التي يستجيب لها الفرد . القيمة، إذن أكثر شمولاً وعمومية، بينما الاتجاهات أكثر نوعية، كما أن القيم أقل عدداً بينما نملك عدداً وفيراً من الاتجاهات . فالقيم تمثل عدداً قليلاً من المثل العليا الأساسية التي تعيننا في تفسير السلوك العقلي للأفراد .

وتمتاز القيم عن الاتجاهات في إنها أكثر ارتباطاً بالثقافة، فالثقافة ترتبط بقيمها أكثر من اتجاهاتها . ويرجع مدى ثبات القيم إلى وجودها

كمؤثرات موجهة ضمن الثقافة، حيث يوجد عادة بداخل ثقافة معينة درجة كبيرة من التطابق من حيث ترتيب القيم، إن ما يمليه المجتمع بواسطة إطاراته الثقافية يؤثر مادياً في توقعات أعضائه عن الأحداث والأشياء في البيئة. وحينما يقابل الناس بما يناقض توقعاتهم، وخاصة إذا كان الأمر ذات أهمية مباشرة لهم، فإنه من المحتمل أن يشعروا بالضيق.

هذا النوع من تشكيل الخبرة يجعل من الاتجاهات والقيم تبعاً لذلك نظماً تؤثر في حياة الإنسان. ولهذا فإن القيم المميزة لثقافة ما لها تأثير طاغي في أحكام الأفراد.

مقاييس الاتجاهات والقيم

إن أكثر الطرق إنتشاراً في قياس الاتجاهات هو «ميزان التقدير». ويتألف ميزان التقدير عادة من طائفة من العبارات التي قد يتفق أو لا يتفق معها الشخص، ويطلب من الشخص أن يحدد مدى موافقته أو معارضته باستخدام بُعد ذات عدة نقط أو درجات، تتراوح فيما بين «موافق جداً» إلى «غير موافق بالمرة». مثال ذلك «ميزان التقدير» في الشكل التالي.



«ميزان تقدير ذات خمس نقط»

ومن مقاييس الإتجاهات الشائعة مقياس «ريمرز» H.Remmers الذي يهدف إلى قياس الاتجاهات العامة نحو: نظام تأديبي معين، جماعة

ما، أو جنسية معينة، مادة دراسية، مهنة، مدرس، أو لعبة ما.

ففي مقياس الإتجاهات نحو مدرس ما مثلاً، يقدّم الباحث إلى التلاميذ قائمة تمثل بعض العبارات التي قد تصلح وصفا للمدرس مثل: يجعل مادة الدرس مشوقة، يصحح أوراق الإجابة بنزاهة، يساعد على تكون المثل العليا، مؤدب دائماً، نشيط، ذكي... إلخ. ويطلب من التلميذ أن يضع علامة (س) أمام كل عبارة يرى أنها تنطبق على المدرس الذي ورد إسمه بأعلى القائمة. ولكي يجيب التلاميذ بأمانة وصدق، يشار في التعليمات إلى أن إجابات التلميذ لن تؤثر بأي حال في تقديراته المدرسية.

ومن أشهر مقاييس القيم مقياس «البورت Allport»، فرنون Vernon و لنديزي Lindzey^(١)، الذي نشر لأول مرة عام ١٩٣١، ثم ظهرت له عدة تعديلات في ١٩٥١، ١٩٦٠ ثم ١٩٦٥ وترجم إلى عدة لغات^(٢). ويهدف هذا الاختبار إلى قياس البروز النسبي لسته اهتمامات أو دوافع في الشخصية، وهي القيم التالية: القيم الدينية والاجتماعية والجمالية والنظرية والسياسية والاقتصادية. وقد بنى هذا التقسيم على أساس «أنماط الرجال التي وصفها سبرانجر E.Spranger الذي يرى أن أفضل فهم لشخصيات الرجال يعرف خلال دراسة القيم التي لديهم، أي الميول التقييمية. ويصف سبرانجر ستة أنماط من الرجال كما يلي:

(١) Allport, G.W., Vernon, P.E., and Lindzey, G. «Study of Values». Boston: Houghton Mifflin, 1960.

(٢) ترجمه وأعدّه بالعربية د. عطية محمود هنا.

١ - النظري :

القيمة المسيطرة على الشخص النظري هي اكتشاف الحقيقة، وهو في سعيه إلى هذا الهدف يتخذ اتجاهاً معرفياً، وتنصب اهتماماته على الملاحظة والتعليل والبحث عن أوجه الشبه والاختلاف، بصرف النظر عن جمال أو منفعة الأشياء. ولذلك تجده شخصاً ذهنياً، وغالباً ما يكون عالماً أو فيلسوفاً هدفه الرئيسي في الحياة هو ترتيب وتنظيم معلوماته.

٢ - الإقتصادي :

يهتم الرجل الاقتصادي بصفة خاصة بما هو مفيد. إنه شخص عملي يهيمه الإتقان، ويهتم بالإنتاج والتسويق واستهلاك البضائع الخ. وأكثر ما يهتم به في علاقاته مع الناس، هو التفوق عليهم من حيث الثروة، أكثر من رغبته في السيطرة عليهم أو تقديم خدمات لهم.

٣ - الجمالي :

الشخص الجمالي يرى أسمى القيم في الشكل والانسجام. وليس من الضروري أن يكون فناناً. وهو يعتبر الحياة موكبا من الأحداث، كل إنطباع منها ممتع في حد ذاته. وفي الأمور الاجتماعية نجده يهتم بالناس ولكن ليس من أجل تقديم الخير للناس (خلاف الشخص الاجتماعي). وهو يميل إلى الفردية والاكتفاء الذاتي.

٤ - الاجتماعي :

أعلى القيم لدى هذا النوع من الرجال هو حب الناس، حيث يعتبره الصورة الوحيدة المناسبة للعلاقات الإنسانية. إنه يتميز بالإيثارة، وهو محب للعمل الخيري الإنساني.

٥ - السياسي :

الرجل السياسي هو أساساً باحث عن القوة، ولا تنحصر اهتماماته بالضرورة في ميدان السياسة الضيق، ولكن قد يكون ذلك في أي مهنة. ويرى كثير من الفلاسفة أن القوة من أكثر الدوافع العامة والأساسية في السلوك الإنساني.

٦ - الديني :

أرفع القيم لدى الشخص الديني هي التوحيد. إنه صوفي يحاول فهم الكون متكاملاً وينسب نفسه إلى إجماليته الشاملة. ويعرف «سبرانجر» الرجل الديني بأنه «شخص يتجه بناؤه العقلي باستمرار نحو خلق أعلى الخبرات قيمة ذات الإرضاء المطلق». والرجل الديني قد يكون زاهداً متقشفاً، وقد يجد خبرة التوحيد خلال «إنكار الذات» والتأمل. وقد يحاول «إثبات الحياة»، ويساهم بفعالية فيها، وقد يؤدي هذا التبادل في بعض الأفراد بين الإنكار والإثبات إلى أعظم إرضاء. ولا يدعي سبرانجر Spranger أن أي فرد ينتمي كلياً إلى قيمة واحدة أو أخرى من هذه القيم، بل إن التفسير السابق هو مجرد تصوير فقط للأنماط المثالية.

إن لدينا كثيراً من القيم، ولكن تسيطر إحداها على نظام القيم كدوافع للسلوك.

وفيما يلي إحدى وحدات الاختبار:

إذا كنت تعيش في مدينة صغيرة وتوفر لديك المال الذي يزيد عن حاجتك، فهل تفضل؟

(أ) أن تستثمره في تنمية التجارة والصناعة.

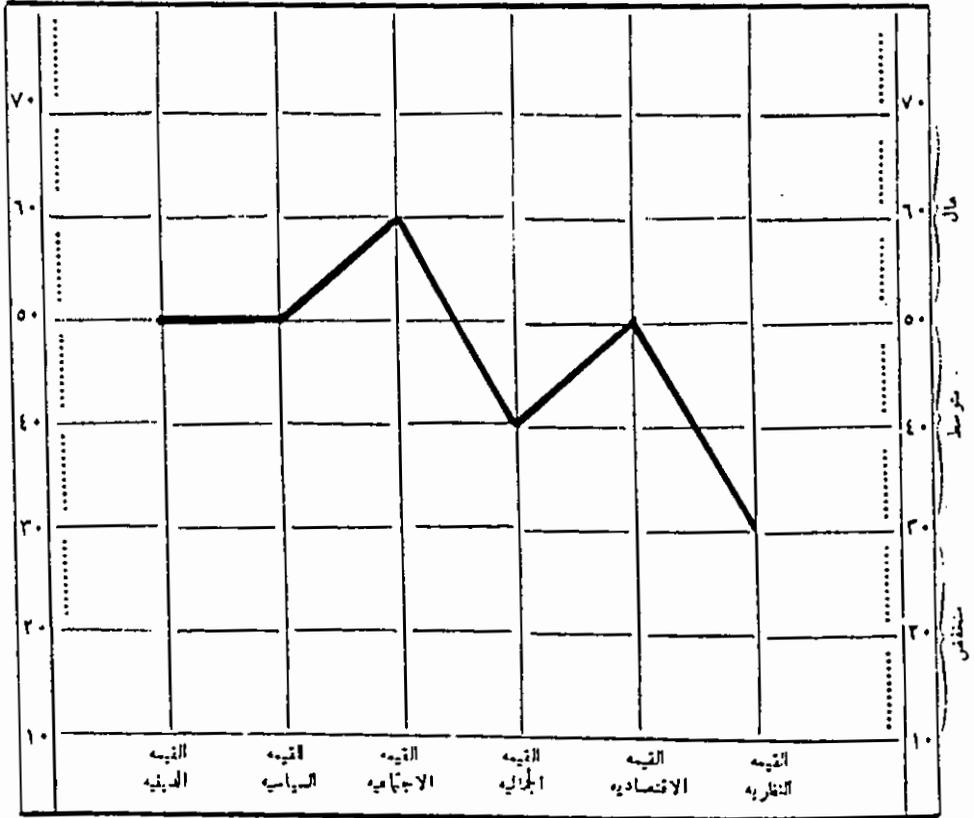
ب) أن تمنحه للهيئات الدينية لمساعدتها في عملها.

ج) أن تقدمه للهيئات العلمية لصفه في البحث العلمي.

د) أن تهبه لجمعيات رعاية الأسرة.

وتسجل نتائج تصحيح الاختبار في جدول خاص ثم تمثل بيانيا في

تخطيط القيم.



تخطيط القيم لدى أحد الأفراد

المراجع العربية

- جيلفورد وآخرون (ترجمة يوسف مراد وآخرين). ميادين علم النفس. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥.
- حلمي المليجي. القياس السيكولوجي. بيروت: دار كريدية، ٢٠٠٠.
- حلمي المليجي. سيكولوجية الابتكار. بيروت: دار النهضة العربية، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٠.
- حلمي المليجي. علم النفس المعاصر. بيروت: دار النهضة العربية، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٠.
- يوسف مراد. علم النفس العام. القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٥٤.

References

- Abramson, P.R. *Personality*. New York: Holt, Rinehart & Winston, 1980.
- Allport, G.W. *Pattern and Growth in Personality*. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1961.
- Allport, G.W. Vernon, P.E., and Lindzey, G. *Study of Values*. Boston: Houghton Mifflin, 1960.
- Allport, G.W. *Personality: A Psychological Interpretation*, New York: Holt, Rinehart & Winston, 1937.
- Boeree, C.G. Karen Horney. [www. ship. edu., perscontents](http://www.ship.edu/~perscontents).
- Cattell, R.B. *The Scientific Analysis of Personality*. Harmonds-Worth: Penguin Booko, 1965.
- Cattell, R.B. *Personality*. London: McGraw-Hill. 1950.
- Eysenck, H.J. *Dimensions of Personality*. London: Routledge and Kegan Paul, 1947.
- Guilford, J.P. *Personality*. New York: Mc Graw-Hill, 1959.
- Hall C. and Nordby V. *A Primer of Jungian Psychology*, 1973.
- Hall, C.S. and Lindzey, G. *Theories of Personality: New York: John Wiley, 1957.*
- Jacobi, J. *The Psychology of C.G. Jung*. New Haven: Yale University Press, 1962.

- Klopfer, B. and Dividson, H.H. *The Rorschach Technique*. New York: Harcourt, Brace & World, 1954.
- Lindzey, G. *Projective Techniques and Cross-cultural Research*. New York: Appleton-Century - Crofts, 1961.
- Moreno, J.L. (Editor). *The Sociometry Reader*. Illinois: The Free Press of Glencoe. 1960.
- Murphy, G. *Personality*. New York: Harper, 1947.
- Murray, H.A. *Explorations in Personality*, New edn. London: Wiley, 1962.
- Mischel, W. *Introduction to Personality*, New York: Holt, Rinehart & Winston, 1971.
- Phillipson, H. *The Object Relations Technique*, London, 1960.
- Ryckman, R.M. *Theories of Personality*. Second Edition, California: Brooks/Cole Publishing co., 1981.
- Sherman, M. *Personality: Inquiry and Application*. New York: Pergamon Press Inc., 1979.
- Stagner, R. *Psychology of Personality*, 3rd edn, London: Mc Graw-Hill, 1964.
- Storr, A. *The Integrity of the Personality*, London: Heinmann, 1960.
- Tomkins, S.S. *The Thematic Apperception Test*. New York: Grune and Stratton, 1947.
- Vernon, P.E. *Personality Tests and Assessments*. London: Methuen & Co., 1957.

قاموس المصطلحات

(انجليزي - عربي)

قاموس المصطلحات
(إنجليزي - عربي)

(A)

Ability	قدرة
Abnormal	شاذ
Absent mindedness	سهو
Abstract	مجرد
Abstraction	تجريد
Achievement	تحصيل
Acquisition	مكتسب
Activity	نشاط
Acuity	حدة
Adaptation	تكيف (بيولوجي)
Adjustment	توافق (نفسي واجتماعي)
Adolescent	مراهقة
Adolescent	مراهق
Adrenal gland (or supra - renal gland)	الغدة فوق الكلوية (الكظرية)

Affection	وجدان
Affective	وجداني
Affectivity	الثأثرية: شدة أو سرعة الانفعالية
Afferent nerve	عصب مورد (مستقبل)
(Efferent nerve)	(العصب المصدر)
Aggression	عدوان
Allergy	استهداف مرضي (شدة الحساسية)
Altruism	إيثار
Ambiversion	تكافؤ اتجاهي الانطواء والانبساط
Ambivert	متكافئ الشخصية
Amnesia	فقدان الذاكرة
Anabolism (metabolism)	بناء (في عملية الأيض)
Anal	شرجي
Analgesia	فقدان الإحساس بالألم من غير فقدان الوعي
Analysis	تحليل
Anger	غضب
Anomaly	شذوذ، انحراف
Anoxia	الأنوكسيا: نقص أو كسجين الأنسجة
Antagonism	خصومة، عدا
Antipathy	نفور
Antisocial	مضاد للمجتمع
Anxiety	قلق

Anxiety neurosis	قلق عصائبي
Apathy	بلادة - خمول
Apparent	ظاهري
Apperception	تفهم - إدراك واضح لمضمون الشعور
Aptitude	استعداد
Ascendance (dominance)	سيطرة
Ascendent (dominant)	مسيطر
(Submissive	(عكس: خاضع، مستكين
Asocial	لا اجتماعي
Aspiration	طموح
Association	ارتباط - تداعي
Asthenia	وهن
Athletic	رياضي، قوي
Atrophy	ضمور
Attention	انتباه
Attitude	اتجاه
Automatic	آلي، ذاتي الحركة
Autonomic (e. g. Autonomic nervous system)	مستقل، تلقائي
Autosuggestion	إيحاء ذاتي

(B)

Background	أرضية، خلفية
Balance	اتزان
Behavior	سلوك

Behaviorism	السلوكية (المذهب السلوكي)
Belief	اعتقاد
Bias	انحياز
Biology	علم الأحياء
Birth trauma	صدمة الولادة
Bond	وصلة
(Theory of bonds	(نظرية الوصلات
Brain	مخ، دماغ
Brain washing	غسيل المخ
Brain waves	موجات المخ (ألفا، بيتا... الخ)

(C)

Capability	مقدرة أو قابلية للتحسن
Capable	قادر على، أو بارع
Capacity	سعة، قدرة عقلية
Castration complex	عقدة الخصاء
Catabolism	هدم (في عملية الأيض)
Catharsis	تنفيس، تطهير
Cathexis	شحنة انفعالية
Cell	خلية
Censor	رقيب
Censorship	رقابة
Cerebellum	مخيخ
Cerebral cortex	لحاء المخ

Cerebral hemispheres	النصفان الكرويان (بالدماغ)
Cerebrum	النصف الكروي
Certainty	يقين
Change	تغير
Character	خلق، طبع
Chronological age (C. A.)	العمر الزمني
Classification	تصنيف
Claustrophobia	الخوف المرضي من الأماكن المرتفعة
Closure	إغلاق
Central	مركزي
Central nervous system	الجهاز العصبي المركزي
Coefficient	معامل
Cognition	معرفة
Collective unconscious	اللاشعوري الجمعي
Compensation	تعويض
Complex	عقدة نفسية
Comprehension	فهم
Compromise	تراضي، حل ودي
Compulsion	قهر، إكراه، قسر
Compulsive behaviour	سلوك قهري
Concave	مقعّر
(Convex	(عكس: محدب
Concentration	تركيز

Concept	معنى كلي، مفهوم
Conception	تصور، تصور المعاني الكلية
Conclusion	استنتاج، خاتمة
Concrete	محدد، ملموس
Condensation	تكثيف
Conditioned	شرطي، مشروط، مكتسب
Conditioned reflex	الفعل المنعكس الشرطي
Conditioning	إشراط، اشتراط
Conduction	توصيل
Conflict	صراع
Congenital	فطري، ولادي
Connectors	رابطة
Receptors	الروابط العصبية (مثل: أعضاء الاستقبال
(effectors	وأعضاء الاستجابة
Conscience	الضمير
Conscious mind	العقل الشعوري
Consciousness	الشعور، الوعي
Context	سياق
Contiguity	تجاوز، تماس
Continuum	المتصل: سلسلة متصلة
Contraction	انقباض، تقلص
Control	ضبط
Control group	مجموعة ضابطة
Conversion reaction	رد فعل تحويل

Convulsion	تشنج
Convolutions	تلافيف (الدماغ)
Coordination	تآزر
(Senory - motor coorination)	(تآزر حسي حركي)
Cord (The spinal cord)	حبل (الحبل العصبي أو النخاع الشوكي)
Correlates	متعلقات
Cortex	لحاء أو قشرة (مثل: لحاء المخ)
Couseling or counselling	إرشاد نفسي
Cranial nerves	أعصاب جمجمية
Creative	مبدع، مبتكر
Cretin	قميء (أنظر: التخلف العقلي)
Cretinism	القماءة
Culture	ثقافة، حضارة
Curiosity	فضول، استطلاع
Curve	منحنى
Cyclic	دوري
Cyclothymia	جنون دوري

(D)

Data (pl. of datum)	المعطيات، البيانات، الكميات المعلومة
Day - dreaming	أحلام اليقظة
Debility	وهن، ضعف
Deduction	استدلال قياسي
Deficiency	نقص
(Mental deficiency)	(نقص عقلي)

Delayed response	استجابة مرجأة
Delinquency	جناح
Delinquent	جانح
Delirious	هذياني
Delirium	هذيان
Delirium tremens	هذيان ارتعاشي
Delusion	هذيان، هذاء
Dementia	خبل، جنون
Dementia praecox	الخبل المبكر
(Dependent variable	المتغير التابع
(Independent V.	(المتغير المستقل
Depression	هبوط، كآبة
Deprivation	حرمان
Desire	رغبة
Determinism	حتمية
Detraction	انتقاص أو حط من القدر أو السمعة
Development	نمو، ترقى
Deviation	انحراف
(Standard deviation	(انحراف معياري
Detrimental	ضار، مؤذ
Dexterity	مهارة، حذق، براعة
(dexterity of fingers	(مثل: مهارة الأصابع
Dexterimeter	مقياس المهارة

Diagnosis	تشخيص
Diagram	تخطيط
Differential psychology	علم نفس الفروق الفردية
Differentiation	تفاضل
Discrimination	تمييز
Disguise	يتكر
Disgust	تقزز، اشمزاز
Disintegration	انحلال
Displacement	إزاحة، إبدال
Disposition	ميل، استعداد
Dissociation	تفكك
Disorder	اضطراب (جسدي أو عقلي)
Distortion	تشويه
Distraction	شروذ الذهن، تشتت (الإلتباه)
Dizigotic twins (fraternal twins)	توائم أخوية
Dizziness	دوار
Dominance	سيطرة
Dramatization	تجسيم (الأحلام)
Dream	حلم
Drive	حافز
Drowsiness	غفوة، نعاس
Ductless or endocrine gland	غدة لا قنوية، أو غدة صماء
Dwarfism	قزامة

Dynamic	ديناميكي
Dysfunction	الاختلال الوظيفي
Dyspepsia	سوء الهضم
Dysphasia	عسر الكلام (نتيجة لأذى أصاب الدماغ)
Dysphonia	بحة في الصوت (نتيجة لأسباب عضوية أو نفسية)
Dysphoria	فتور، يأس، لا ارتياح، قلق

(E)

Education	التربية
Eduction	استنباط
Electroencephalogram (E. E. G)	الرسم الكهربائي للمخ
Effector	عضو الاستجابة (مثل: عضلة أو غدة)
Efferent nerve	عصب مصدر
Ego	الأنا
Egocentric	ذاتي المركز
Egocentricity	أنانية
Egoism	أنانية، أثره
Egoist	أناني
Embryo	جنين
Emotion	انفعال
Endocrine gland	غدة صماء
Energy	طاقة
Enuresis	التبول اللاإرادي (بول)
Envy	حسد

Environment	البيئة
Epilepsy	صرع
Epileptic	المصاب بالصرع
Epos	ملحمة، شعر ملحمي
Epistemology	نظرية المعرفة
Equilibrium	توازن
Equivalence	تكافؤ
Ergograph	مقياس التعب
Erogenous or erogenic	حساس جنسياً، مثير للشهوة الجنسية
Erogenous zone	منطقة حساسة جنسياً
Eros	غريزية الحياة أو البناء (فرويد)
Erotomania	الجنون الجنسي
Etiology	تعليل المرض
Evolution	تطور
Excitability	القابلية للتنبه
Excitation (inhibition	تنبيه (عكس): الكف
Exhaustion	إنهاك، تعب شديد
Exhibitionism	الافتضاحية: انحراف يتميز بالنزوع إلى إظهار العورة
Experience	خبرة
Experiment	تجربة
Experimental psychology	علم نفس تجريبي
Experimental method	منهج تجريبي
Experimentation	تجريب

Expiation	تكفير، كفارة
Expression	تعبير
Extension	بسط أو امتداد (العضلة مثلاً)
Extraversion (introversion)	انبساط (عكس: منطوي)
Extravert (introvert)	منبسط (عكس منطوي)

(F)

Fact	حقيقة
Facilitation	تسهيل، تيسير
Factor	عامل
Faculty	ملكة
Factor analysis	تحليل عاملي
Faint	إغماء
Familiarity	ألفة
Fantasy	خيال جامح، استغراق في أحلام اليقظة
Fatigue	تعب
Fear	خوف
Feeble-mindedness	الضعف العقلي
Feeling	وجدان، شعور
(Feelings)	(مشاعر)
Fiction	وهم أو خيال
Field	مجال، ميدان
Fixation	تثبيت
Fleuncy	طلاقة

Flexibility	مرونة
Focus	بؤرة
Forgetting	نسيان
Frequency	تردد أو تكرار
Frequency distribution	توزيع تكراري
Frustration	إحباط
Function	وظيفة

(G)

General factor (G.)	العامل العام (سبيرمان)
Ganglion	عقدة عصبية
Genes	مورثات
Generalization	تعميم
Genital	تناسلي
Germ	جرثومة
Gestalt	(الشكل، الهيئة، جشطلت، صيغة، النموذج، البناء)
Gifted	موهوب
Gigantism	عملقة
Gland	غدة
Gonads	عدد تناسلية
Graph (Psychograph)	رسم بياني، مبيان (مبيان نفسي)
Gregariousness	القطيعية
Group factors	عوامل طائفية
Guidance	توجيه
Guilt	إثم أو ذنب

(H)

Hallucination	هلوسة
Heredity	وراثة
Heterosexuality	جنسية غيرية
Hierarchy	هيراركي، تسلسل: ترتيب في سلسلة مدرجة
Homeostasis	ثبات وتوازن العمليات الكيماوية الحيوية
Homosexuality	جنسية مثلية
Hormic theory	النظرية الهرمونية أو الغرضية
Hormone	هورمون
Hyperacidity	فرط الحموضة
Hypermnnesia	فرط التذكر لأحداث الماضي
Hyperprosexia (Aprosexia)	إفراط في الانتباه (عكس: تفريط في الانتباه)
Hypnosis, hypnotism	التنويم المغناطيسي
Hypochondria	هجاس سوداوي
Hypothesis	فرض
Hysteria	هستيريا
Hysteric or hysterical	هستيري

(I)

Iceberg	الجبل الجليدي العائم
Id	الهو: أحد مكونات الجهاز النفسي (فرويد)
Ideational fluency	طلاقة ذهنية
Identification	تقمص

Identity	هوية، ذاتية
Idiot	معتوه
Illumination	إشراق
Illution	خداع
Imagery	تصور حسي
Imbecile	أبله
Imitation	محاكاة
Impotence	عنة
Impulse	دفع
Incentive	باعث (دافع خارجي)
Individuality	فردية
Individual tests	اختبارات فردية
Induction	استقراء
Inference	استنتاج (استدلال)
Inferiority complex	عقدة النقص (فرويد)
Inferiority feeling	الشعور بالدونية (آدلر)
Inhibition	كف
Innate or inborn	فطري
Inspiration	إلهام
Instinct	غريزة
Integration	تكامل
Intellect	عقل، فكر
Intellectual	عقلي

Intelligence	ذكاء
Intelligence quotient (I. Q)	نسبة الذكاء
Intelligent	ذكي
Interest	اهتمام، ميل
Interference	تداخل
Introjection	استدماج
Introspection	استبطان، تأمل باطني
Introversion	انطواء
Introvert	منطوي
Intuition	حدس
Invention	اختراع
Involutional	انتكاسي
Irritability	تهيجية
Irritation	تهيج
Isolation	عزل

(J)

Jealousy	غيرة
Job analysis	تحليل العمل
Judgment	حكم
Juvenile	حدث
Juvenile court	محكمة الأحداث
Juvenile delinquent	لجانح: مجرم حدث

(K)

Kinesthesia	حساس بالحركة
Kleptomania	نون السرقة

(L)

Labyrinth (maze)	متاهة
Latency	كمون
Learning	تعلم
Leptosome (asthenic)	واهن (كرتشمس)
Libido	لبيدو: الرغبة أو الطاقة الجنسية (فرويد) الطاقة النفسية (يونج)

(M)

Maladjustment	سوء توافق
Mental age (M. A.)	العمر العقلي (عمر الأداء)
Mania	هوس
Manic - depressive psychosis	الجنون الدوري (جنون الهوس الاكتيبي)
Masochism	المازوشية: إنحراف جنسي يتلذذ فيه المرء بالتعذيب من رفيقه
Sadism	(عكس): السادية حيث يتحقق الإرضاء الشبقي للمرء بإنزال صنوف العذاب بمحبوبه)
Masturbation	استمنا
Maturation	النضج
Maze	متاهة
Mean (average)	متوسط (إحصاء)
Median	وسيط (إحصاء)
Medulla oblongata	النخاع المستطيل
Melancholia	مالنخوليا (الجنون السوداوي)
Memory	الذاكرة

Mental	عقلي، ذهني
	الأيض: (مجموع العمليات المتصلة ببناء البروتوبلازما ودورها تشمل عمليتي البناء والهدم
Metabolism (anabolism & catabosim)	والهدم
Method	المنهج
Methodology	مناهج البحث
Mind	العقل
Mode	المتوال (إحصاء)
Mood	الكيف أو مزاج الساعة
Moron	أهوك
Motive	دافع
Motor	حركي، محرك

(N)

Narcissism	الترجسية، عشق الذات الإلاشعوري
Need	حاجة
Neonate	المولود الحديث
Neo - psychoanalysis	التحليل النفسي الحديث
Nerve	عصب
Neurone	خلية عصبية
Neurosis (Psychoneurosis)	عصاب: اضطراب نفسي
Neurotic	عصابي
Nightmare	كابوس، جنام
Noctambulism (somnambulism)	الجوال: السير أثناء النوم

Norm	معيار
Normal	سوي
Normality	استواء
Nosology	تصنيف للأمراض أو قائمة بها

(O)

Objective	موضوعي
Objectivity	موضوعية
Obsession	وسواس، انحصار
Oedipus complex	عقدة أوديب (نظرية التحليل النفسي)
Oligophrenia	ضعف عقلي
Ontogeny (phylogeny)	نشوء الفرد (نشوء النوع)
Operant conditioning	إشتراط إجرائي
Optic	بصري
Optimism	تفاؤل
Organogenic (psychogenic)	عضوي المنشأ (عكس: نفسي المنشأ)
Originality	أصالة
Overcompensation	تعويض زائد

(P)

Paranoia	جنون الهذاء (البارانويا)
Percept	المدرک
Perception	إدراك
Performance	أداء
Persecution (delusion of persecution)	اضطهاد (هذاء الاضطهاد)

Reality	الواقع
Reasoning	استدلال
Recall	استدعاء
Recency	حدائة
Receptor	عضو الاستقبال الحسي
Recessive	متنحي
Recognition	تعرف
Recurrent	معاود
Reduction	خفض
Reflection	انعكاس
Reflective	تأملي، مولع بالتأمل والتفكير
Reflex arc	قوس منعكس
Reflex action	فعل منعكس
Refutation	دحض
Regression	نكوص
Reinforcement	تعزيز
Rejection	نبذ
Reliability	ثبات (الاختبار)
Remembering	التذكر
Repression	كبت (تحليل نفسي)
Reproducing	استرجاع
Reproductive imagination	تخيل استرجاعي
(productive imagination	(خلاف التخيل الإنشائي)

Reasoning	استدلال
Residual correlation	بواقى الارتباطات
Response	استجابة
Retention	وعى
Rigidity	تصلب
Rote learning	تعلم آلى (صم)
Rythm	إيقاع

(S)

Sadism	السادية
Salivary glands	الغدة اللعابية
Satisfaction	إرضاء، رضى
Schizoid	المنقسم
Schizophrenia	جنون الفصام
Secretion	إفراز
Self	الذات
Self - consciousness	الشعور بالذات
Sensory	حسى
Sensual	شهوانى
Sentiment	عاطفة
Sex	جنس
Sexual	جنسى
Sign	علامة
Signal	إشارة

Significance	دلالة
Similarity	التشابه
Situation	موقف
Social	اجتماعي
Socialization	التمثيل الاجتماعي، التطبع الاجتماعي
Sociology	علم الاجتماع
Somatic	جسمي، بدني
Somatogenic	جسمي المنشأ
Somnambulism	جوال: السير أثناء النوم
Spatial group factor	عامل طائفي مكاني
Specific factor	عامل خاص أو نوعي
Specific overlap	تطابق نوعي
Spinal cord	الحبل العصبي أو النخاع الشوكي
Standardization	تقنين (الاختبارات)
Static	ساكن، ستاتيكي
Statistics	علم الإحصاء
Stereotypy	نمطية
Stimulation	تنبيه
Stimulus	منبه
Striate muscle	عضلة مخططة
Subjective	ذاتي
Sublimation	إعلاء
Substitution	إبدال

Suggestibility	قابلية التأثر بالإحياء أو بأفكار الآخرين
Suggestion	إيحاء
Superior	نابه أو متفوق
Suppression	قمع
Sympathy	تعاطف، مشاركة وجدانية
Symptom	عرض
Synapse	وصلة
Syndrome	مجموعة أعراض خاصة بمرض واحد (زمله)
Syntonic	متناغم
System	جهاز، نظام

(T)

Temperament	المزاج
Tendency	ميل
Tension	توتر
Thalamus	ثلاموس
Thanatos	غريزة الموت أو الفناء
Thematic apperception test	اختبار تفهم الموضوع
Theory	نظرية
Therapy (Psychotherapy)	فن العلاج (العلاج النفسي)
Thymus gland	الغدة الصعترية
Thyroid gland	الغدة الدرقية
Training	تدريب
Transference	تحويل

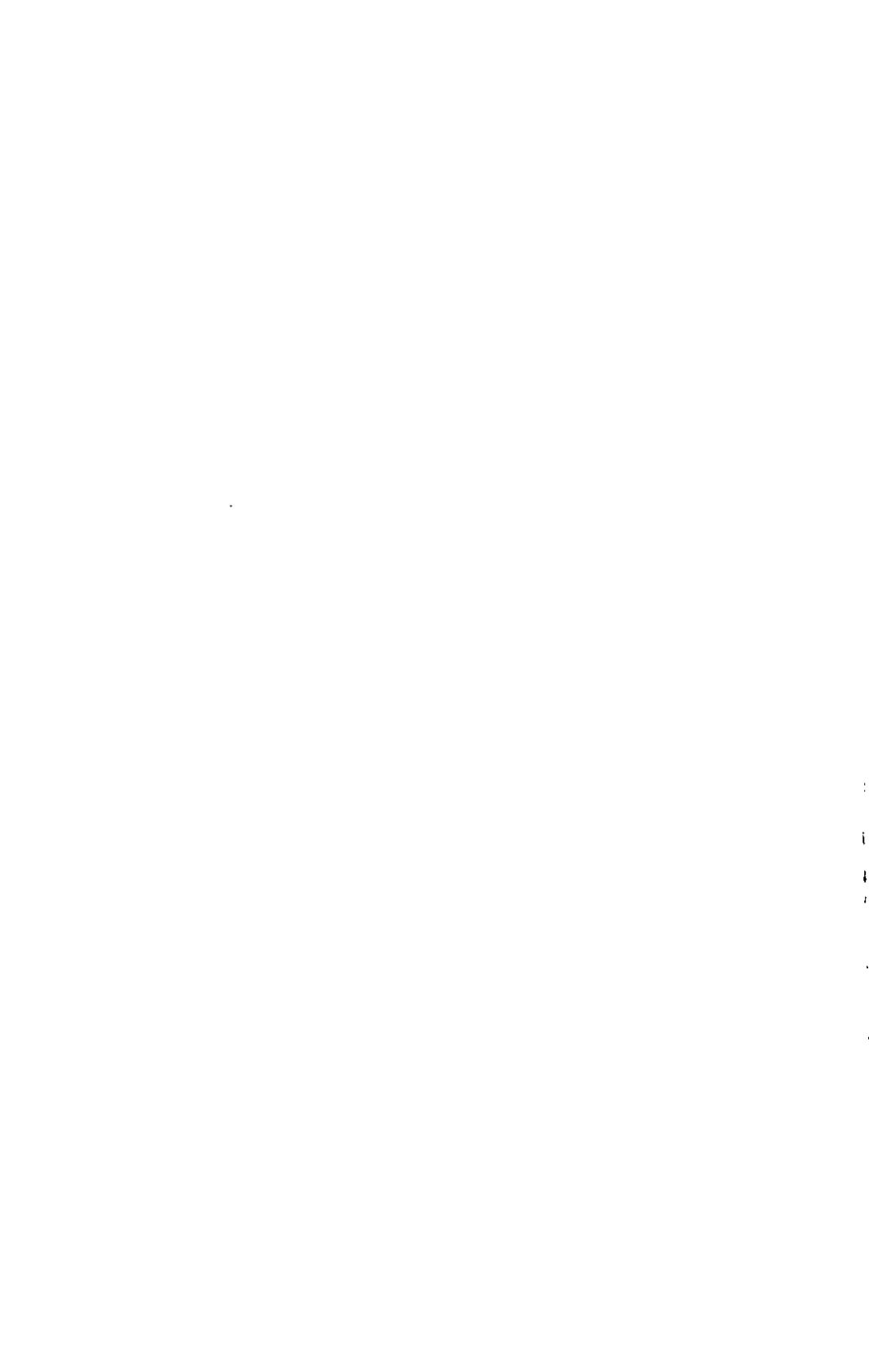
Tremor	رعشة
Trial and error	المحاولة والخطأ
	(U)
Unconscious	اللاشعور
Unit	وحدة
	(V)
Validity	صدق أو صحة (الاختبار مثلاً)
Value	قيمة
Variable	متغير
Variance (Analysis of variance)	تباين (تحليل التباين)
Verbal	لفظي
verification	تحقق
Viscera	الأحشاء
Visceral	حشوي
Vision	إبصار، رؤية
Visual perception	إدراك بصري
Vocal cords	أوتار صوتية
Volition	إرادة
Voluntary	إرادي
(Unvoluntary	(لا إرادي)

الفهرس

الصفحة

7 مقدمة
11 الفصل الأول: تعريف الشخصية
31 الفصل الثاني: وصف الشخصية
39 الفصل الثالث: نظرية سمات الشخصية
49 الفصل الرابع: نظرية التحليل النفسي
77 الفصل الخامس: الحيل الدفاعية اللاشعورية
89 الفصل السادس: نظرية «آدلر» في الشخصية
103 الفصل السابع: نظرية الذات (هورنى)
119 الفصل الثامن: نظرية «يونج» في الشخصية
151 الفصل التاسع: نظرية «روجرز» في الشخصية
175 الفصل العاشر: التأثيرات الإجتماعية والثقافية في الشخصية
177 ● نظرية الدور
184 ● النظريات السوسيوومترية: نظرية الذره الإجتماعية
195 ● الشخصية ونظرية التعلم
199 الفصل الحادي عشر: العوامل الوراثية والبيئية في بناء الشخصية
203 تكامل الشخصية

208 خصائص الشخصية الناضجة
211 الفصل الثاني عشر: الحكم على الشخصية
233 الفصل الثالث عشر: قياس الشخصية
269 المراجع العربية والأجنبية
273 قاموس المصطلحات





في رحلة الحياة
مع الهياه والأمواج إتقيت بأصداء نفسي
بين الرياض وتحت ظلال الأغصان
هناك... بعيداً... بعيداً عن التلوث والزحام
وشذى الورود يعطر أرجاء المكان
وجدت البهاء والحلا والنقاء

وج

وج

حلمي المليجي